# الكعبة

## ودور آل سعود فى تطويرها

بقلم
عبد الناصر بليح

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

الناشر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع

ميدان المحطة - ش الشركات - دسوق - كفر الشيخ

☎ ٠٤٧/٥٦٠٢٨١ - ٠٤٧٥٥٠٣٤١

رقم الإيداع : /٢٠٠٥م

الترقيم الدولي : ISBN

مصمم جرافيك : محمد الجنايني ، شيماء عبد المجيد



الطبعة الأولى : ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقدمة

الحمد لله رب العالمين ...

نحمده سبحانه وتعالى حمد الذاكرين الشاكرين ... حمدا دائما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ...

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ...

أشرف الخلق والأنبياء والمرسلين ... سيدنا محمد ، وعلى آله و صحبه الطيبين الطاهرين ... ومن نهج طريقهم وسار على دربهم إلى يوم الدين .

## أما بعد

فالله عز وجل فضل بعض الأزمنة على بعض ... ففضل زمن رسولنا ﷺ على سائر الأزمنة .

وفضل بعض الشهور على بعض ... ففضل شهر رمضان على سائر الشهور.

وفضل بعض الأيام على بعض ... ففضل يوم الجمعة على سائر الأيام .

وفضل بعض الليالى على بعض ... ففضل ليلة القدر على سائر الليالى .

وفضل بعض الرسل على بعض ... ففضل رسولنا ﷺ على سائر الرسل

وفضل بعض الأمكنة على بعض ... ففضل أرض الحجاز على سائر الأراضي .

وفضل بعض البلاد على بعض ... ففضل مكة على سائر البلاد .

وفضل بعض المساجد على بعض ... ففضل المسجد الحرام على سائر المساجد .

وفضل بعض البقاع على بعض ... ففضل الكعبة على سائر البقاع .

فالكعبة المشرفة مقدسة عند الله ﷻ ... ولها مكانتها في قلوب المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها ... يتجه إليها المسلمون في صلواتهم من كل النواحي والأقطار ... وتهفو إليها الأفئدة في كل وقت وزمان ويطاف حولها على مدار الأيام والأعوام ... وما ذلك إلا بتشريف الله لها وتقديسه لعظمتها ... إذ جعلها قبلة الأنبياء والمرسلين ... وقبلة سائر المسلمين إلى يوم الدين ... ومحط أنظار الناس أجمعين ... وأحاطها بسياج مقدس ... وزادها مهابة وجلالاً وأمنا ... وأولاها عناية وعظمة وشرفا ...

## ومن هنا :

كانت محل عناية الأنبياء والمرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والأمراء المهتدين ، وكذا الشعراء والكتاب والعلماء وبخاصة المؤرخين والمفسرين .

فمنهم من بناها ومنهم من رفع قواعدها ومنهم من كساها ومنهم من جـ ها ومنهم من اهتم بدراستها ، فتعددت الدراسات حولها وكتبت المؤلفات عنها ... فهناك دراسات كثيرة عن جوانب متعددة تتصل بالكعبة المشرفة ... ونحن فى هذه الدراسة التى بين أيدينا سنقدم لك عزيزى القارئ بمشيئة الله تعالى كتابا عن الكعبة المشرفة .. أسماءها .. وفضائلها .. وغسيلها .. وتطييبها وكسوتها .. وأخبار حولها .. وعالميتها .. وأنواع المعلقات بها .. وصور من العدوان عليها .. وذكريات الرسول ﷺ معها .. وأحكام فقهية تتعلق بها .. ومقدسات حولها ...

أسبقنا ذلك بالحديث عن البلد الحرام ( مكة المكرمة ) وكذا المسجد الحرام ( الحرم المكى ) ولم نهمل الحديث عن الحرم النبوى .. وقد أولينا العهد السعودى اهتماما خاصا بدرجة اهتمامهم بالكعبة والحرمين الشريفين ... ولو أننا خصصنا لهذه الفترة مؤلفات ما كفت وما أعطيناهم حقوقهم ... وما دفعنا إلى ذلك إلا حب المكان والشوق والحنين الذى يشعر به كل مسلم تجاه الكعبة وهذه الأماكن المقدسة ...

ولا أخفى عليك عزيزى القارئ أن الفضل فى هذا الكتاب وخروجه إلى النور يرجع فى المقام الأول بعد الله عز وجل إلى الأخ صاحب دار النشر الأستاذ / محمد إبراهيم العبسى ... حيث طلب منى أن أكتب عن الكعبة المشرفة لما لها فى نفسه من ذكريات طيبة ومشاعر متدفقة وأشواق زائدة فوجدت بدورى أننى قد حملت أمانة غالية تجاه هذا المكان المقدس الذى

يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ ... حيث يحتاج إلى جهد كبير ... وتوثيق دقيق ... لأنه الحديث عن الكعبة المشرفة ... فخر واعتزاز كل مسلم ... وشرف كل عربى يعتز بعروبته ... وساعدنى فى ذلك بعد توفيق الله ﷻ أننى قد وجدت ما كان يجول بخاطرى وفكرى ... حيث الرغبة الجامحة فى الكتابة عن الكعبة المشرفة ... وقد حان الوقت حسب تقدير الله ﷻ وإرادته فهو سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا أن يقول للشىء كن فيكون فأمره بين الكاف والنون ...

نسأله عز وجل أن ينفعنا بهذا العمل ... وكل من ساهم فى إخراجه ... وأن يجعله فى ميزان حسناتنا ... إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

المؤلف

## الباب الأول

## مكة .. أطهر بقاع الأرض

مكة مدينة كرمها الله فهى تحتضن بيته الحرام ، وزاد شرفها عندما شاءت حكمته أن تكون الأرض التى ولد بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وشهدت أول نزول الوحى يوم جاء الأمين جبريل غار حراء يحمل كلام الله إلى رسوله ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً وقد جعل سبحانه وتعالى بيته العتيق قبلة لعبادة المسلمين يستقبلونه فى صلواتهم ودعائهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



# الفصل الأول
## أسماء مكة

ولأن مكة هي البلد التي شرفت بوجود الكعبة المشرفة بها ، وجعلت حرما أمنا . فقد تعددت أسماءها وذكرها الله ﷻ بأسماء عديدة نذكر منها :

(مكة ، بكة ، البلد الأمن ، البلد الأمين ، أم القرى ، أم رحم ، مهبط الوحي البلدة ، البلد ، النساسة ، الناسة ، البشاشة ، كويسا ، الحاطمة ، ماكورابا) .

وأشار ﷻ إليها في مواضع عديدة في كتابه الكريم بأسماء أخرى وأقسم بها جل شأنه فحظيت بما لم تحظ به بلد غيرها ..

وذكر ابن كثير أسماء وقال : وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة :

( مكة ، بكة ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الأمين ، والمأمون وأم رحم ، وأم القرى ، وصلاح ، والعرش على وزن بدر ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب ، والمقدسة ، والناسة بالنون وبالباء أيضا الباسة ، والحاطمة ، والرأس وكوثا ، والبلدة ، والبنية ، والكعبة )[1]

---

١- ابن كثير م١ ص ٣٨٤

## مكـــة :

تقــع مكـــة المكرمـــة عنـــد تقـــاطع درجتـــى عـــرض ٢١/٢٥ شـــمالا والطـــول ٣٩/٤٩ شـــمالا ، ويعتـــبر هـــذا الموقـــع مـــن أصعـــب التكوينـــات الجيولوجيـــة فـأغلب صخورهـا جرانيتيـــة شـــديدة الصلابـــة ، وهـــى ترتفـــع عـــن سطح البحـر إلـى أكثر مـن ثلاثمائـة متـر .

ويحتضن مكـة وادى إبراهيم الـذى ينحصـر بيـن السلسـلة جبـال متقاربـة مـن جـهات الشـرق والغـرب والجنـوب حيـث تتـألق السلسـلة الشـمالية مـن جبل "الفلـق" وجبل "كـدى" وجبل "أبـى قبيس" فـى الجنـوب الشـرقى ثـم جبل "خندمـة" .

ولمكـة المكرمـة ثلاثـة مداخـل رئيسـية هـى "المعـلاة" وتعـرف باسـم "الحجـون" " والمسـفلة" و" الشـبيكة " .

وقد تعارف النـاس علـى أن " المعلاة " هى كل مـا ارتفـع مـن مستوى أرض المسجد الحـرام ، " والمسفلة " هى كل مـا كـان دونـــه .

## حرمتها .

حـرم الله ﷻ مكـة دون سـائر البـلاد لمـا لـــها مـــن مكانـــة عظيمـــة وقداســـة جليلـة جـاء فـى الصحيحين عن أبـى شريح المعدوى أنـه قـال لعمـر بـن سـعيد وهـو يبعـث إلـى مكـة لقتـال عبـد الله بـن الزبير رضي الله عنه :

" ائذن لـى أيـها الأمـير أن أحدثـك قـولا قـال بـه النبـى ﷺ عنـد فتـح مكـة سـمعته أذنـاى ووعـاه قلبـى وأبصرتـه عينـاى حيـن تكلـم بـه أنـه حمـد الله وأثنـى عليـه ثـم قـال : " إن مكـة حرمـها الله ولـم يحرمـها النـاس فـلا يحـل لامـرئ يؤمـن بـالله واليـوم الأخـر أن يسفك بـها دمـا أو يقطـع بـها شـجرة فـإن أحد ترخص بقتـال رسـول الله ﷺ فيـها . أى أخـذ فيـه بالرخصـة فقولـوا

له : " إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم وإنما أذن لي في ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس "[1]

## سبب تسميتها بهذا الاسم:

اختلف الإخباريون في كلمة مكة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى وفيما يلي نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة في الروايات المختلفة :

اشتهرت مكة البلد الحرام موطن القبلة ومولد رسول الله ﷺ بهذا الاسم وفي التنزيل :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " الفتح / ٢٤

- ومكة كما في القاموس من مكة أو امتكة وتمككة وتكمكة نصه جميعه .. ومنه مكة للبلد الحرام أو للحرام كله لأنها تنقص الذنوب أو تفنيها أو تهلك من ظلم فيها ..

وقال أبو بكر الأنباري : سميت مكة لأنها تمك الجبارين ، أي تذهب نخوتهم .[2]

- ويقال : إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم " قد امتلك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا " ويرد ياقوت على هذا التفسير بقوله " فغلط في التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة بازدحام الناس وإنما هما قولان " [3]
- قال الشرقي بين القطامي : إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه ، أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة وكانوا يصرخون ويصفرون ويصفقون

---

١- متفق عليه.

٢- ياقوت معجم البلدان ، مادة مكة مجلد (٥) .

٢- نفس المصدر في ١٨١ ، ١٨٢

بأيديهم إذا كانوا بها . والمكاء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض .
ويعلق ياقوت على هذا الرأى بقوله " والمكاء ، بتخفيف الكاف والمد الصغير ، فكأنهم كانوا يحاكون صوت المكاء ولو كان الصغير هو الفرض لم يكن مخففا "[1].

وقال قوم : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهى فى هبطة بمنزل المكوك "[2] ، والمكوك عربى أو معرب قد تكلمت به العرب وجاء فى أشعار الفصحاء ..

قال الأعشى :

والمكاكى والصحاف من الفـ * ـضة والضامرات تحت الرجال

ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مكة لقولهم : " سميت مكة لأنها عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : أمتك الفصل أخلاف الناقة إذا جذب ما فيها جذبا شديدا فلم يبقى فيها شيئا "[3]
ولما كانت مكة مكانا للعبادة فقد امتكت الناس أى جذبتهم من جميع الأطراف .

ويرى ياقوت أنها سميت مكة من :

- مك الثدى ، أى مصه لقلة مائها لأنهم كانوا يمتلكون الماء أى يستخرجونه
- وقيل : أنها تمك الذنوب أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يبقى فيه شينا.
- وقيل : سميت مكة لأنها تمك من الظلم أى تنقصه .
- وقيل سميت بذلك لقلة مائها . أولأ تمك المخ من العظم ما ينال قاصدها من المشقة ، من قولهم مككت العظم إذا أخرجت ما فيه ، ومك الفصيل ضرع أمه إذا امتص كل ما فيه من اللبن وشربه أو لأنها تمك من ظلم

---

١ - نفس المصدر السابق
٢ - نفس المصدر السابق
٣ - ياقوت : معجم البلدان مكة مجلد ١٨٢/٥

فيها ، أى تهلكه وتنقصه ، أو لأن الناس كانوا يمكون فيها ويضحكون من قوله " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " الأنفال / ٣٥

أى تصفيقا وتصفيرا وهذا ضعيف من جهة اللغة والتعريف

**بكة :**

وورد فى القران الكريم اسم أخر لمكة هو بكة . فذكرت بكة فى قوله تعالى :

" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين " آل عمران / ٩٧

وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها :

" أن بكة هو موضع البيت ومكة هو موضع القرية ". [١]

وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا أمام البيت .

ونقل ياقوت عن يحى بن أبى أنيسة : أن بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله وعن زيد بن أسلم : أن بكة الكعبة والمسجد ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى [٢]

والذى ذكره الله تعالى فى قوله :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " الفتح / ٢٤

ويرى بعضهم أن بكة هى نفس مكة أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب ويعتقد الدكتور / جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التى تبدل الميم باء. [٣]

---

٢- الأزرقى أخبار مكة ٢٨٨/١
٣- ياقوت نفس المرجع السابق
د- جواد على / ٤ / ١٨٩

وفـى القـاموس أيضـا فـى مـادة " بـك " ومنـه بكـة لمكـة أو لمـا بيـن جبليـها أو للمطـاف لدقـها أعنـاق الجبـابرة أو لازدحـام النـاس بـها وقـال ابـن هشـام أخـبرنى أبـو عبيـده : أن بكـة اسـم لبطـن مكـة لأنـهم يتـأكون فيـها أى يزدحمـون .[1]

وقيـل أن بكـة موضـع بيـت الله الحـرام ومكـة سـائر البلـد لقولـه تعـالى "

" إن أول بيت وضـع للنـاس للذي ببكـة مباركـا وهـدى للعـالمين "

آل عمران ٩٦

ومنـها أن بكـة المسـجد ومكـة الحـرم كلـه وتدخـل فيـه البيـوت .

وقـد بقيـت كلمـة " وادى بكـة " فـى التـوراة علـى مـا دخـل فيـها مـن التحريـف والتغيـير ، إلا أن المـترجمين حولوهـا إلـى " وادى البكـاء " وجعلوها اسم نكرة يـدل علـى علـم ، وقـد جـاء فـى مزامـير داود مـا نصـه :

" طوبـى لأنـاس عزمـهم بـك ، طـرق بيتـك فـى قلوبـهم عـابرين فـى وادى البكـاء يعبرونـه ينبوعـا " (مزامـير)[2]

وقـد انتبـه علمـاء اليـهود بعـد قـرون إلـى أن هـذه الترجمـة كـانت خاطئـة ، فقـد جـاء فـى دائـرة المعـارف اليهوديـة اعـتراف بـأن واد مخصـوص لا مـا فيـه ، وأن فـى ذهـن مـن صـدرت عنـه هـذه العبـارة صـورة لـواد لـه أوضـاع طبيعيـة عـبر عنـها بـهذه الكلمـة .[3]

وقـد كـان نـاقلو هـذه الصحـف إلـى الإنجليزيـه اكثرأمانـه ودقـة فـى الترجمـة مـن الذيـن قـاموا بـالترجمة العربيـة فقـد تركـوا كلمـة " بكـة " كمـا كـانت فـى الأصـل وكتبوهـا بـالحرف الاسـتهلالى كمـا تكتـب الأعـلام ، ففـى الترجمـة الإنجليزيـة كمـا يلـى .[4]

---

١ - الروض الأنف للسهيلى ١/ ١٣٦.

٢ - الكتاب المقدس فى مطبعتها فى ساحة استورين مدينة نيويورك ، لندن ١٨٠٤ م .

٤-lewisheacyclopdia fol.١١p.٤١٥.

٣ - مستفاد من " التفسير الماجدى " للأستاذ الكبير عبد الماجد الدربابادى ، وكتاب رحمة للعالمين للقاضى سليمان المنصور فوزى انظر السيرة النبوية للندوى / ٥٦ .

**heart are the ways of them who passing through the fallevaf baca makeitawell . (psalm٨٤)(٠٦) .١**

**ماكورابا :**

**وجاء ذكر مكة فى جغرافية بطليموس تحت اسم " MACORABA ".[١] ومعناه مقدس أو حرم ، مما يستفاد منه أن مكة كانت فى أول عهدها مقاما دينيا وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمن طويل ويبدوا أن هذا الاسم له علاقة بالبيت العتيق الذى كان سر شهرتها كعاصمة دينية فى الجاهلية ، فكلمة " ماكورابا " قرينة من مكرب التى عرفت عند العرب وتعبير عن لقب كان يحمله الكهنة فى سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك ومن المرجح أنها تعنى " القرب إلى الله " لأنها مدينة مقدسة .**

**الناسة :**

**والناسة هو من نست الشىء إذا أذهبته .**

**فلقد بغت جرحهم بمكة واستحلوا حلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها فرق أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لاتقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبقى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه[٢] .**

---

١ - جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/١٨٨

٢٢- lammnes: bameepfeaafeilledelmegire.p. ١

٢- الروض الأنف للسهيلى ١ / ١٣٠

## الباسة :

والباسة بالياء وهو من بست الجبال بسا أى فنت وثريت كما يثرى السويق .

وقيل : الباسة لأنها تبس أى تحطم الملحد وقيل تخرجهم .

## أم رحم وأم القرى :

وسميت أيضا بأم رحم " وأم القرى "

ووردت بهذا الاسم فى قوله تعالى " ولتنذر أم القرى ومن حولها" الأنعام / ٩٢

قال بعض العلماء سميت بذلك لأنها أقدم القرى التى فى جزيرة العرب وأعظمها خطرا . إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة أولا لتجانهم إليها وتعويلهم على الاعتصام لها لما يرجونه من رحمة الله تعالى وقد وردت فى القرآن الكريم مرتين الأولى كما ذكرنا والثانية فى قوله تعالى " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى " الشورى / ٧

## معاد والحاطمة :

وسميت أيضا : معاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها .

## الرأس والحرام وصلاح :

وسميت بالرأس وصلاح . كما سميت أيضا بالحرم والبلد الحرام . كما ثبت فى الصحيحين أن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .

وقد ذكرنا الحديث أنفا فى حرمة مكة .

**المحرم:**

وسميت بالمحرم كما في قوله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " " ١ "

**العرش والقادس والمقدسة:**

وسميت بالعرش لأنها حيال العرش ، والقادس لأنها تقدس أى تطهر من الذنوب .

**كوثى:**

وسميت بكوثى : وهى اسم بقعة كانت منزل بنى عبد الدار قديماً .

وقيل كوثى : ربّا هى التى يخرج منها الدجال ، ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام

وأبوها هو الذى احتضر نهر كوثى . " قاله الطبرى " .[١]

**البيت العتيق:**

وسميت البيت العتيق لأنه عتق من الجبابرة . قال تعالى :

" وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ " الحج/٢٩

قال تعالى :

" ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ " الحج/٣٣

---

٣- الروض الانف للهيلى ١/ ١٣٩ .

**البلد :**

قال تعالى :

" لا أقسمُ بهذا البلدِ وأنت حِلٌّ بهذا البلدِ ووالدٍ وما ولدَ لقدْ خلقنا الإنسان في كبدٍ " البلد من ١ / ٤

والبلد : هو مكة بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض ليكون مثابة لهم وأمنا يضعون عنده سلاحهم وخصومـا تهم ويلتقون فيه مسالمين : حرام بعضهم على بعض كما أن البيت وشجره وطيره وكل حى فيه حرام ثم هو بيت إبراهيم والد إسماعيل أبى العرب والمسلمين أجمعين .

**البلد الأمين :**

وسميت بالبلد الأمين كما فى قوله تعالى

" وَالتِّين وَالزَّيْتُون وَطُور سِينِينَ وَهَذَا البَلَدِ الأمين" التين / ١ - ٣

ويرجع سبب التسمية إلى أن أهلها كانوا يتقاتلون طوال العام ويحرمون القتال فى الأشهر الحرم فتكون أمان لكل من فيها وكل من دخلها . حتى أنهم كانوا يحرمون على الابن قاتل أبيه وعلى الأب قتل من قتل ابنه ، ولأن أهلها كانوا آمنين فى أنفسهم فى الشهور من أعدائهم ومن الوحوش والأفاعى .. وغيرها

وقيل بأن الله قد حرم على المسيح الدجال دخول مكة والمدينة وحرم فيها القتال والصيد لذلك سميت بالبلد الأمين .

**وادى غير ذى زرع :**

وتوصف بأنها واد غير ذى زرع . قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ "" إبراهيم ٣٧ "

**مكرب :**

ويذكر " برو كلمان " أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناه الهيكل.[١] بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مك فى البابلية بمعنى البيت .[٢] ويستفيد من جميع التسميات التى أطلقت على مكة أنها كانت فى أول أمرها مقاما دينيا أسسه إبراهيم ولهذا لا يستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أى مقدس ثم تحول إلى مكة .[٣] وهكذا تتعدد الأسماء وتعدد الأسماء دليل على شرف المسمى كما يقال .

---

١- برو كلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ١١/ ٢٣٣

٢- جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام / ٢٧٥.

٣- د / السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب



## الفصل الثانى

### فضائل مكة

اختار الله ﷻ مكة واصطفاها ، وجعلها خير وأشرف بلاد الأرض وأحبها إلى الله، كما ثبت بذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال وهو فى مكة :

" والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت " [1] .

وقد كتب علماء التاريخ والسيرة فى أخبار مكة وفضلها شيئاً كثيراً بين المخطوط والمطبوع

( ١ ) فمن ذلك: كتاب " أخبار مكة " لأبى الوليد الأزرقى(توفى ٢٥٠ )هـ ، وكتاب " أخبار مكة " للفاكهى( توفى ٢٧٥ )هـ وكتاب العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين و " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " كلاهما لتقى الدين الفاسى ( توفى ٨٣٢ )هـ ، وكتاب " إتحاف الورى بأخبار أم القرى " لعمر بن فهد المكى ( توفى ٩٢٢ )هـ وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام لعز الدين المكى ( توفى ٩٨٨ )هـ ، والجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيره المخزومى

( توفى ٩٨٦ )هـ والإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، لقطب الدين النهروالى ( توفى ٩٨٨ )هـ ومنائح الكرام فى أخبار مكة والبيت وولاه الحرام للسنجارى ( توفى ١١٢٥ ) هـ ، ودور الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، لعبد القادر الانصارى وكتاب الإبحار فى مناسك الحج وطريق الحجاز ، لرضوان رشوان وقد ألف كتابه هذا سنة ( ١٣٤٥ )هـ .

وقد عرضت هذه الكتب وغيرها بين مكثر ومقل لأخبار مكة المكرمة فتحدث مؤلفوها عن الحجر الأسود ( أصله وفضله ) ، وعن بناء بيت الله الحرام .

( نشأة وتاريخه ) وعن كسوة الكعبة على مر العصور وتتابع الدهور وعن مقام إبراهيم وما يتعلق به وعن زمزم ومالها من الفضل والمنزلة وأحكام مائها وتحدثوا . كذلك عن الصفا والمروة والسعى بينهما **وعلاقة** ذلك بقصة إسماعيل ﷺ وأمه هاجر

---

٤- رواه الترمذى .

وكتبوا عن " منى ومزدلفة وعرفات " وذكروا المسافات بين مكة وهذه الأماكن ، ووضعوا أبواب الحرم وأساطينه ، وعدد هذا وهذا كما وصف بعضهم نماذج للرحلات البرية القديمة على ظهور الإبل وشرحها على وجه التفصيل والبيان ووصف المتأخرون منهم الرحلات البحرية القديمة بالباخرة .

**وكان دافعهم جميعاً لتسجيل هذه الأخبار حبهم الشديد لبيت الله الحرام ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة .**

## وأما عن فضائل مكة :

**فقد ذكر العلماء لها من الفضائل والخصائص التى شرفها الله بها ولم يجعل شيئا منها لبلد سواه :**

### ❀ أول مسجد وضع فى الأرض بها :

**وهو أول مسجد وضع فى الأرض كما فى الصحيحين عن أبى ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض ؟**

**فقال : " المسجد الحرام " .**

**قلت : ثم أى ؟**

**قال : " المسجد الأقصى " .**

**قلت كم بينهما ؟ .**

**قال : " أربعون عاماً "[1]**

**وفضائل هذا المسجد لا تخفى على أحد وكفاه فخراً أن الصلاة منه بمائة ألف صلاة كما جاء فى الحديث الصحيح وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المسجد الحرام أفضل بقاع ومساجد الأرض على الإطلاق .**

من جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه[2]

---

١- متفق عليه .
٢- رواه أحمد وابن ماجة باسنادين صحيحين .

● أفضل الرسل أجمعين منها ..

ومن فضائلها أن الله قد اختار أفضل الرسل والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منها ، واختاره لنزول أفضل كتبه على الإطلاق وهو القرآن الكريم والذكر الحكيم ففيها بدء نزول الوحى وشهدت أولى أحداث وقائع الرسالة ..

## مناسك للعباد ..

ومن خصائص البلد الحرام أن الله جعلها مناسك لعباده ، وأوجب على كل قادر ومستطيع للإتيان إليها من قريب ومن كل فج عميق فلا يدخلونه إلا خاشعين خاضعين كاشفى رؤوسهم متجردين من لباس وزينة الدنيا .

## حرماً آمناً ..

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله قد جعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر له صيد ولا يقطع نباته الرطب ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف أبداً غير مقيد بزمن كلقطة غيره .

## يحط الخطايا ويمحو الذنوب ..

ومن فضائلها : أن الحج إليها وسيلة لحط الخطايا ومحو السيئات كما ثبت فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "[1] أى بغير ذنوب ولا سيئات . وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة "[2]

---

١ - رواه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم

٢ - متفق عليه

• **أقسم الله ﷻ بها ..**

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله ﷻ قد أقسم به في موضعين من القرآن الكريم فقال تعالى :

" والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " [١]

**وقال أيضاً :**

" لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد " [٢]

• **قبلة أهل الأرض :**

ومن فضائل مكة أن الله قد جعلها لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها وكل مصل وقائم وراكع وساجد لله يجب عليه أن يتوجه إليها في صلاته وإلا بطلت صلاته إذا توجه عامداً إلى غيرها مع قدرته على التوجه إليها .. قال تعالى :

" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره " البقرة/١٤٤

وقد عد جمهور الفقهاء التوجه إلى القبلة من شروط صحة الصلاة .

• **يحرم استقبالها أو استدبارها عند الغائط:**

ومن خصائصها : أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض تشريفاً لها . لحديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها " [٣]

---

٣- التين / ١-٣

٤ -البلد / ١-٢

٢- رواه أحمد ومسلم .

• **أم القرى ..**

وقد سماها الله ﷻ أم القرى ، فالقرى كلها لها تبع .. إظهارا لمنزلتها وعظيم قدرها .

### ۞ يعاقب على الهم بالسيئات فيها .

ومن خصائص البلد الحرام أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها قال تعالى :

" وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " الحج / ٢٥

وعلى هذا تكون الحسنة فى الحرم مضاعفة والسيئة كذلك مضاعفة .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله " أن السيئة فى حرم الله أعظم جرما من مثلها فى أى موضع آخر من الأرض " وقد جاء منصوصا من طريق ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال " من حج ماشيا كُتب له بكل خُطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟

قال : " الحسنة فيه بمائة ألف حسنة "[١]

### ۞ تهوى إليه القلوب :

ومن أعظم ما يختص به البلد الحرام أن القلوب تهوى إليه والأفئدة تميل إليه فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فكم أنفق فى حب مكة من الأحوال والأرواح ورضى المسافر لها شوقا مفارقة الأهل والأحباب والأوطان وتحمل فى سفره صنوفا من العذاب والمشقة والهوان ، والسر فى ذلك أن جعل بيته الحرام مثابة للناس أى يقومون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرا بل كلما سافروا إليه ازدادوا شوقا ومحبة إليه.

---

٤- أسند البزار _ الروض الأنف للسهيلى ج٢ /٢٣١.

* أحب بلاد الله إلى الله .

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة وقف على الحزوة وقال :

" إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى وأنك أحب أرض الله إلى الله . ولولا أن المشركين أخرجونى منك ما خرجت .

وقالت عائشة رضي الله عنها :

" لولا الهجرة لسكنت مكة فإنى لم أرى السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أرى القمر بمكان أحسن منه بمكة " .

وقال ابن أم مكتوم وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف :

يا حبذا مكة من وادى - أرض بها أهل وعوادى .

أرض بها ترسخ أوتادى - أرض بها أمش بلا هادى .

ولما قدم الرسول ﷺ المدينة هو وأبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

" كان أمرى مصبح فى أهله - والموت أدنى من شراك نعله " .

وكان بلال إذا انقشعت عنه رفع عقيرته .. وقال :

" ألا ليت شعرى هل أبيته ليلة - بفخ وعندى أذخر وجليل " ؟

" وهل أردنا يوماً مياه محبة - وهل يدون لى شامة وطفيل " ؟

ووقف رسول الله ﷺ عام الفتح على جمرة العقبة وقال :

" والله إنك لخير أرض الله وإنك لأحب أرض الله إلىَّ ولو لم أخرج ما خرجت إنها لم تحل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد كان بعدى ، وما أحلت لى إلا ساعة من نهار ثم هى حرام يعضد شجرها ، ولا يحنش كلا لها ولا تلتقط ضالتها إلا المنشد " .

فقال رجل : يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا فقال ﷺ إلا الأذخر "[1]

وروى فى الأثر أنه : " من صبر على حر مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام ، ووجد على حجر فيها كتاب فيه ".

أنا الله رب مكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحفظتها بسبعة أفلاك صنفاء لا تزال أخشابها مباركة لأهلها فى الحما والماء ، ومن فضائله أنه من دخله كان آمنا . ومن أحدث فى غيره من البلدان حدثا ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله فإذا خرج فيه أقيمت عليه الحدود ومن أحدث فيه حدثا أخذ بحدثه .

وقوله تعالى :

" وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا " القصص / ٥٩

وقوله تعالى :

" وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا " الأنعام / ٩٢ دليل على فضلها على سائر البلاد "

ومن شرفها أنها كانت لقاحا لا تدين لدين الملوك ولا يؤد أهلها إتاوة ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان تحج إليها ملوك حمير وكندا وغسان ولخم فيدينون لحمس ( وهو من الحماسة والتحمس : مذهب القرشيين المتشدد فى الجاهلية ، وقد أبطله الإسلام ) من قريش ويرون تعظيمهم والاقتداء بآثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما ، وكان أهله آمنين يغزون ويتسبون ولا يستبون ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهرا ولا يجال عليها السهام ، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم :

أبوا دين الملوك فهم لقاح * إذا هيجوا إلى حرب أجابوا .

---

١- متفق عليه .

وقال الزبير : " فبان من بدر لرجل من بنى عوف كان قد هجا أبا جهل وتناول قريشا :

أتدرى من هجوت أبا حبيب * سليل خضارم سكنوا البطاحا .

أزاد الركب تذكر أم هشام * وبيت الله والبلد اللقاحا ؟

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء متآلفين ومتمسكين بكثير من شريعة إبراهيم عليه السلام ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب ، وكانوا يختنون أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويكعنون قوتاهم ويغتسلون من الجنابة ، وتبرأ وامن الهر بزة " لاهى المجوسية والله أعلم " .

وتباعدوا عن المناكح فى البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيرة وبعدا من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثا ، وذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقال :

" كان الرجل يطلق آمراته تطليقه ثم هو أحق بها ، فإن طلقها اثنتين فهو أحق بها أيضا فإن طلقها ثلاثً فلا سبيل له إليها ولذلك قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طالقه * كذلك أمور الناس غادٍ وطارقة .

وبينى فقد فارقت غيرى ذميمة * وموموقه منا كما أنت وامقة .

وبينى فإن البين خير من العصا * وأن لا ترى لى فوق رأسك بارقة .

## الفصل الثالث
## حرمة مكة المكرمة

إن مكـة المكرمـة كـانت معلومـة الحرمـة فـى الجاهليـة وصـدر الإسـلام وتحريـم مكـة المكرمـة كـان قبـل إبراهيـم عليه السلام بدلالـة قولـه تعـالى علـى لسـان إبراهيـم : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ " " إبراهيم ٣٧ " وإبراهيم عليه السلام بعد بنـاءه البيت مـع ولـده إسـماعيل عليـه السـلام أعلـن تحريـم مكـة المكرمـة ودعـا ربـه أن يجعلـها بلـداً آمنـا فاستجاب الله تعالى لـه .

قال تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " البقره ٢٥

قال الله عز وجل : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " إبراهيم / ٣٥

ولما جاءت حادثة الفيل التى تحدث عنها القرآن الكريم :

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ "

الفيل من ١ إلى ٥

عظمـت مكـة فـى نفـوس العـرب وازدادت مكانتـها رفعـة خاصـة بعدمـا علمـوا عن سبب هذه الحملـة الشرسـة كما عظمت مكانـة أهـل مكـة خاصـة عبد المطلب الذى لم يخرج من مكة حيث عظمت مكانتـه عنـد أهـل مكـة بالذات ، وقال الله تعـالى علـى لسان رسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ : " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا "

النمل / ٩١

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة المكرمة :

" إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة.."[1] .

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة المكرمة :

" إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من النهار لا يختلى خلالها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف "[2]

وقد أباح الشارع الحكيم لأهل مكة الأذخر حيث جاء فى حديث ابن عباس وكذا فى حديث أبى هريرة ﷺ فقال العباس :

" إلا الأذخر فإنه لقينهم وبيوتهم " .

وفى رواية : " فإنه لصاغتنا وقبورنا " وفى أخرى : " فإن نجعله لقبورنا وبيوتنا " فقال رسول ﷺ :

" إلا الأذخر "[3]

وقد جعل الله ﷻ أبغض الناس إليه الملحد فى الحرم فقال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " الحج ٢٥

فمن هم فى الحرم بأمر فظيع من المعاصى الكبار من شرك أو بدعة أو معصية أو عمل سيئ أو ما يستحل فيه حرمة الحرم .. فما فوق ذلك عامدا ظالما أذاقه الله العذاب الأليم .. وهذا ما حدث مع أصحاب الفيل وغيرهم جعلهم الله عبرة ونكالاً لكل من أراده بسوء .

---

[1] متفق عليه .
[2] متفق عله واللفظ للبخارى .
[3] متفق عليه .

# الباب الثانى
## مكة وقريش فى التاريخ واللغة

وتاريخ مكة الحقيقى يبدأ أيام قصى بن كلاب بن مرة القرشى الذى تولى أمر مكة حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى أما ما قبل ذلك فليس لدينا ما نعتمد عليه فى إثباته أو نفيه غير روايات الإخباريين وهم إسلاميون أو مخضرمون ، والمدة بعيدة بينهم وبين هذه العهود بخلاف الأمر فى حالة قصى وقبيلة قريش التى استقرت فى مكة ونهضت بها وجعلت منها مدينة ذات مركز اقتصادى ودينى وأدبى ممتاز وأصبحت فى عهدها تتمتع بتوجيه عربى عام فى أواخر القرن السادس وأوائل السابع حين ظهر الإسلام .

وبين قصى وظهور الإسلام لا تزيد عن مائة وخمسين عاما وهى مدة كانت حال قريش فيها منفصلة فى مكة ولا يمكن أن تنسى فيها الأحداث وبخاصة إذا قدرنا ما للذاكرة العربية من قوة وما لقيمة التمسك بالنسب ولحمة الدم من سلطان يجعل الناس يحتفظون بذكر آبائهم والأحداث التى ارتبطت بهم وقد يعطون ذلك بعض المبالغة ولكنا على أى حال نستطيع من مختلف الروايات أن نصور الوضع تصويرا نقرب به كثيرا من الحقيقة إن لم نصل إليها .

# الفصل الأول
## تاريخ مكة

ويروى لنا التاريخ أن مكة قد عرفت من أحقاب طويلة ممعنة فى القدم حتى قبل عهد إبراهيم عيه السلام فقد كانت الكعبة مثابة للناس قبل بناء إبراهيم وبالتحديد منذ أن هبط آدم من السماء وبنى فيها البيت ...

ومن جهة أخرى فقد ثبت أن مكة قد استقبلت هجرات سابقة من بلاد العرب المختلفة تعددت فيها أنواع المهاجرين من أجناس البشر .

كما تدل الدراسات الجيولوجية التى أجراها الباحثون أن مكة وما حولها من مساحات تشمل جزيرة العرب التى كانت فى عهد من عهود التاريخ المجهولة مروجاً خضراء آهلة بالسكان لأن غيوم الرياح الغربية الشمالية كانت تصل إلى الجزيرة العربية قبل أن تفقد رطوبتها فتنهال الأمطار على قممها العالية وتجرى فى ودیانها الأنهار وتروى أراضيها وتسقى مروجها

غير أن كثيراً من المؤرخين اعتبروا أن هجرة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى مكة بداية واضحة لتاريخ مكة لأن أهم ملابسات الهجرة وظروفها وردت واضحة فى القرآن الكريم .

والمعروف أن إسماعيل قدم مكة وهى إذ ذاك فلاة يثبت فيها السلم والمر وبها ناس يقال لهم ( العماليق ) وكان البيت أو الكعبة يومئذ ربوة حمراء .

وقصة إسماعيل وأمه هاجر وقدومهما إلى مكة معروفة ، فبعد أن ضاقت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام بجاريته هاجر وابنها طلبت من زوجها أن يقصى الولد وأمه ، وقد كانوا جميعاً ينزلون فى مشارف الشام فارتحل عنها ومعه إسماعيل وهاجر ليبلغا البقعة التى اختارها الله لمنزل

إسماعيل فيضع إبراهيم وديعته فى ظل دوحة فى بطن الوادى من مكة على خطوات من الربوة الحمراء حيث رفعت قواعد البيت فيما بعد : يقول تعالى :

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " البقرة / ١٢٧ - ١٢٨

ثم عاد إبراهيم راجعاً إلى داره واتبعت هاجر أثره قليلاً ثم قالت إلى من تتركنى وابنى ؟ قال : " إلى الله عز وجل "

قالت :

" إذا فلن يضيعنا الله أبداً وهو أرحم الراحمين ".

أجل لقد تركها إلى الله تعالى وقد رأينا قدرته جل وعلا تتجلى فى هذا العالم الزاخر من ذرية إسماعيل ورأينا تلك الدوحة التى أظلته يوما تنبثق عنها أمة كان لها كيانها وكان لها دورها فى فتح العالم وكشف حجب الظلام ونشر الدين وكانت هذه القلوب المؤمنة الموحدة ثمرة دعوته المباركة قال تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " إبراهيم / ٣٧

ولما اشتد بهاجر العطش وتصايح وليدها إسماعيل يبغى شربة ماء نظرت ما حولها وسعت فى الأرض تبحث عن ماء تطفئ به حرها وتروى غليل ابنها وتكرر سعيها وهرولتها فى وسط الوادى بين جبلين هما ( الصفا والمروة ) حتى فعلت ذلك سبعاً وعندها سمعت صوتا ثم خرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله الأرض فظهر ماء فوق

الأرض فكانت ( زمزم ) بل كانت مكة وكانت هذه القبائل من عدنان ثم كانت قريش وكان بنو هاشم ومنها سطع نجم أضاء ثناه مشارق الأرض ومغاربها وكان الإسلام وكانت أعلامه وراياته التى خفقت فيما بعد فى أكبر وأوسع بقاع العالم .[1]

---

[1] اخبار مكة للأزرقى  تاريخ مكة / أحمد السباعى .

# الفصل الثانى
# قريش فى اللغة

ولعله من المفيد أن نلقى الضوء على اسم قريش قبل أن نذكر أصل تجمعهم ولم يصل الباحثون لرأى حاسم فيما يتصل باسم قريش وللطبرى نص طويل [1] يفهم منه أنه اسم شخص بل اسم سمكة ربما كانت ( طوطم )[2]، قريش أو صفة أطلقت على بعض زعمائها الأولين مثل النضر بن كنانة ، وقد أجمل الطبرى ذلك فى قوله :

" سميت قريش قريشا بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وبه سميت قريش قريشا لأن عير بنى النضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عير قريش : قالوا : " وكان قريش هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم وصاحب نصرتهم وكان له ابن يسمى بدراً "

وقال ابن الكلبى :

" إنما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة "

وقال آخرون : إنما سمى بنوا النضر بن كنانة قريشا ، لان النضر بن كنانة خرج يوما على نادى قوق ، فقال بعضهم لبعض : انظروا النضر كأنه جمل قريش وقيل : إنما سميت قريش قريشا بداية تكون فى البحر تدعى القرش فشبه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم دواب البحر قوة وقيل : أن النضر بن كنانة كان اسمه قريشا.

---

[1] الطبرى جـ ٢ / ١٨٧ ابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب / ١٠ مصعب الزبيرى نسب قريش / ١٢ ابن دريد الاشتقاق / ١٨ أبو الفرج الأصبهانى الأغانى جـ ١ / ١٢ الأزرقى جـ ١ / ٦١ .

[2] طوطم من الطوطمية : عبادة بدائية يعتقد من الناس أنهم شيئا معينا ـ حيوان مثلا من أصل واحد ويتخذونه رمزا معبودا لهم ، ولهم طوطم عام وآخر فردى لكل إنسان فى القبيلة ( راجع د / على عبد الواحد وافى ) " الطوطمية " دار المعارف ـ مصر .

وقيل : " بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصى بن كلاب " فقيل لهم : " قريش من أجل التجمع وهو التقرشى " .

فقالت العرب : " تقرش بنو النضر أى تجمعوا " .

أو قيل : " إنما قيل قريش ، أجل أنها تقرشت عن القارات ".

وعن محمد بن سعد : سميت قريش قريشاً ، من اجتمعت إلى الحرم من تفرقها فذلك التجمع التقرشى ، قال عبد الملك : ما سمعت هذا ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له القرش ولم يسم قريش قبله .[1]

وفى لسان العرب يقول ابن منظور :[2]

" وقريش دابة فى البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه ".

وفى حديث ابن عباس فى ذكر قريش قال : هى دابة تسكن البحر تأكل دوابه .

قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا

وقيل : " سميت بذلك لتقرشها " أى تجمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها فى البلاد حين غلب عليها قصى بن كلاب وبه سمى قصى مجمعاً .

وقيل : " سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن نهر كان صاحب عيرهم " فكانوا يقولون : " قدمت عير قريش وخرجت عير قريش " .

وقيل : سميت بذلك لتجرها وتكسبها وضربها فى البلاد تبتغى الرزق .

---

[1] انظر ياقوت ومعجم البلدان ٥/ ١٨٣ ـ ١٨٥.

[2] انظر : أخبار مكة . للأورقى ج١ ص٣٣ وما بعدها ـ معجم البلدان : لياقوت ( مادة كعبة ج٨ ص ٤٦٣ وما بعدها .

وقيل : " سميت بذلك ، لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع " وزرع من قولهم : فلان نيقرشى المال أى يجمعه .

وقال سيبويه : " ومما غلب على الحى قريش " قال : " وإن جعلت قريشا اسم قبيلة معربى " قال غبر بن الرفاع يمدح الوليد بن عبد الملك :

غلب المساميح الوليد سماحة * وكفى قريش المعضلات وسادها

وإذا نشرت له الثناء وحدته * ورث المكارم طرفها وبلادها .

وكان يقال لقصى بن كلاب القرشى ولم يسن قريش قبله فحاز قصى شرف مكة وأنشأ فيها دار الندوة وفيها كانت قريش تقضى أمورها .

ولما جمع قصى قريشا بمكة سمى مجمعا وفى ذلك يقول خذاعة بن غانم الجمحى يمدحه :

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من قهر .

هم نزلوها والمياه قليلة * وليس بها إلا كهول بنى عمر .

ويقال : " من أجل تجمع قريش إلى قصى سميت قريش قريشا "



# الفصل الثالث
# قريش في التاريخ

وتحقق دعاء خليل الله إبراهيم فبارك الله فى ذريتهما وتوسعت الأسرة الإبراهيمية العربية ، فقد صاهر إسماعيل جرهم .[1]

وكانوا من العرب العاربة ، وبارك الله فى ذرية إسماعيل حتى كان منه عدنان وتناقلت العرب العدنانية أنسابها وهو أكثر الأنساب العربية صحة وحفظا وتداولاً .

وكثر أولاد عدنان ، اشتهر منهم معدين عدنان وتبع فى أولاده مضر .

وتبع من أولاده فهر بن مالك .

وسمى أولاد فهر بن مالك بن النضر " قريشا " وغلب هذا الاسم على جميع الأسماء فاشتهرت هذه القبيلة بـ " قريش " وأقر أهل العرب كلهم بعلو نسب قريش ، والسيادة وفصاحة اللغة ، ونصاعة البيان ، وكرم الأخلاق والشجاعة والفتوة ، وذهب ذلك مثلا لا يقبل نقاشا ولا جدلاً .[2]

**قصى بن كلاب وأولاده :**

ومن أولاد فهد قصى بن كلاب .

وظل أمر مكة لجرهم حتى غلبهم على ذلك خزاعة وكانت سدانة البيت فيهم إلى أن عظم شأن قصى بن كلاب وظهر فضله فانتقلت إليه واقتضت له قريش وأحلوا خزاعة من مكة وتم له أمر مكة ، وكان سيداً مطاعا ، كانت إليه حجابة البيت وعند مفاتيحه فلا يدخل أحد إلا بإذنه وسقاهم

---

[1] قيل : إن جرهم كانت أولى القبائل العربية التى أقامت بمكة ، وقد استهواها للمقام هناك وجود ماء لا ينقطع ، وجاء فى بعض الروايات أنها كانت هناك قبل أن يترك إبراهيم زوجه هاجر وابنه إسماعيل فى هذا الوادى .

[2] أقرأ للتفصيل السيرة النبوية لابن هشام ق أو كتب السيرة والأنساب

زمزم والرفادة والندوة التى يجتمعون فيها للمشورة ، والرأى واللواء فى الحرب ، فحاز شرف مكة كله .

وتنبل فى أولاده عبد مناف ، وكان هاشم أكبر أبناء والده عبد مناف وكان كبير قومه ، وكانت عنده السقاية والرفادة وهو والد عبد المطلب جد الرسول ﷺ وقد ولى عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه المطلب بن عبد مناف وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

فيذكرابن هشام أن قصى بن كلاب هو الذى غلب على أمر مكة وجمع قريش فيقول : قال ابن اسحاق : " فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفه كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم . فأتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة " ، فقال : " لنحن أولى بهذا منكم فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك " .

**قصى يقاتل خزاعة وبنى بكر :**

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح وإلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب ، فحكموا يعمر إبن عوف بن كعب بن عامر بن لبيب بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم

أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر : موضوع يشدخه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلى بين قصى وبين الكعبة ومكة .
فسمى بعمر بن عوف يومئذ : الشداخ ، لما شدخ من الدماء ووضع منها.

## قصى يتولى أمر مكة :

قال ابن إسحاق : " فولى قصى البيت وأمر مكة " ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه . إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره ، فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله .

فكان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب مُلكا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة ، والندوة : واللواء . فحاز شرف مكة كله وقطع مكة وُباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها .

ويزعم الناس أن قريشا هابوا شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده وأعوانه فسمته قريش . مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء كحرب قوم من غيرهم إلا فى داره . يعقده لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره . يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها .

فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ، ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها .

**قال ابن هشام : قال الشاعر :**

قصى لعمر كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر .

قال ابن إسحاق : " حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه " قال :
" سمعت السائب بن ضباب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب وهو خليفة حديث قصى بن كلاب وما جمع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .[1]

**بنو هاشم :**

وكان بنو هاشم واسطة العقد فى قريش ، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السير من أخبارهم وأقوالهم ( وهو قليل من كثير جداً ) ، اسند للنابه على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة ، والاعتدال فى كل شىء ورجاحة العقل وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله ، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق ، وعلو الهمة ، والعطف على الضعيف والمظلوم ، والسخاء والشجاعة ، وما تشتمل عليه كلمة " الفروسية " عند العرب ، من معان كريمة وخلال حميدة ، السيرة التى تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ وتتفق مع ما كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق ، غير أنهم عاشوا فى ومن الفترة وسايروا أنباء قومهم ، فى عقائد الجاهلية وعباداتها .

---

[1] الروض الأنف للهيل فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ح ١ صـ ١٤٧ ـ ١٤٩ .

# الفصل الرابع

## مركز مكة الدينى

تضرب مكة فى القدم إلى إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وهى قصة البلاد الحجازية ولم يكن يأوى أحد قبل إبراهيم وابنه إسماعيل لأنها واد غير ذى زرع اللهم العماليق والهكسوس فقد كانوا يسكنون الحجوب فى شمالى مكة ثم جاوروا إسماعيل وأمه لما أتاح الله لهما بئر زمزم وكان إبراهيم يختلف إليهما من حين لآخر إذ كان يسكن فلسطين ثم أمره الله أن يبنى البيت الحرام ويجعله " مصلى " :

" وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" البقره / ١٢٥

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " البقره / ١٢٦ ـ ١٢٩

فلما أتما بناءها أمر الله إبراهيم أن ينادى الناس ليحجوا هذا البيت ويقصدوه بالتعظيم .

" وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ " الحج / ٢٧ ـ ٢٨

## مركز مكة السياسى:

كان يحكم مكة الأشراف مجاوروا البيت الحرام وكانوا يتولون خدمة البيت وقاصديه فكانوا بحكم مركزهم الدينى مهيبين فى عين الناس لا تتطاول إليهم العيون ولا تنال منهم الظنون لا يحاربون ولا يتحاربون من دخل بلدهم كان أمناً حتى لقد يلقى الرجل قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه وهو بالحرم فلا يرفع له رأساً ولا يضمر له شراً احتراماً للبيت الحرام والبلد الحرام لهذا هرع الناس من كل فج إلى مكة يطوفون حول الكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ويقبلون الحجر الأسود حيث يمثلون الطاعة والإقرار بالعبودية لله ويؤدون مناسكهم أمنيين مطمئنين وأهمها الوقوف بعرفات وهو أشبه بمؤتمر هام وهناك كانوا يختلطون ويتزاحمون على اختلاف لهجاتهم وتباين قبائلهم .

## مركز مكة التجارى:

لا عجب أن يكون بلد كمكة قبلة العرب ومفخرهم وملاذهم ومتابتهم الحركة فيها لا تنقطع والرحلة إليها دائمة لا تمتنع تضرب إليها آباط الإبل يستحثها السوق إليها وتساق إليها القوافل فلا يرثى لها من حضن أو كلالة حتى تصل إلى غايتها لا عجب أن تكون سوق التجارة فيها نافعة وصفقتها رابحة غير خاسرة وإذا كان رواج التجارة أو كسادها يرجع إلى ما يسمى " بالعرض والطلب " فإن تجارة مكة لا يتطرق إليها الكساد والبوار بل يغنم كل من يؤمها للحركة الدائبة فيها ولمركزها الجغرافى الذى جعلها بحاجة دائمة إلى مدد غيرها ناهيك بالألوف التى كانت تفد إليها من الرحلات المتعددة شتاء إلى اليمن وصيفاً إلى بُصرى وحُوران وربما ضربوا إلى الحبشة وفارس ، كل أولئك جعل لها مركزاً تجارياً ممتازاً .

فكانت عنايتها بالتجارة تفوق كل شرفائهم وذو المكانة فيهم يتقدمون صفوف القوافل الغانية والرابحة بين مكة والبلدان التى لها معها علامة تجارية ولذا أنزل الله فيهم سورة أبانت عن حرصهم على التجارة وعنايتهم بها وسميت باسمهم :

" لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " قريش / ١ - ٤

وقال تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ " العنكبوت / ٦٧

وقال تعالى :

" وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا " القصص / ٥٧

وكانوا بحكم مركزهم الدينى محترمين لا يتعرض لهم أحد بسوء فى حلهم وترحالهم فزكت تجارتهم واتسعت مواردهم واشتدت بها عنايتهم .

فلما جاء الإسلام أباح التجارة فى الحج فليس هناك حرج فى ذلك :

" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ "

البقرة / ١٩٨

وكانت أشهر الحج عندهم أشهر حرماً ، يعقدون فيها أسواقهم التجارية بجانب البيت وداخل حدود الحرم والناس يهرعون إلى هذه الأسواق ويؤمونها من جهات الجزيرة البعيدة ليقضوا منها حاجتهم ، ويتزودوا لقومهم ، وقد ذكرت أسواق كانت فى مكة يستدل بها على ما وصلوا إليه من مدنية وتطور . منها سوق العطارين ، وسوق الفاكهة ، وسوق الرطب ، وكان مكان للحجامين والحلاقين وكانت رحبة واسعة

كانت تباع فيها الحنطة والسمن والعسل والحبوب يحملها العير من الخارج وكانت اليمامة ريف مكة [1]

وكان زقاق للحذائين ، وسوق للبزازين . وكانت لأهل مكة منتزهات ينتجعها المكيون فى الأصائل ، من شهور القيظ وكانت المتنعمون فيهم يشتون بمكة ويصطافون بالطائف ، وكان كثير من فتيانهم تشتهر بالأناقة فى الحياة والتجمل فى اللباس وكانت كسوة بعضهم تقوم عينات من الدراهم ولما نشطت الحركة التجارية فى مكة ، فكان تجارها يتجولون فى بلاد كثيرة من إفريقيا وأسيا ، ويحملون من كل بلد ما يستطرف ويستظرف فيها ، وما تشتد إليها الحاجة فى بلادهم .

فكانوا ينقلون من أفريقيا الصمغ ، والعاج ، والتبر ، وخشب الأبنوس

ومن اليمن الجلود والبخور والثياب ، ومن العراق التوابل ومن حاصلات الهند الذهب ، والقصدير ، والحجارة الكريمة ، والعاج وخشب الصندل والتوابل والزعفران ، ومن مصر والشام الزيوت والغلال والأسلحة والحرير والخمور

وكانوا يرسلون إلى بعض الملوك والأمراء ما يُستطرف من بضائع مكة وكان من أعجب ما يختار منها الأدم ، وهى الجلود ، كما فعلت قريش حين بعثت إلى النجاشى ، ملك الحبشة .عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، ليستردا من هاجر من المسلمين إلى الحبشة ، فأرسلوا معهما من الهدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان الأدم .

وكانت من النساء تاجرات ، لهن نشاط فى إرسال القوافل التجارية إلى الشام وغيرها ، اشتهرت فيهن خديجة بنت خويلد ، والحنظلة أم أبى جهل يشير إلى ذلك

---

[1] لذلك لما منع ثمامة بن أثال . سيد بنى خنيفة . حمل الحنطة إلى مكة بعد ما أسلم ، جهدت قريش وكتبوا إلى رسول لله ﷺ يسألونه أن يكتب إلى ثمامة يخلى إليهم حمل الطعام . ففعل رسول الله ﷺ ( زاد المعارج / ٣٧٧ رواه مسلم فى صحيحه ) .

قولــه تعــالى :

" للرّجال نصيبٌ ممّا اكْتسبُوا وللنّسـاء نصيبٌ ممّا اكْتسبْن " نساء/٣٢

**الحالة الإقتصادية والمكاييل :**

وهكذا فـاقت مكـة فـى التجـارة وأثـرى كثـير مـن أبنائـها وتضخمـت رؤوس أموالـهم ، يـدل علـى ذلـك أن عـير قريـش التجاريـة التـى كـانت عـائدة مـن الشـام عنـد غزوة بـدر بلغت ألـف بعير ، وبلـغ المنقـول علـى أثقالـهم خمسـين ألـف دينـار .

وكـانوا يتعـاملون بالعملـة الرومانيـة البيزنطيـة والعملـة الإيرانيـة الساسـانية وكـانوا يسـتعملون الموازيـن فـى أسـواقهم والمكـاييل منـها الصـاع والمـد والطـل والأوقيـة والمثقـال ويعرفـون مـن مفـردات أثقالـهم أنواعـا كثيرة وعندهم علـم بالحسـاب اعتمـد عليـه القـرآن فـى ذكـر السـهام والفرائـض [1]

**الصناعات والثقافة والآداب فى مكة :**

ولم تكـن للصناعـات مكانـة كبيرة عنـد أهـل مكـة ، بـل كـان عندهـم نـوع احتقـار لـها ، وتعبر منـها ولـم يباشـرها فـى عامـة الأحـوال إلا المـوالـى وأبنـاء العجـم إلا أنـه قـد وجـد بعـض صناعـات كـانوا مضطريـن إليـها ، ومارسـها بعـض أبنـاء مكـة والعـرب ، فقد روى أن حبـاب بـن الأرث كـان قينـا يعمـل السـيوف ، وكـانوا يلجـأون إليـه فـى صناعـة البتـار وكـان لابـد منـه إلـى عمـال مـن الـروم أو الفـرس . وكـان منـهم كتـاب يعرفـون الكتابـة والقـراءة وأن كـانت الأميـة عاليـة عليـهم ولذلـك سـماهم القرآن بـ " الأميين " فقـال تعـالى :

" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ " الجمعة/٢

---

[1] نفس المرجع السابق ١٠١ – ١٠٣.

وكـانت مكـة وأهلـها مثـلاً فـى الجزيـرة العربيـة فـى سـلامة الـذوق والظرف والأناقة شأن العواصم والمدن الرئيسية فى كل قطر ، عريقـة فـى الآداب ، أما لغتهم فكـانت هى الميزان وهـى المرجع وعليها الاعتماد فـى سـائر أطـراف الجزيـرة ، وكـانوا أبلـغ العـرب وأفضلـهم وأصحـهم تعبـيراً ونطقـاً ، وأبعدهـم عـن الهجنـة أوالرطانـة وتـأثير الاختـلاط بـالعجم ، وكـان حظـهم مـن تناسـب الأعضـاء واعتـدال الخلـق والخلـق والالـتزام وحسـن الشـارة ، أكـثر مـن النواحـى الآخرة حتـى كـانوا شـامة بيـن النـاس يجمعـون بيـن الصفـات التـى يسـمى مجموعـها بـ " الفتـوة والمـروءة " وتغنـى بـها شـعراء العـرب وخطبـاؤهم لذلـك كـانوا أئمـة النـاس فـى الشـر والخـير .

وكـان أكـثر عنايتـهم بالإنسـان وأخبـارهم ثـم بالشـعر ثـم بـالنجوم والأنـواء وشـىء يسـير مـن الطـب يقـوم علـى التجربـة ، والتنـاقل وشـىء كثـير مـن حليـة الخيـل والمعرفـة الدقيقـة بأعضائـها وصفاتـها والتفـرس بالرجـال والخيـل وشـاعت فيـهم طـرق للعـلاج ، كـالكى ، والبـتر ، والفصـد ، والحجامـة وتنـاول الأدويـة .

## القوة الحربية :

أمـا قـوة مكـة الحربيـة ، فكـانت قريـش تؤثـر السـلم والـهدوء فـى عامـة الأحـوال إذا تركـت ، وشـأنها شـأن الشـعوب والمجتمعـات التـى أكـبر اعتمادهـا فـى الكسـب والمعـاش علـى التجـارة ، وبسـير القوافـل ، وتنظيـم الأسـواق ، وتوجـه الـرواد مـن كـل صـوب إلـى بلدهـا ، والتقـائـهم التقـاء يفيدهـا إجـلالاً دينيـاً وفـائدة اقتصاديـة ، ويـدر عليـها الأرزاق الكريمـة ، وإلـى ذلـك أشـار الله تعـالى بقولـه تعـالى "

" فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " قريش / ٣ ، ٤

لذلك كانت قريش ما لم تتحد عقيدتها ولم تثر غيرتها الدينية أو القبلية تؤمن بمبدأ " التعايش السلمى " ولكنها رغم كل ذلك كانت قوة حربية يحسب لها الحساب ، وكانت شجاعتها مضرب المثل ، وكانت مشهورة بالفروسية العربية و" الغضبه المضربه " معروفة فى جزيرة العرب وادابها وأمثالها .

ولم تكتف قريش بقوتها الذاتية فى الحرب ولكنها تستخدم قوة الأحابيش وهم بطون من القبائل العربية الضاربة حول مكة ، من كنانة وخزيمة بن مدركة ، وخزاعة تخالفوا مع قريش ، وكان لقريش عدد كبير من العبيد والموالى ، الذين كانوا يقاتلون فى صفوفها ، فكانت تستطيع أن توجه إلى القتال بضعة آلاف مقاتل وقد استطاعت أن تجمع عشرة آلاف مقاتل فى غزوة الأحزاب ، وهى أكبر قوة حربية عرفها تاريخ الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى .[1]

**أثر هذه الأحوال فى لغة قريش :**

مركز مكة الدينى والسياسى والتجارى الذى رفعها إلى مقام الزعامة فى الأمة العربية جعل للغتها الزعامة على لغات العرب أيضا فالعرب الذين كانوا يؤمون مكة فى المواسم ويختلطون بأهلها ثم يتقلبون إلى ديارهم والخائفون الذين كانوا يلجئون إلى حمايتهم فيكون لهم فيها الملاذ الأعلى والحمى المنيع والتجار الذين كانت تسبل بأعناق مطيهم الأباطح غادين رائحين كل أولئك ما كانت مهنتهم لتقتصر على ما إليه قصدوا بل كانوا فوق ذلك يتخرجون فى مدرسة مكة اللغوية فتتصف ألسنتهم وتصقل لهجاتهم وتتهذب لغتهم فإذا ارجع أولئك البعوث إلى أقوامهم رجعوا بفضل كبير وتجديد فى لغتهم عظيم ذلك أن لغة مكة كانت هى

---

[1] السيرة النبوية للندوى / ١٠٦ & ١٠٧ .

المثل الأعلى للغاتهم لما علمت من مكانتها الدينية والسياسية والتجارية تلك المنزلة التى مكنت لأهلها أن يختلطوا بكل القبائل فيأخذوا أحسن ما عندها من ألفاظ فيها كثير من الحوش أو المبتذل أو الغريب الذى يكد لغتهم ويجهد الخاطر .

هذه العملية عملية المحو والإثبات فى لغة قريش أو عملية التهذيب والتصنعية المتكررة جعلتها سهلة المنطق خفيفة على السمع حسنة الجرس فكانت المثل الأعلى للغات العربية وكانت لها عليها فضل الأستاذية فلا عجب أن كانت هذه المنزلة فى الجاهلية مرشحة لها أن تكون سيدة اللغات فى الإسلام نزل بها القرآن الكريم فجعلها لغة الدين والعلم إلى اليوم .[1]

## كبرى مدن الجزيرة وعاصمتها الروحية والاجتماعية :

وبهذا المركز الدينى والمكانة الاقتصادية وقيادة النشاط التجارى والتقدم فى المدنية والآداب أصبحت مكة كبرى مدن الجزيرة العربية وبدأت تنافس صنعاء اليمن فى زعامة الجزيرة بل إنها تفوقت عليها بعدما حدث باليمن من استيلاء الحبشة عليها وتملك الفرس لها فى منتصف القران السادس المسيحى وفقدت مملكة الحيرة ومملكة غسان الشئ الكثير من العظمة والأبهة ،فأصبحت مكة بعد ذلك كله هى عاصمة جزيرة العرب الروحية والاجتماعية من غير منافس ولا مشارك .[2]

---

[1] مجلة منبر الإسلام ـ العدد ١٢ لسنة ٣٢ ذو الحجة ١٣٩٤ هـ سبتمبر ١٩٧٤ م .
[2] السيرة النبوية للندوى – ١٠٧ .

# الباب الثالث

## " مكانة البيت الحرام "

إن بيوت الله مواطن الشرف والخير والبركة ومعاقل العبادة والقداسة والكمال ومعاهد الإشعاع والمعرفة بواجبات المخلوق تجاه خالقه ثم نفسه .

والبيت الحرام فى مكة المكرمة هو مركز العطاء فى كل ما عرفت البشرية منذ القدم وما يجب أن تعرفه وتتسم به من توحيد الله والإيمان به والوقوف على منهجه الحق فى معاشها ومعادها وما يرسمه لها فى حياتها صلات وعلائق وأهداف ووسائل وعقائد وشرائع وأخلاق وسلوك ووظائف ومهام ...

من حيث كان البيت العتيق مثوى الإيمان ومثابة الوحى الذى طالما تتنزل فى رحابه وترد فى أرجائه وتمثل فى مناسكه ومشاعره آيات مباركات وصلوات خاشعات وطواف دائم وسعى دائب ووقوف رائع باهر

ومن ثم كان طبيعياً أن يهيئ الله لهذا البيت المعظم من يرفعون بنياته ويتعهدونه بالتجديد والتحسين والتوسعة والإضافة والصيانة والرعاية اللائقة به حسبما تقتضيه ظروف كل عصر من الإمكانات والطاقات البشرية والمادية وما وصل إليه العلم فى مجالات العمارة والهندسة والفن .

وما كان لأصل الإيمان أن يدخروا فى ذلك وسعا سيما وأن البيت العتيق يحتل من ذواتهم مكانة فى القلب وقداسة وجلالاً واحتراماً وحباً .

وإذا تأملنا قوله تعالى :

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا " البقرة/ ١٢٥

ترى أن الله سبحانه وتعالى قد جعل البيت محلاً تشتاق إليه النفوس وتحن إليه القلوب استجابة لدعاء الخليل إبراهيم ﷺ عندما دعا ربه قائلا :

" فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ " إبراهيم

وقد ورد فى فضل الصلاة فى المسجد الحرام أن رسول الله قال :

" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " (١)

وقال صاحب تفسير المنار : " قوله تعالى :

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا " البقرة/ ١٢٥

المعنى واذكر أيها الرسول أو أيها الناس

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا " البقرة/ ١٢٥ أى ذا أمن بأن خلقنا بما لنا من القدرة فى قلوب الناس من الميل إلى حجة والرحلة إليه المرة بعد المرة من كل فج وصوب ..

يذكر الله تعالى - العرب بهذه النعمة أو النعم العظيمة وهى جعل البيت الحرام مرجعاً للناس يقصدونه ثم يثوبون إليه وأمنا لهم فى تلك البلاد التى يتخطف الناس فيها من كل جانب .

وبدعوة إبراهيم عليه السلام للبيت وأهله المؤمنين وفى هذا التذكير ما فيه من الفائدة فى تقرير دعوة النبى ﷺ وبيان بنائها على أصول ملة إبراهيم الذى تحترمه قريش وغيرها من العرب وقد اختار المثابة على القصد والمزار لأن لفظ المثابة يدل على القصد وزيادة فإنه لا يقال : ثاب المرء إلى الشىء إلا إذا كان قصده أولاً ثم رجع إليه ..

---

١- متفق عليه

وكذلك جعله امنا معروفا عندهم فقد كان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يزعجه على ما هو معروف عندهم من حب الانتقام والتفاخر بأخذ الثأر.

وهذا البيت الحرام له في نفوس المؤمنين مكانة لا يعبر عنها ، وقد أشار الله عز وجل في أيات أخرى غير التي ذكرناها مثل قوله تعالى في سورة المائدة :

''جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ''

المائدة / ٩٧

أي جعل الله الكعبة التي هي البيت الحرام تقويما لأخلاق الناس وإصلاحا لما فسد من طباعهم وهداية لهم إلى طريق الله المستقيم .

---

[١] تفسير المنار ح ١ / ٤٦٠ وما بعدها بتصرف .



## الفصل الأول

### صفات البيت الحرام

لقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا البيت الذى أمر الناس بالحج إليه بجمله من الصفات الكريمة منها :

❁ **البركة** : وهى كثرة الخير الدائم والنماء ، فبركة البيت تعم من حجة أو اعتمره أو اعتكف فيه ، أو طاف حوله .. فمن بركته المادية قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومغاربها ومعهم خيرات الأرض يقدمونها على سبيل الصدقة تارة أخرى لمن يسكنون حول هذا البيت الحرام المبارك ، إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم التى حكاها لنا القرآن :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ "

إبراهيم / ٣٧

· ومن بركته المعنوية أنه مكان لأكبر عبادة جامعة للمسلمين وهى فريضة الحج ، وإليه يتجه المسلمون فى صلاتهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم .

❁ **هدى للعالمين** .

وقد وصف الله عز وجل البيت بأنه هدى للعالمين ـ هو بذاته مصدر هداية للعالمين ـ فهو قبلتهم ومتعبدهم فى استقباله توجيه للقلوب والعقول إلى الخير وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله سبحانه وتعالى وجنته .

❁ **آيات بينات** .

ويقول سبحانه فى شأن البيت الحرام : " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ .." أى أن فى هذا البيت علاقات ظاهرات ، ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته وعلو

مكانته من هذه الآيات والدلائل مقام إبراهيم وهو الموضع الذى كان فيه إبراهيم عليه السلام تجاه الكعبة لعبادة الله تعالى ولإتمام بنائه .

- **الأمن والأمان :**

ويضيف القرآن فى صفات هذا البيت الحرام وشرفه أن من دخله كان آمنا على نفسه وعلى عرضه وعلى ماله من التعرض له بالأذى أو القتل ..

قال تعالى :" أولمْ يروْا أنَّا جعلْنا حرماً آمناً ويتخطَّفُ النَّاسُ منْ حولِهمْ "

العنكبوت / ٦٧

وقال تعالى :" لإيلافِ قريْشٍ إيلافِهمْ رحلةَ الشتاءِ والصيْفِ فليعْبُدوا ربَّ هذا البيْتِ الَّذي أطعمهُمْ منْ جُوعٍ وآمنهُمْ منْ خوْفٍ " قريش / ١-٤

ولا شك فى أن هذه الصفة لهذا البيت - هى أمن من دخله على علو مكانته عند الله حيث جعله سبحانه " مثابةً للنَّاسِ وأمْناً" البقرة / ١٢٥

- **الحج إليه :**

وقد أوجب الله ﷻ على المسلم أن يحج إليه بشرط القدرة والاستطاعة فقال ﷻ :

" وللهِ على النَّاسِ حِجُّ البيْتِ منِ استطاعَ إليْهِ سبيلاً ومنْ كفرَ فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنِ العالمينَ "

أى أن الله تعالى فرض على الناس أن يحجوا بيته فى أوقات معينة وبكيفية مخصوصة ، متى كان فى استطاعتهم ذلك ﴿ ومن كفر ﴾ أى جحد فريضة الحج وأنكرها ولم يؤدها مع استطاعته على الآداء فإن الله غنى عن حجه وعن الناس جميعاً .

وقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة التى تأمر المسلمين بتأمين من يكون بالبيت الحرام أو بالأماكن التى جعلها الله تعالى حرماً آمنا ..

ومن هذه الأحاديث ما جاء فى الصحيحين عن أبى شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث إلى مكة لقتال عبد اله بن الزبير : " إئذن لى

يا أيها الأمير أن أحدثك قولا قال به النبي ﷺ عند فتح مكة سمعته أذناى ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به ..

إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله وأثنى عليه ثم قال :

" إن مكة حرمها الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يقطع بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها أى أخذ فيها بالرخصة فقولوا له : أن الله أذن لنبيه ولم يؤذن لكم وإنما أذن لي في ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس " [1].

هذا جانب من حديث القرآن عن البيت الحرام وهو حديث يعلى من شأن هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا كما جعل الناس تحت سقفه متساويين سواء من كان منهم يقيم بداخله أو حوله أو من كان منهم يأتيه من مكان بعيد .

قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " الحج/ ٢٥

---

[1] رواه الشيخان .



# الفصل الثانى

## قريش والبيت الحرام

كان الناس يقيمون منازلهم بعيدا عن البيت الحرام إجلالا بالبيت ومهابة من السكنى بجواره حتى عاهد قصى بنى كلاب حين حث الناس على السكنى بجواره وأذن لهم بذلك حتى لم يبق حول البيت إلا دفعة صغيرة عرفت بالمطاف ، وكانوا يبنون بيوتهم من أشكال مستديرة حتى لا تشابه بناء الكعبة جاعلين بين كل دارين طريقا يؤدى إلى دائرة المطاف .

وذكر أن قصى قطع مكة رباعا " الدور وما حولها " وإن أهلها هابوا قطع شجر الحرم للبنيان .

**وقال الواقدى** : " الأصح فى هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى : " كيف نصنع فى شجر الحرم ، فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون فى منزله قال : " فأول من ترخص فى قطع شجرة الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين آتانى دورا بقعيقعان ، لكنه جعل دية كل شجرة بقرة " [1]

**تقسيم خدمة البيت :**

وفى عهد قصى تشقق بناء الكعبة فأعاد بنائها وبنى دار الندوة ليجتمع فيها كبار القوم للتشاور فيما يهمهم تحت إشرافه وهو الذى رتب وظائف الكعبة وحدد مدلولاتها وهذه الوظائف هى :

---

[1] الروض الأنف للسهيلى ج ١ / ٥٢ .

**السقاية :**

كان الماء عزيزا بمكة بعد روم وبئر زمزم [1] ، فكان منيل السقايا يحضر الماء من آبار بعيدة ويضعه فى حياض ويحليه بشيء من التمر والزبيب ليشرب منه الحجاج .

*** الرفادة وإطعام فقراء الحجاج :**

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى إبن كلاب فيصنع به طعاما للحجاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به : " يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ثم جرى فى الإسلام إلى يومنا هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .[2]

*** اللواء :**

الدعوة إلى الحرب يرفع راية فوق رمح ويتبعها قيادة الجيوش .

---

[1] أعاد عبد المطلب حفرها فيما بعد .

[2] الروض الأنف للسهيلى ج ١ / ٥٢ .

الحجابة .

وهى خدمة الكعبة المشرفة وتولى مفاتيحها وبعد قصى انتقلت وظائف الكعبة إلى ابنه عبد الدار لكبر سنه مع أن عبد مناف بن قصى كان أعظم منه ذكرا وأعلى شأنا بين أنداده ، ولذلك نجد أبناء عبد مناف يريدون أن يأخذوا لأنفسهم هذه الوظائف من أبناء عبد الدار ، وبغضهم إلى أبناء عبد مناف وأوشكت أن تقع بينهم حرب طاحنة لولا نجاح بعض المساع التى وزعت هذه الوظائف بين هؤلاء وأولئك .

فأعطت السقايا والرفادة لأبناء عبد مناف وأعطت الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار وتولى هاشم بن عبد مناف حينذاك السقايا والرفادة وتولاها بعدهم أخوه المطلب ثم عبد المطلب بن هاشم وفى عهد عبد المطلب عز شأنه وزاع سيطه وأصبح مرجع كل الأمور بمكة المكرمة .. وبخاصة بعدما حضر عبد المطلب ( طيبة ) أو زمزم بعد أن رأى ذلك فى المنام .



## الفصل الثالث

### حدود الحرم المكي

ما من شك أن لكل حما حدودا تحده وعلامات تفصله عن غيره ، ومن هنا كان حما الله تعالى أحق بذلك وأولى فقد روى أن جبريل عليه السلام أخذ بيد إبراهيم عليه السلام وأوقفه على حدود الحرم فنصب عليها خليل الرحمن عليه السلام علامات تعرف بها .

قال محب الدين الطبرى : " عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه قال : " نصب إبراهيم أنصاب الحرم يريه جبريل عليه السلام " .

ثم لم تحرك حتى كان قصى فجددها ، ثم لم تحرك حتى كان النبى ﷺ فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعى فجددها ، ثم لم تحرك حتى كان عمر رضي الله عنه فبعث أربعة من قريش : فحرمه ابن نوفل وسعيد بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزى وأزهر بن عبد عوف فجددوها ثم جددها معاوية ، ثم أمر عبد الملك بتجديدها .. وبيان هذه الحدود على النحو التالى :

* من جهة الشرق ( الجعرانة ) على بعد ستة عشر كيلوا مترا من المسجد الحرام.
* ومن جهة الغرب مع ميل قليل إلى الشمال ( من جهة جدة ) ( الحديبية ) وتسمى الشميس على بعد خمسة عشر كيلو مترا
* ومن جهة الشمال الشرقى ناحيه العراق ( وادى نخلة ) على بعد أربعة عشر كيلو مترا.
* ومن جهة الشمال ( التنعيم ) على طريق المدينة على بعد ستة كيلو مترات .
* ومن جهة الجنوب ( أضاه ) على طريق اليمن على بعد اثنى عشر كيلو مترا .

# الفصل الرابع

## البيت الحرام فى ظل الإسلام

تعتبر الفترة الأولى من مولد الإسلام ضعيفة الصلة ببيت الله الحرام حيث كان المسلمون متضهدين ولم يكن لهم صلة بالمسجد الحرام إلا فى مرات معدودة حيث كانت تعبد فيه الأصنام والأوثان ..

وكان رسول الله ﷺ يصلى بالمسجد الحرام فى بعض الأحيان وكان يتعرض للإيذاء والمضايقات من قبل المشركين .

وكذلك كان بعض المسلمين يبلغون القرآن الذى ينزل بعضه أو آيات منه وكانوا يتعرضون بسبب ذلك للإيذاء الشديد والضرب فى كثير من الأحيان كما حدث لعبد الله بن مسعود وغيره ..

فلم تكن هناك أى فرصة فى هذه الفترة للصيانة أو التوسعة أو الترميم .

### توسعة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١٧ هـ

بعد أن دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا طاف حول البيت الحرام وكان محاطا بالأصنام من كل اتجاه فجعل النبى يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام قائلاً :

" جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " وتم تطهير البيت الحرام وما حوله من آثار الشرك .

وما كان حول البيت حائطاً حتى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى العام السابع عشر من الهجرة إزداد عدد المسلمين وضاق المسجد بالمسلمين فاشترى رضى الله عنه المنازل المجاورة حول المسجد

وهدمها وضم مساحتها إلى المسجد الحرام . ويعد بذلك أول من قام بتوسعة المسجد الحرام وأول من اتخذ له جدارا .

وذكر ابن جرير الطبرى ، وابن الأثير الجوزى فى تاريخهما أن زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبعة عشرة من الهجرة .[1] فقد دهم المسجد سيل يعرف بسيل ( أم نهشل ) وهى امرأة جرفها ذلك السيل فسمى باسمها واقتلع السيل فقام إبراهيم وجرفه أسفل مكة فرحل عمر من المدينة ليقف على الأمر فى رمضان عام ١٧ هـ وأعاد المقام ، واشترى المبانى المجاورة ووسع المسجد ثم بنى سورا بطول القامة وشق فيه أبوابا ووضع مصابيح فوق حائط المسجد ثم وسعه ثانيا .[2]

**توسعة عثمان بن عفان :**

زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد جعل فيها للمسجد رواقا مسقوفا وتلك أول مرة يسقف فيها المسجد وكان ذلك سنة ست وعشرين للهجرة .

---

[1] تاريخ القطبى المسمى ( كتاب الأعلام بيت الله الحرام ) لقطب الدين الحنفى ، ٩٨٨هـ .

[2] جريدة المسلمون السنة ١١ العدد ( ٥٧٢ ) .

# الفصل الخامس

## العصر الأموى (٤١ – ١٣١ هـ)

**توسعة عبد الله بن الزبير ١٧ رجب ٦٦ هـ.**

وفى عام ٦٤ للهجرة بنى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما الكعبة وأعاد إصلاح وترميم المسجد ...

بعد الفتنة التى حدثت بينه وبين بنى أمية وبعد المعارك التى احتدمت بينه وبين يزيد بن معاوية ، اشتعلت النيران بالكعبة وقد رمى البيت العتيق بالمنجنيق فأصاب الكعبة وكسوتها فاحترقت وتصدعت حيطانها .. وبعد انتهاء الحصار الذى تعرضت له مكة ، بادر ابن الزبير بإزالة الأحجار التى أنقيت فى الكعبة ثم أمر بهدم البناء الذى لم يبق من أصله إلا القليل ، وكان الحجر الأسود قد كسر إلى ثلاثة أجزاء فضم ابن الزبير أجزاءه داخل إطار من الفضة وأودعه فى مكان البيت ثم أعاد بناء الكعبة على أساس إبراهيم فازداد طولها من ١٨ – ٢٧ ذراعا وقد ركب ابن الزبير بابين طولهما أحد عشر ذراعا أحدهما فى الجانب الشرقى لدخول الكعبة والآخر فى الجانب الغربى للخروج منها وقد طينت الجدران من الداخل والخارج بالمسك وكسيت الكعبة بقماش قبطى من الحرير ( قباطى ) ...

ومن الأحجار الزائدة المتبقية أنشئ حول الكعبة مسار دائرى عرضه عشرة أذرع وقد وسع الجدار الذى كان يحيط بالحرم رممت الجدران الموجودة واستخدمت الأروقة التى سقفت بالخشب .

## توسعة الحجاج بن يوسف عام ٧٤ هـ

وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تم تجديد سقف المسجد وإضاءة ما بين الصفا والمروة وقد استأذن الحجاج الخليفة عبد الملك بن مروان فى بناء الكعبة فأذن له و هدم الحجاج كل البناء الذى أقامه ابن الزبير وأعاد بناء الكعبة منقصا حولها سبعة أذرع وقسم وجه المبنى إلى ثلاثة

**أقسام أفقية :**

كان القسم السفلى يشتمل على الباب ، أما العلوى فكان يحتوى على أربعة نوافذ من الممر فهى جاونبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامى بناء الحجاج ....

وفى العهد الأموى بدأت ظاهرة وقف العبيد على خدمة الكعبة وتدوير الصفوف للصلاة حول الكعبة وفى عام ٧٥ هـ أمر عبد الملك بن مروان بتزيين رؤوس الأعمدة بالذهب وأضاء الشارع الواقع بين الصفا والمروة وأقام ثلاث سدود لتخفيف ضغط السيل على مكة والمسجد الحرام .

## توسعة الوليد بن عبد الملك بن مروان عام ٩١ هـ

وفى سنة ٩١ هـ قام الوليد بن عبد الملك بن مروان بتوسعة أخرى للمسجد الحرام ونقل إليه أعمدة الرخام وسقف الأروقة من مصر وسوريا وبرز من العمارة فى العهد الأموى حين أقام رجاله الأبنية الفخمة المشيدة بالأحجار المنحوتة والرخام وزخرفود بأبدع الزخارف الملونة بواسطة الموابيك وهو ذات الأسلوب الطبق فى زخرفة المسجد الحرام كما رمم الكعبة بعد سيل جارف أصابها ووسع رقعة المسجد وحدد البناء وأقام سقفا على أعمدة بكمرات من خشب الساج المزخرف كما أخل الفسيفساء الزجاجى والبواكى الرخامية والميازيب المموهة وفتحات الشرفات ..

# الفصل السادس

## العصر العباسى ( ١٣٢ — ٦٤٦ هـ )

وعندما ذهبت دولة الأمويين طرأ تغيير شديد على الفن المعمارى فى ظل الدولة العباسية التى تأثرت بالنفوذ الفارسى وظهرت أبنية البواكى ذات الأربعة محاور كشكل جديد فى البناء إلى جانب استخدام مادة ( القرميد ) اللامع وظهور الأقواس على الأبنية ...

ولما حج الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور سنة ( ١٣٧ هـ ) اشترى بعض المنازل حول البيت لتوسعته وكانت الزيادة فى الشق الشمالى والغربى ولم يزد فى الجهة الجنوبية ولا الشرقية ، وأحدث رواقا فى صحن المسجد وبنى على فوهة زمزم شباكا لمنع السقوط فيه وفرش الأرض بالرخام .

## توسعة محمد المهدى ( ١٦٠ — ١٦٤ هـ )

وحينما حج المهدى عام ١٦٠ هـ قام بتوسيع المسجد الحرام وعمر منازاته ونصب حجر المقام وأنشأ قبتين بجوار زمزم ، واشترى البيوت الواقعة بين المسجد الحرام والمسعى وهدمها وأضاف مساحتها للمسجد وقام بنقل أعمدة الرخام من الشام ومصر ثم زاد فى مساحته مرة أخرى عندما رأى أن الكعبة لا تتوسط المسجد ليصبح إجمالى التوسعة فى عهده ( ١٢٠ ألف ذراعا ) أى ٢٨٠٠٣,٤٤ مترا مكعبا وأعمدته ٤٨٤ وأبوابه ٢٣ بابا وارتفاع جدرانه ١٨ ذراعا .

وفى عهد الرشيد أنشأت مظلة للمبلغين فوق سطح المسجد .

وفى عهد الواثق اتخذت الأعمدة من نحاس ..

ثم قـام المعتمـد علـى الله فـى سـنة ٢٧١ هـ بأعمـال ترميـم .
أمـا الخليفـة أبـو العبـاس المعتضـد بـالله فقـد قـام بتوسـعة المسـجد وجعـل أبوابـه إثنـى عشـر بابـاً والبنـاء القديـم الحـالى هـو البنـاء المـهدى غيـر زيـادتين يسـيرتين وهمـا العامـة ( دار النـدوة ) فـى عـهد المعتضـد .
وزيادة مـا يلـى بـاب إبراهيـم بـأمر الخليفـة المقتـدر عـام ٣٠٦ هـ .
وفـى سـنة ( ٣٢٠ هـ ) أضـاف المقتـدر بـالله تحسـينات وسـاحات عنـد بـاب إبراهيـم .

## العصر المملوكى ( ٦٤٨ — ٩٢٣ هـ )

تمـت أعمـال ترميـم علـى أثـر مـا كـانت أحدثتـه السـيول فـى عـام ٧٧١ هـ وأعـاد السـلطان الأشـرف شـعبان ، عمـار إحـدى مآذنـه بعـد أن تـهدمت علـى أثـر السـيول .
وقـام السـلطان النـاصر برقـوق عـام ( ٧٠٢ هـ) بإعـادة بنـاء بعض الأعمـدة .
أمـا السـلطان برسـباى فقد قـام بتعمير وإصـلاح أبـواب المسـجد .
ولقد احـترق جـزء مـن المسـجد الحـرام عـام ٨٠٢ هـ وأعيـد إصـلاح وبنـاء الجـزء الـذى تـهدم فـى عـهد الممـاليك حكـام مصـر وبمعرفتـهم .

## العصر العثمانى

وقد تم تجديد المسجد الحرام على مساحة المهدى فى عصر السلطان سليم العثمانى ٩٧٩ هـ واختار سنان باشا والى مصر أحمد بك كتخدا للقيام بمهمة تجديد عمارة المسجد الحرام وقد استكمل العمل فى عهد مراد الثانى ابن سليم باشا حيث انتهت أعمال الترميم والتجميل فى عام ٩٨٩ هـ وفى عهد السلطان مراد خان .

وهكذا بقيت رقعة المسجد الحرام عند توسعة الخليفة المهدى سنة ١٦٠ هـ على ما هى عليه سوى الزيادتين فى عهد الخلافتين المعتضد والمقتدر حتى كان الحكم السعودى المبارك كما سنرى .



# الفصل السابع

## البيت الحرام والأسرة السعودية ( آل سعود )

كان لأسرة السعودية آل سعود باع كبير فى الحفاظ على بيت الله الحرام وعمارته وتطويره وتوسيعه .. حيث بدأ العمل فى تطوير بناء الحرم المكى الشريف مع بداية شهر شعبان عام ١٣٦٨هـ أى بعد نحو ١٢٠ عام من توسعة المهدى .

أعلن الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود للعالم رغبته فى توسعة الحرمين فكانت التوسعة الأولى التى رعاها هو وأبناؤه من بعده سعود وفيصل .

وكانت أولى الأعمال التنفيذية حفر أثاث الجدار الخارجى بحيث يصعب المسعى داخل سور المسجد وتعتبر فى الحقيقة هى بداية مرحلة جديدة فى تاريخ هذا البناء منذ التوسعة الأخيرة التى تمت فى عهد الخليفة العباسى المقتدر بالله منذ ما يقرب من ألف ومائة سنة ...

وتوسعات أخرى فى عهد الملوك التابعين حيث تم إنشاء طابق علوى للمسعى بارتفاع تسعة أمتار وإنشاء حاجز طولى ذى اتجاهين وتخصيص مسار مزدوج للعجزة وغير القادرين وإنشاء ستة عشر بابا على امتداد الواجهة الشرقية للمسعى بالإضافة إلى مجارى لتحويل مجرى السيول وقد حظى سطح المسجد باهتمام كبير حيث تم عمل قمم معدنية جميلة ( ٥٢ ) لاحتواء المعدات الكهربائية ( بأدوارها الأربعة )

( البدروم - والأول - والثانى - والسطح ) وقد بلغت المساحة الإجمالية بعد أعمال التوسعة ما يزيد عن ٣٦,٠٠٠ م٢ بعد أن كانت ٢٨,٠٠٠ م٢ وروعى فى وضع خطط التوسعة أن تكون قابلة للتطوير والزيادة .

وبهذه المرحلة قد بدأت مشروعات التوسع فى المبانى والطرق والإقامة فى البلد الحرام ..

واستمر التجديد ٢٣ سنة كاملة شيدوا خلالها القسم الخاص بالسعى بين الصفا والمروة فوق الممر التاريخى لهاجر عليها السلام وأقيم الهيكل الخرصانى للمبنى ثم قاموا بحفريات بالمنطقة وتبين أن أرضية التحميل الطبيعى تقع على عمق أربعة أمتار فقط من مستوى الأرض .. فعملوا على توسيع منطقة المطاف بأسلوب هندسى متقدم ووضعوا السلالم الرخامية الحالية لبئر زمزم .

## فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز

وفى عام ١٣٨٧ هـ أى عام ١٩٦٧م ، اهتم الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز بالتطوير والتوسع وبناء الميادين ، ومحال التجارة كما شق لها الطرق الجديدة وأنشأت البوابات الثلاثة الرئيسية ، وأكتمل الشكل الهندسى للمسجد الحرام وأصبح من روائع الهندسة المعمارية الإسلامية فوق الكرة الأرضية ، كما أصبحت مكة المكرمة صورة متقدمة للإنجازات الفنية الحديثة على المستوى العالمى التى اكتملت فى عهد الملك الراحل خالد .

## الملك فهد بن عبد العزيز

على الرغم من التوسعة السعودية السابقة فإن المسجد الحرام بات فى حاجة إلى توسعة أخرى وذلك بسبب الازدياد المستمر فى أعداد المصلين

والزائرين فبيت الله الحرام يزخر على مدار العام بملايين الحجاج والمعتمرين يملأون جنباته وساحاته ويعمرونه آناء الليل وأطراف النهار وتزداد أعداد المسلمين إلى الذروة وأثناء الحج والعمرة الرمضانية فتضيق مساحة الحرم على سعتها بالمصلين والطائفين والعاكفين وتكتظ الساحات الخارجية والممرات والطرقات بأفواج الحجاج والمعتمرين والمصلين مما يسبب المشقة والعناء بضيوف الرحمن ....

فبعد مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ملكا على المملكة العربية السعودية فى ٢١ شعبان عام ١٤٠٢ هـ ( ١٣ يونيه ١٩٨٢ م ) كان شغله الشاغل توفير الرعاية لحجاج بيت الله الحرام وزواره ، وقد شعر أن المسجد فى حاجة ماسة إلى توسعة ، فأمر بتوسيع المسجد الحرام جهة الغرب ٧٦٠٠٠ م٢ ليبلغ استيعاب المسجد بكامل توسعته أكثر من مليون مصلى دفعة واحدة ووضع حجر الأساس يوم الثلاثاء ٢ صفر ١٤٠٩ هـ ( ١٣ سبتمبر ١٩٨٨م ) .

تضمن مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة وعمارة الحرم المكى الشريف إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد الحالى من الناحية الغربية فى منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبد العزيز تبلغ مساحة أدوار هذا المبنى حوالى ٧٦,٠٠٠ م٢ موزعة على الدور الأرضى والدور الأول والقبو والسطح تتسع لحوالى ١٥٢,٠٠٠ مصلى .

كما يشمل مشروع تجهيز الساحات الخارجية وتبليطها بالرخام الأبيض ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير والساحة الواقعة جهة الشامية والساحة الواقعة شرقى المسعى بمساحة إجمالية تبلغ ٨٥٨٠٠ م٢ يكفى لاستيعاب حوالى ١٩٠,٠٠٠ مصلى ، وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة الحالية والأسطح وكامل الساحات حوالى ٣٥٦,٠٠٠ م٢ تتسع لحوالى ٧٧٣,٠٠٠ مصلى أما فى

أوقات الذروة فيتسع الحرم والتوسعة مع الساحات المحيطة بـه لأكثر من مليون مصلى .

## المداخل والمآذن

يضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيسيا وثمانية عشر مدخلاً عاديا .
وقد روعى فى التصميم إنشاء مدخلين جديدين للقبو إضافة إلى المداخل الأربعة الموجودة من قبل ....
يشمل مبنى التوسعة منذنتين جديدتين بارتفاع تسعة وثمانين مترا تتشابهان فى تصميمهما المعمارى وفى المواد المستخدمة مع المآذن السبع القائمة من قبل .

## حركة المصلين

وتسهيلاً لوصول أفواج المصلين إلى سطح التوسعة فى المواسم ، تم إضافة مبنيين للسلالم المتحركة إحداهما فى شمالى مبنى التوسعة والآخر فى جنوبه تبلغ مساحة السلم المتحرك الواحد ٣٧٥ متر وطاقته الاستيعابية ١٥,٠٠٠ شخص فى الساعة ، علاوة على مجموعتين من السلالم المتحركة على جانبى المدخل الرئيسى للتوسعة وبذلك يصبح إجمالى عدد مبانى السلالم المتحركة الكهربائية بمبنى التوسعة ٥٦ سلما وهى منتشرة فى محيط الحرم والتوسعة الجديدة وكذلك يحتوى المبنى على مصعدين كهربانيين رنيسيين ومصعدين داخل المآذن ومصعدى خدمة إضافة إلى ثمان وحدات سلالم داخلية .

## الأعمدة الرخامية والواجهات

تتوسط مبانى التوسعة أعمدة رخامية مزخرفة ذات أشكال هندسية رائعة يبلغ عددها فى كل طابق من طوابق التوسعة ٤٩٢ عمودا تحمل الطوابق والأسطح العلوية ، منها أعمدة مستديرة وأخرى مربعة ذات قواعد سداسية يكسوها الرخام الأبيض الناصع أما الواجهات الخارجية الرخامية والتى يبلغ ارتفاعها ٢٢,٦٠ متراً ، فهى محلاة بالزخارف ومكسوة بالرخام والحجر الصناعى مع تناسق وتجانس شديدين مع الواجهات الأصلية لمبنى الحرم ، ويأتى هذا الارتفاع نتيجة لأن الطابق الأرضى والأول يصل ارتفاع كل منهما حوالى عشرة أمتار خلاف البدروم الذى يصل ارتفاعه إلى حوالى أربعة أمتار ، وقد تم إنشاء ثلاث قباب فى منتصف سطح التوسعة ترتفع كل منها إلى ١٢ متر .

## الأبواب

وقد روعى أيضاً تطابق الأبواب الخارجية والنوافذ فى التوسعة الجديدة مع ما تم من أعمال فى التوسعة السابقة ، حيث استخدم الألومنيوم الأصفر المخروط والمشربيات فى صناعة النوافذ وصنعت الأبواب الخارجية من الألومنيوم المتجانس مع الأبواب الأصلية للحرم، وللمسجد ما يزيد على اثنين وعشرين باباً منها ثمانية فى الشمال وهى :
( باب الدريبة ـ باب الحكمة ـ باب الزيارة ـ باب القطبى ـ باب الباسطة باب الزمامية ـ باب عمرو بن العاص )

**ومن جهة الجنوب سبعة أبواب وهى :**

( باب أم هانى – باب العجلة – باب الرحمة – باب حياء – باب الصفا – باب بنى مخزوم – باب بازان ) .

ومن الجهة الغربية ثلاثة أبواب وهى :

( باب العمرة – باب إبراهيم – باب الجرورة )

**ومن الجهة الشرقية أربعة أبواب وهى :**

( باب بنى هاشم " أو باب على " – باب العباسى – باب النبى – ثم باب السلام " وهو أول باب يدخل الحاج منه عند طواف القدوم " ) .

وقد روعى فى التوسعة السعودية الأولى الإبقاء على أسماء أبواب المسجد القديمة ومواقعها مع زيادة جديدة فى هذه الأبواب بحيث أصبح إجمالى عدد الأبواب واحداً وخمسين باباً ، ما بين كبير وصغير ، منها **ثلاثة أبواب رئيسية هى :**

( باب الملك عبد العزيز & باب العمرة & باب السلام ) وتعلو كلاً من هذه الأبواب منارتان ارتفاع كل منهما ( ٩٢ ) متراً وعرض قاعدتها ٧ X ٧ أمتار وفى أعلى كل منارة هلال مع قاعدته بارتفاع خمسة أمتار وستين سنتيمتراً وهو مصنوع من البرونز المطلى بالذهب الخالص ، أما المنارة السابعة فهى فوق باب الصفا وبجوارها سطح مقبب مستدير تعلوه من الخارج قبة قطرها ٣٥ متراً وقد زين داخلها بآيات من القرآن الكريم ولها هلال مماثل للأهلة الأخرى.

كما أقيم بجوار كل من الأبواب الثلاثة الرئيسية سبيلان لسقيا الحجاج من ماء زمزم مباشرة لتخفيف الزحام عن بئر زمزم .

ويضم مبنى التوسعة الجديد مدخلاً رئيسياً جديداً و ( ١٤ ) مدخلاً فرعياً ومدخلين للطابق تحت الأرض ( البدروم ) إضافة إلى المداخل الحالية

وهى ثلاثة مداخل رئيسية و ( ٢٧ ) مدخلاً فرعياً و ( ٤ ) مداخل للطابق تحت الأرض .

## السلالم الكهربائية المتحركة

أقيم مبنيان للسلالم الكهربائية المتحركة أحدهما شمالى التوسعة والآخر جنوبيها ومساحة كل منهما ( ٣٧٥ ) م٢ وفى كل مبنى مجموعتان من السلالم الكهربائية المتحركة تحمل ( ١٥,٠٠٠ ) شخص فى الساعة إلى سطح المسجد علاوة على الأدراج الثابتة ، بما يحقق الكفاءة التامة أوقات الذروة وبذلك يصبح عدد مبانى السلالم المتحركة خمسة تنتشر حول محيط الهرم والتوسعة .

## النوافذ

على اختلاف أنواعها صنعت من نوع خاص من الألومنيوم الأصفر المخروط وهى مماثلة لنوافذ الحرم السابقة واستوحيت فى تصميمها وتنفيذها أسس الزخرفة الإسلامية الدقيقة .

## الأرضيات

بلطت الأرضيات برخام مزين بزخارف إسلامية وإجمالى مساحتها ( ٧٥,٠٠٠) م٢ أما الساحات الخارجية فقد بلغت مساحة الرخام الذى بلطت به ( ٤٦,٠٠٠ ) م٢ [١] .

---

[١] فى خدمة ضيوف الرحمن – وزارة الإعلام السعودية / ٨٢ – ٨٣ .

## دورات المياه

أما عن دورات المياه فقد أنشأ مبناها الجديد شمال مساحات المسعى من دورين إجمالية تبلغ ( ١٤٠٠٠ ) م٢ حيث يحتوى على ( ١٤٤٠ ) دورة مياه و ( ١٠٩١ ) نقطة وضوء و ( ١٦٢٠ ) نافورة لمياه الشرب علاوة على دورات المياه الموجودة تحت أرض الساحات الخارجية ويقدر ما تم إنفاقه على مشروع توسعة المسجد الحرام فى مكة المكرمة وما ارتبط به من مشروعات أخرى حوالى ٢٥ مليار ريال .

## الأعمال الكهربائية ( الإنارة )

ونظراً لضخامة التوسعة واحتياجها للطاقة الكهربائية اللازمة للإنارة وتشغيل الأجهزة المختلفة من سلالم متحركة وتكييف مركزى وغير ذلك .. تم إنشاء محطتين على جانبى التوسعة تحتوى كل محطة منهما على ثلاثة محولات عملاقة قدرة كل منها ١,٦ ميجا وات فولت أمبير توفر طاقة احتياطية تبلغ ١٠٠% من الإجمالى ، وذودت التوسعة بالثريات التى تناسب الشكل المعمارى السائد فى الحرم .

أما تجهيزات الإنارة للتوسعة فهى مستقلة عن التجهيزات الحالية حيث زودت بعدد ( ٧١ ) نجفة كبيرة و ( ١٦٠ ) فانوسا وحوالى ( ٧١٨ ) وحدة إضاءة على الحائط وجميعها مصنوعة من النحاس والكريستال وكذلك حوالى ( ٥١٣٥ ) وحدة إضاءة فلورسنت وحوالى ( ١٧٤ ) كشافا قدرته ( ٤٠٠ ) وات وحوالى ( ٦٧٢ ) لمبة زنبق قدرة ٢٥٠ وات توفر مستوى أعلى فى الإضاءة من المستوى السابق .

## شبكة الإذاعة الداخلية

ولهذه التوسعة الضخمة تم تنفيذ شبكة إذاعة داخلية تغطي كافة أرجاء التوسعة وتتناسب مع مساحة التوسعة ، تم دمجها وربطها بالشبكة القديمة وكذلك تم تزويد التوسعة بعدد من السماعات تتصل بالنظام المركزى للسماعات الموجودة بالحرم من قبل هذا بالإضافة إلى نظام الإنذار من الحريق ونظام الهاتف ونظام التحكم الأوتوماتيكى .

## مشروع تكييف مبنى توسعة الحرم المكى الشريف

ولتجديد المبنى وتجديد الهواء بالطوابق المتعددة ، صممت الفتحات الخارجية والداخلية للنوافذ بطريقة تسمح بمرور الهواء داخل المبنى ، وتم تركيب مراوح كهربائية مثبتة على الأعمدة وفى الأسقف .
واستحدث نظام جديد لتلطيف الهواء بالطابقين الأرضى والأول لمبنى التوسعة يعتمد على مبدأ دفع الهواء البارد من موقع مرتفع ثم توزيعه حول الأعمدة المربعة .

## إنشاء محطة التكييف المركزية بأجياد

وقد أقيمت من أجل ذلك محطة فى منطقة أجياد تحتوى على عدد من ماكينات التبريد ومضخات المياه المثلجة ومركز تشغيل وتحكم آلى وتحكم أوتوماتيكى بطاقة ( ٤٥,٠٠٠ طن تبريد ) كما تم إنشاء نفق للخدمات يربط بين المحطة المركزية والحرم المكى الشريف بطول حوالى ٣,٥ كم وصولاً عند باب الملك عبد العزيز ثم يربط بعدها بعبارة الخدمات الدائرية المحيطة بالحرم .

كما روعى تصميم وتوزيع هذه الخدمات ضمن المناطق الفاصلة بين مباني المسجد الحرام القديمة وبين التوسعة الجديدة بما يسمح بأداء أفضل لتصريف مياه الأمطار وتوفير مياه زمزم ومد شبكات الإطفاء وإيجاد مخارج لمياه التنظيف .
ويحتوى النفق على مواسير مفرولة ناقلة للمياه كما أنه مجهز بجميع وسائل الإضاءة والتهوية وأجهزة السيطرة والتحكم الأوتوماتيكى .

## التوسعة بالأرقام

وتبين الأرقام حجم هذه التوسعة فقد بلغت كمية الأعمال الإنشائية ( ١١١٧٥٠ ) م٣ من الخرسانة وتم استخدام ( ١٢٧٠٠ ) طن من حديد التسليح كما تقدر كميات الرخام والحجر الصناعى المستخدمة فى تشطيب الجدران بحوالى ( ٤٥٠٠٠ ) م٢ وذلك خلاف تكسية الأعمدة الداخلية بكميات من الرخام بلغت ( ٦٠٠٠٠ ) م٢ وتم تبليط الأرضيات برخام مزين بزخارف إسلامية على مساحة ( ٧٥٠٠٠ ) م٢ ، إضافة إلى ( ٤٦٠٠٠ ) م٢ من الرخام لتغطية أرضيات الساحات الخارجية المحيطة بالحرم المكى الشريف .

## التخطيط المرورى

وقد استلزم تنفيذ هذه التوسعات الضخمة تعديل التخطيط المرورى حول منطقة الحرم فتم تحويل أنفاق السيارات وأماكن عبور المشاة وتعديل مسار الطريق الدائرى الأول فى المنطقة ما بين شارع ( أجياد ) ومنطقة

( شعب على ) وتم إنشاء ( ٤ ) جسور لتوفير السيولة لحركة المرور وتأمين حركة الالتفاف والعودة للسيارات .

و- منطقة جبلية وعرة بالسوق الصغير تم شق نفق بطول ( ١٥٠٠ ) م وبارتفاع ( ٥,٥٠ ) م يتكون من مسارين منفصلين أحدهما لدخول القادمين من غرب مكة وجدة عبر شارع أم القرى والثانى للقادمين من شرق مكة والمشاعر عبر طريق ( أجياد ) وتم تزويده بوسائل تهوية حديثة وتكييف الجزء المغطى منه كما زود بشبكة للصرف الصحى لضمان عدم تسرب مياه الأمطار إلى الداخل وغطيت جدرانه بالبلاط الخرسانى .

**توسعات أخرى قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد .**

**أعمال تحسين جسر الجمرات والمنطقة المحيطة به لعام ١٤١٥هـ .**

لم يكتف خادم الحرمين الشريفين بتوسعة الحرم فقط ولكن امتدت التوسعة إلى المناطق المحيطة بالحرم لخدمة حجاج بيت الله الحرام .

فقد تم هدم وإزالة المنحدر السابق الشرقى جهة منى وإنشاء منحدر جديد للصعود بعرض ( ٤٥ ) م بعد تعديل المسار وجعل المنحدر مواجها لطريق المشاة القادم من منى والجمرة الصغرى كما أزيل المنحدران الجانبيان المؤديان للجمرة الصغرى من الشمال والجنوب وتم استبدال الجزء المغطى من بلاط الجسر بأجزاء خرسانية يتناسب منسوبها مع أجزاء الجسر المحيطة بها .

كذلك أنشئ منحدران جديدان بعرض ١٥ متر لكل منهما للنزول من الجسر وما بين الجمرة الكبرى والجمرة الوسطى مع زيادة منطقة اتصال الجسر بالمنحدرين ، إضافة إلى توسعة منحدر النزول الغربى باتجاه الحرم من ( ٢٠ - ٤٠ ) متر وتحسين منطقة اتصال هذا المنحدر بطريق المشاه لإزالة التظليل بطول ( ٦٠ ) متر وإزالة العوائق الأرضية أيضا .

وقد تم إنشاء خمس مبان لمراكز الخدمات والطوارئ موزعة على طول الجسر تحتوى على المصاعد والسلالم اللازمة لتوفير خدمات الإسعافات الأولية فى حالات الطوارئ كما أنشأ برج للمراقبة وذلك ببناء ثلاثة أدوار إضافية على جزء من مساحة سطح مركز الخدمات الواقع شمال الجمرة الوسطى .

وإضافة إلى ذلك تم إنشاء أربعة مراكز أمنية موزعة عند مداخل المنحدرات الرئيسية والفرعية ومهاجع لجنود الأمن العام تتسع لحوالى أربعمائة جندى تحت المنحدر جهة منى .

وفى إطار أعمال التحسينات نفذ نظام إشارات عادية معلقة لإرشاد الحجاج مع إنارتها وتركيب وسادات هوائية لتوجيه حركة المشاه بالقرب من الجمرة الكبرى أعلى الجسر .

ومن أجل توفير خدمات إضافية لضيوف الرحمن تم تنفيذ نظام لتبريد المياه حيث ركب مائة وخمسون صنبوراً للمياه المبردة ما بين الجمرة الصغرى والكبرى أعلى الجسر مع نظام تصريف خاص به .

كذلك تم تحسين وتجديد نظام الإنارة بمضاعفة عدد وحداتها وتغييرها إلى اللون الأبيض بدلاً من الأصفر مع إعادة توزيع الوحدات القديمة وإضافة إلى ذلك فقد تم تحسين وزيادة فاعلية نظام التهوية أسفل الجسر لزيادة مراوح السقف لجميع مواقع الجسر وتركيب ثمانية عشر مروحة نفاثة موزعة بواقع ستة مراوح لكل جمرة من الجمرات الثلاثة .

**أعمال التحسينات فى منطقة مزدلفة ( المرحلة الثانية ) :**

تشمل المرحلة الثانية من التحسينات فى منطقة مزدلفة تنفيذ موقعين جديدين لمواقف حافلات الحجاج يقع الأول منهما على الطريق رقم ٢ جنوب غرب منطقة مزدلفة وفيه تم إنشاء مواقف للحافلات من صفين مختلفين الطول موازيين للمواقف الحالية فى هذا الموقع .

أما الثانى فيقع غرب جسر الملك فيصل بين الطريق رقم ٣ وطريق العزيزية وفيه تم إنشاء مواقف للحافلات من ثلاثة صفوف متوازية ومختلفة الطول .

وتتضمن أعمال الموقعين المذكورين تنفيذ القطع الصخرى ، والردم والتسوية وطبقات الرصف والحواجز الخرسانية والبردورات وتصريف مياه الأمطار ودهان إشارات الطرق وأعمال الإنارة باستعمال الأبراج وما يلزم ذلك من تجهيزات .

ومن أعمال هذه التحسينات أيضا إنشاء طريق على امتداد جسر الملك فيصل تسهيلاً لحركة مرور حافلات الحجاج بين عرفات ومزدلفة .[1]

## المسعى

لقد بنى المسعى فى التوسعة السعودية الأولى من طابقين إنطلاقا من نظرة مستقبلية أخذت فى الاعتبار تزايد أعداد الحجيج عاما بعد عام .

يبلغ طول المسعى ( ٣٩٤,٥ ) مترا وعرضه ( ٢٠ ) مترا وارتفاع الطبقة الأولى منه ( ١٢ ) مترا ، وارتفاع الطبقة الثانية ( ٩ ) أمتار مما ساعد ليس على تيسير السعى فحسب بل على توفير مساحات واسعة تستوعب عدداً كبيراً من المصلين وتخفيف الزحام فى المسجد ، وقد أنشأ الطابق الثانى للمسعى استناداً إلى فتوة شرعية بجواز ذلك .

كما أقيم فى وسط المسعى حاجز يقسمه إلى قسمين متوازيين أحدهما للسعى باتجاه الصفا والثانى للسعى باتجاه المروة وأنشأ وسط القسمين

---

[1] جريدة المسلمون السنة ١١ العدد ( ٥٧٢ ) وانظر مجلة رسالة الإسلام العدد ( ٤٤ ) ذى الحجة ( ١٤١٧ هـ ) مايو ( ١٩٩٧ م ).

ممر ضيق ذو اتجاهين لسعى العاجزين وغير القادرين على المشى والهرولة . وبنى درج قسم الى قسمين فى الصفا والمروة ولكل منهما جانبان احدهما للصعود والثانى للهبوط .

كما أنشأ ( ١٦ ) بابا للمسعى تنتشر على الواجهة الشرقية للمسجد وعند الطبقة العليا أنشأ مدخلان على خارج الحرم أحدهما عند الصفا وثانيهما عند المروة وهذان المدخلان يرتفعان عن سطح الأرض بما يساوى السطح المخصص للصلاة .

وفى داخل المسجد أقيم فى الطبقة العليا سلمان أحدهما عند باب الصفا والثانى عند باب السلام وتحت الطبقة الأولى أنشأت طبقة من الأقبية سطحها بمستوى الأرض وارتفاعها ثلاثة أمتار ونصف المتر .

ولحماية المسجد من السيل أنشأ مجرى خاص يمتد تحت رصيف الجهة الجنوبية من شارع القشاشية ويمر أسفل منطقة الصفا ثم أسفل رصيف الشارع الجديد وبلغ عرض هذا المجرى خمسة أمتار وارتفاعه بين أربعة أمتار وستة وبذلك حول مجرى السيل الذى كان يخترق المسعى ويتسبب فى تسرب المياه من أبواب المسجد .

## مشروعات إيجابية أخرى

ومن المشروعات الإيجابية بالمملكة العربية السعودية ذلك المشروع الذى أقام مركز علميا لأبحاث الحج يقوم على استخدام العقول الإلكترونية فى تطبيقات علوم الإحصاء واستقراء التوقعات وقد غذيت الحاسبات الإلكترونية بما لدى المملكة من وثائق قديمة عن الحج من بينها مثلا أن عدد الحجاج عام ( ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧م ) كان ٩٠,٦٦٣ حاجا ، وفى

عام ( ١٩٣٣م ) حيث بلغت الأزمة الاقتصادية العالمية ذروتها حتى انخفض العدد إلى ٢٠.١٨١ حاجا . وفي عام ١٩٤١ والحرب العالمية الثانية في أشد مراحلها هبط عدد الحجاج إلى ٩٠٢٤ حاجا . ومنذ عشرين عاما في أواخر القرن الرابع عشر الهجري بلغ عدد الحجاج أكثر من مليوني مسلم و مسلمة وفي عام ( ١٤٠٥ هـ ) سجلت العقول الإلكترونية ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة أدوا فريضة الحج مما جعل الحكومة السعودية تصدر قرار بعدم السماح لمن يقيم بالمملكة بالحج مرة ثانية إلا بعد مرور خمسة أعوام على الحجة الأولى لإتاحة الفرصة أمام القادمين إلى الأراضي المقدسة من خارج المملكة وأعدادهم تتزايد عاما بعد عام مما جعل وزارة الحج بالمملكة أن تطلب من كل دولة أن تخفض نسبة الحجاج لديها حتى يتلائم مع سعة المكان وقداسته .

وتوفر الحكومة السعودية للحجيج كل عام ما يقرب من مليوني رأس من الذبائح للهدي أو الغدو في منى أيام التشريق يدفعون فيها ما يقرب من ( ٢٠ مليون ريال ) تنفيذا للشرع الحنيف ، وقد أقاموا مصانع لتصنيع لحوم الهدي وتعبئتة وحفظه و إهداءً لفقراء المسلمين في عدة دول في آسيا كما توفر الحكومة السعودية ما يزيد عن مائة وخمسون ألف مركبة أو سيارة لخدمة الحجيج وتوصيلهم إلى الأماكن المقدسة وأماكن إقامتهم كما أنشأ مركز بحوث الحج قسما خاصا للدراسات الحضارية بمكة المكرمة وفرعا مستقلا بالمدينة المنورة وأخيرا تبنت جامعة الملك عبد العزيز المركز بفروعه ، وأضافت لها قسم التصوير والفيديو للأفلام الوثائقية ، وقسم ثالث للبيئة المعمارية ، ولجنة عليا تعمل طوال العام في دراسة حلول المشاكل ذات العلاقة بالحج جغرافيا واقتصاديا وأمنيا وإخضاع كل الوسائل الحديثة التي يستخدمها الحجاج لخدمة الإسلام والمسلمين .

ويقود طلبة الجامعة بالدراسات الميدانية والاستفتاءات والإحصائيات في مناطق الكثافة وقد أمدت القوات الجوية السعودية المركز البحثي بطائرات الاستطلاع لتصوير المناطق المقدسة جوا إلى جانب التصوير الأرضي ثم أقامت الجامعة معسكرا دائما للكشافة ما بين عرفات حتى منى لخدمة التخطيط الإرشادي للحجاج يطبقه المطوفون والهيئات الحكومية لحماية الحجاج الذين يضلون الطريق وإرشادهم إلى أماكن مخيماتهم .

كما أنشأوا محطة أرصاد دائمة في وادي منى لدراسة المناخ وعوامل الحرارة والبرودة بهدف الوقاية من الحرائق التي تهدد المخيمات وقد اهتدى خبراء مراكز بحوث الحج إلى مشروع تحصين الخيام .. وتتلخص فترة التحصين بدهان الخيام بمادة كيمائية غير قابلة للاحتراق ... ثم تطور المشروع حيث أعدوا خياما جديدة ذات معاملات نسيجية خاصة تتلائم مع درجة حرارة الهواء والرطوبة النسبية داخل الخيمة مع مقارنات بين الخيم القديمة والجديدة للتعرف على تغيير عوامل المناخ ما قبل وأثناء كثافة الحجاج ودرجة الإشعاع الشمسي وسرعة اتجاه الريح طوال أيام ذو القعدة وذو الحجة لخدمة الدراسة العلمية للسلوك الحراري داخل وادي منى .

وتوفر الحكومة السعودية لحجاج بيت الله الحرام كل عام ما يقرب من مليوني رأس من الذبائح للهدي أو الفدو في منى أيام التشريق .

واستطاع المركز العلمي لأبحاث الحج تجميد ذبائح الهدي في مجزرة منطقة المعيصم وذلك باستخدام النتروجين السائل وطاقة الوحدة الكهربائية التي جاءوا بها تستقبل ( ستة خراف ) كل دقيقة . لتصبح مجمدة في ٩٠ درجة تحت الصفر . ويقوموا بإرسال هذه اللحوم لفقراء المسلمين في أسيا وإفريقيا .

( مسلمي باكستان وأفغانستان والنيجر ومالي وتنزانيا .. وغيرهم )

كما قاموا بانشاء مصنع لاستغلال الجلود والشعر وصناعة الأعلاف وهذه المهمة العلمية حصلوا من أجلها على فتاوى شرعية من علماء الإسلام [1] بتحقيق مصلحة المسلمين فى الذبائح وتوزيعها على الفقراء . وقد قدم عدد من الأمراء سيارات الثلاجات الكبيرة لنقل الذبائح إلى المطارات والموانى .

كما قاموا بمشروع هام ويتضمن إقامة أرضية صناعية لسفح جبل يفردونها فوق الأرض فيحميها من النفايات حيث يفترش المسلمون الأنفاق والسقوح والجسور وهذه الأرضية الصناعية أو الهيكلية بدرجة ميل ما بين ( ٣٥ ـ ٤٥ درجة ) طبقا لحال الجبل ودون المساس بطبيعة البيئة وتزيد الطبقة الصناعية من الأرض القدرة على استقبال الضعف لأعداد الحجاج كل عام ويتحقق الاستقلال لسفح الجبال .

قام خبراء المركز بدراسة التطور الاجتماعى والثقافى للحجاج وهى دراسة ميدانية أثناء موسم الحج والوقوف على اللغات التى تتداول أثناء أداء غير اللغة العربية فوجدوا أنها الإنجليزية والتركية فالفرنسية فالفارسية والأوربية ويعدون مرشدين من أبناء المملكة يجيدون كل تلك اللغات لإجراء اللقاءات الشخصية .

كما درسوا أيضا مشكلة مياه الشرب والمياه الملوثة المتجمعة فى منطقة منى وقدموا حلولا للازدحام فى المطارات والموانى ، ونقل النفايات وكميات القمامة التى تتولد يوميا والخلاص منها فى الوقت الصحيح ودون إبطاء وقد طبقوا بعض الإجراءات منذ العام الماضى .

قاموا ببحث دقيق عن خصائص المطوفين الاجتماعية والثقافية وأسلوب أداءهم لمهنة الطوافة ومشكلاتهم الشخصية ومرتباتهم والتعرف على انطباعاتهم تحت بند خدمة الحجاج والوصول إلى الأسلوب الأمثل إليه .

---

[1] مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة . ومفتى السعودية ومفتى الديار المصرية .

كما أولت اللجنة القائمة على المركز العلمى لأبحاث الحج مشكلة توفير السكن الملائم للحجاج اهتماما بالغا... فكانت بين أولى القضايا التى حصلت على اهتمام خبراء المركز من أجل وضع تصور دقيق لمواجهة تزايد عدد الحجاج خلال السنوات القادمة .

درسوا أيضا معدلات تدفق المياه إلى بئر زمزم خلال العام ودراسة توصيلها إلى المدينة المنورة وقد وصلت الآن بالفعل . ودراسة أخرى عن المياه الجوفية بالمنطقة المحيطة بالحرم المكى ، والأنفاق التى يتم إنشاءها فى مكة ثم دراسة علمية عن التركيب الكيماوى والبيولوجى لمياه بئر زمزم .....

وأخيرا فإن هذه التوسعات الضخمة تبرز اهتمام أولى الأمر فى الأماكن المقدسة للتيسير لجموع المسلمين من مشارق الأرض لمغاربها لأداء المناسك فى سهولة وأمان وإظهار بيت الله الحرام الذى يحتضن بين جنباته الكعبة المشرفة ومقام إبراهيم وحجر إسماعيل عليهما السلام وزمزم المباركة والصفا والمروة فى أبهى وأرقى صورة يعتبر معجزة لكافة المسلمين فى أرجاء المعمورة ...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى كل من شارك وساهم فى هذه الأعمال الجليلة خير الجزاء وأن يجعله فى ميزان حسناته ويجزيهم بالإحسان إحسانا إنه نعم المولى ونعم النصير .

# الفصل الثامن
## مسجد الرسول ( الحرم النبوى )

والشيء بالشىء يذكر فما بالنا بأن هذا ليس بشىء عادى بل هو قيمة غالية وصرح مقدس فطالما تحدثنا عن إحدى الحرمين الشريفين ( الحرم المكى ) لابد أن نلقى الضوء على المسجد النبوى الشريف ( الحرم النبوى ) فهو من المساجد التى تشد إليها الرحال والصلاة فيه خير من الصلاة فى غيره إلا المسجد الحرام ، وبين المنبر والقبر الشريف روضة من الجنة كما قال رسول الله ﷺ ( ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ) ومن زار القبر الشريف حظى بشفاعة صاحبه ﷺ ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى ) والمسجد النبوى بالمدينة المنورة باتيه هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الغر الميامين ، وهذا أمر ثابت فى الأحاديث الصحيحة فى الصحيحين وغيرهما من تثبت الأحاديث والسنة والمساندة وهذا أمر نقله الخلف عن السلف حتى بلغ حد التواتر المعتد للقطع واليقين ، وللمسجد النبوى فى قلب ونفس وشعور كل مسلم ذكريات وذكريات لا يكفى فى بيانها مقال ولا بضعة مقالات وإنما هو أمر يحتاج إلى كتاب برأسه ....

ونحن إذا أردنا أن نتحدث عن هذا المسجد فإننا سنتحدث عن جانب واحد وهو عمارته من بناء رسول الله ﷺ حتى أكبر توسعه فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

## بناء رسول الله ﷺ

فى السنة الأولى للهجرة عام ( ٦٢٢ م ) أسس النبى ﷺ المسجد النبوى الشريف على مساحة تقدر بنحو ( ١٠٣٠ م٢ ) وإرتفاع سقفه ( ١,٧٥ م ) وكان بثلاثة أروقة من الجهة الشمالية .
ولما تحولت القبلة إلى الكعبة فى ١٥ شعبان ٢ هجرية جعلت الأروقة من الناحية الجنوبية وفى محرم عام ٧ هـ ٦٣٨م وسعه النبى ﷺ فأصبح طوله ٥٠ م وعرضه ٤٥ م ومقدار التوسعة ١٤٤٥م٢ .
وكان سقفه من الجريد وفرشه من الحصى فإذا نزل المطر صلى المسلمون فى الوحل .. وبرغم أن فرشه الحصى فقد غطته أجساد طاهرة نقية ..

## توسعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وفى عام ١٧ هـ قام عمر بن الخطاب بتوسعة الحرم النبوى فأصبحت مساحته حوالى ٣٥٧٥م٢ وارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر ، وكانت التوسعة من الجهات الثلاثة إلا الشرقية .

## توسعة عثمان بن عفان

وفى خلافة عثمان زاده ٤٩٦ م٢ من الجهات الثلاثة إلا الشرقية وقد بنى من الحجارة المنقوشة والجص ، وكان بناءه السابق من اللبن والطين .

## العصر الأموى

### توسعة الوليد بن عبد الملك

وفى عهد الوليد بن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بإعادة بناءه وإدخال حجرات أمهات المؤمنين فيه وقد انتهى البناء عام ٩١ هـ ومقدار الزيادة ٢٣٩٦ م ٢ والمساحة ٨٣ م X ١٠٠ وقد جعل له سقفان وأقام له أربعة مآذن ومحرابا مجوفا وشرفات فلم يكن فى زمن النبى ﷺ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين مآذن فى المسجد .. وقد تم زخرفته بالفسيفساء وماء الذهب والرخام .

## العصر العباسى

وفى عهد المهدى العباسى زاد فيه ٤٥٠ م٢ وقد بدأ فى العمارة عام ٢٦٢ هـ وانتهى عام ٢٦٥ هـ فجعل له ٢٤ بابا .

وكان حريق عام ١٢٥٦ م المروع ليلة الجمعة أول رمضان ٦٢٤ هـ وقد أصاب هذا الحريق المسجد بضرر غير قليل .. وما أن بلغ خبر هذا الحريق الخليفة العباسى المستعصم بالله حتى أعد العدة لإعادة إعمار الحرم النبوى من جديد ولكن الظروف السياسية التى مر بها العالم الإسلامى لم تسمح له بذلك إذ أن بغداد نفسها قد اجتاحها غزو مدمر من فعل المغول الذين اجتاحوا الشرق الإسلامى فى غزوة كالبرق ويوم من الطبول ناشرين الخراب والدمار والموت حتى عمت الظلمة كل بلاد المسلمين فى الشرق وجاء الدور على بغداد عاصمة الخلافة واصطبغ فيها دجلة بلون الدم وما لبث هذا اللون أن سار أسود قاتما كظلمة قلوب

ناعنيه . ورحل المستعصم بالله هو وزوجته وأولاده الى معسكر هولاكو ولم يخرجوا منه ولم يعرف مصيرهم . كيف قتلهم هولاكو أو كيف تخلص منهم يوم ١٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ وبذلك انتهت الدولة العباسية ، وانتهت مع موت المستعصم بالله كل النشاطات من أجل إعادة إعمار الحرم النبوى.
واستمر المغول ينقضون كالسهم المنطلق إلى العرب يكتسحون مد الشام يحيلون فيها الحياة إلى موت والأعمار إلى الخراب والأخضر واليابس يجتثونه من جذوره ناشرين الرعب والظلام خلفهم ..
وكادت الحضارة الإسلامية أن يقضى عليها لولا أن تعرضوا لهزيمة على يد قطز سلطان المماليك فى مصر عند ( عين جالوت ) ..
وبتولى مصر الزعامة سار سلاطين المماليك هم حماة الحرمين الشريفين وقد استطاع السلطان بيبرس
( خلف قطز بعد مقتله أثناء عودته من عين جالوت ) أن يستقدم أحد أفراد البيت العباسى وبايعه بأن يكون خليفة المسلمين ..
وبدأ سلاطين المماليك فى تعمير المسجد النبوى حيث سارع السلطان " الظاهر بيبرس " بإعادة عمارته من جديد . وقد عمل من جاء بعده من سلاطين المماليك على التجديد والإصلاح فى المسجد .
ومنهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر السلطان الناصر محمد الذى أضاف باتكتان من الأعمدة فى رواق القبلة من جهة الصحن .
وقام السلطان " الظاهر جقمق " عام ٨٥٣ هـ جدد بعض الأسقف التى تحتاج للتجديد لسوء حالتها .

## حريق عام ٨٨٦ هـ

• في ليلة ١٣ رمضان ٨٨٦ هـ انقضت صاعقة على إحدى مآذن الحرم النبوي حرقت المؤذن الذي كان يؤذن بالصلاة في ذلك الوقت ، وأصابت النيران سقف المسجد وأحرقته وأصابت بعض المصلين بالمسجد وتهدمت الجدران وسقطت الأعمدة وأتت النار على المنبر وأغلب الكتب ولم يسلم من هذا الحريق سوى الغرفة الشريفة وقبة الصحن .

## عمارة قايتباي

وهي إحدى العمارات الهامة في المسجد وقد سارع السلطان قايتباي بعد الحريق فأعد العدة لعمارة المسجد وعين الأمير " سنقر الجمالي " مسئولاً عن هذه العمارة .

وتتلخص عمارة قايتباي بإضافة قبة فوق الغرفة النبوية الشريفة ثم فوقها قبة أخرى يحملها عدد من الأعمدة ، وتم نقل الجدار الشرقي للشرق قليلاً . وفي رأس مثلث الغرفة النبوية الشريفة أقاموا قبة تقف على اسطوانة تم إنشاؤها خصيصاً لذلك ويحيط بهذه القبة ثلاث قباب صغيرة .

**وقد تم إنجاز :**

١- كسوة الغرفة النبوية الشريفة وما حولها بألواح الرخام .

٢- استخدام محراب مجوف في وعانة مستحدثة أقيمت بين قبر الرسول ﷺ والمنبر

٣- أقاموا معصبة من الرخام ( يستخدمها المؤذن )

٤- توسيع وزخرفة محراب عثمان رضي الله عنه .

٥- إعادة بناء المئذنة الجنوبية الشرقية

٦- بناء مئذنة باب الرحمة فى الجنوب الغربى من المسجد .

٧- إعادة بناء الجدار المتهدمة .

٨- جلدت الحوائط فى المسجد بالرخام

٩- باب السلام تم بناؤه وجلد بالرخام الرائع .

١٠-إنشاء مدرسة بين باب السلام وباب الرحمة وهى المعروفة بالمدرسة المحمودية

صارت الأعمدة تحمل عقودا يجلس السقف فوقها وقد عمل قايتباى على تغطية مصاريف عمارة المسجد النبوى ببذخ إذ بلغت تكاليف إعادة الإعمار مبلغا كبيراً . ومهما كان الأمر فإن حدود المسجد لم يتم تغييرها تقريبا .. إلا أن الطابع المعمارى المملوكى قد ظهر بوضوح وجلاء .

وزود المسجد بالمفروشات والأثاثات اللازمة وكذلك بعض الأعمال الفنية الإسلامية الرائعة منها على سبيل المثال شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة ( صناعة مصر زمن المماليك وهو حاليا محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ) وقد استغرقت عمارة قايتباى للمسجد النبوى ما يقرب من العام ولم يكتف بذلك بل أنه رتب لسكان مدينة الرسول بعض المؤن التى تكفيهم

واستمر المماليك يهتمون اهتماما كبيراً بالحرم النبوى تجديدا وإصلاحا طول العصر المملوكى ، وقد ظل المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى دون التعرض لعمارة هامه طول أربعمائة عام تقريبا .

## العثمانيون والمسجد النبوى

• بدا العثمانيون يتجهون إلى المشرق منذ عهد السلطان سليم الأول فاصطدم بالصفويين أولا ثم بالمماليك ويهمنا هنا إيضاح انتصار سليم على قنصوة الغورى سلطان المماليك فى مصر والشام عند " مرج دابق " وانجلى غبار المعركة عن عصر جديد بدأ يطل على المنطقة اكتمل ظهور هذا العصر عند تعليق طومان باى بآخر سلاطين المماليك على باب زويلة فى القاهرة ..

وتتابعا بدأت الولايات الإسلامية فى الدخول تحت السيادة العثمانية ومنها أن شريف مكة قد التفت رغبته مع عرض عثمانى بقبول السيادة العثمانية .. وكان الأمر فى نهايته مفاتيح الحرمين الشريفين لسليم الأول العثمانى ودخول الحجاز اسميا تحت سيادة آل عثمان .

وبذلك تأكد لهم الزعامة الروحية والسياسة على العالم العربى وحينئذ صار لهم شرف رعاية وحماية المسجد النبوى .

وتعرض المسجد النبوى للتجديد أكثر من مرة على يد آل عثمان .. فقام بعض السلاطين بعمارة المسجد وترميمه .. مثل سليمان القانونى الذى أقام المحراب السليمانى عام ٩٤٨ هـ

وسليم الثانى سنة ٩٨٠ هـ قام بتعمير أحد المحاريب غرب المنبر وأمر بزخرفته وكسوته بالموزاييك الذهب ووضع اسمه عليه .

ومراد الثالث الذى وضع المنبر الموجود الآن عام ٩٨٨ هـ

وكذلك السلطان محمود قام بتعمير قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٢٣ هـ

وأحمد الثالث الذى أجرى إصلاحا فى غرفة القبر عام ١١٣٣ هـ .

وعبد الحميد الأول الذى قام بتغطية أرضية المسجد بالرخام ومحمود الثانى الذى أعاد بناء القبة ولونها باللون الأخضر .

ولكن العمارة الهامة التى تمت فى الحرم النبوى الشريف على عصر العثمانيين كانت هى التى تمت فى عهد السلطان عبد المجيد .. وقد كانت تحديدا شاملاً للبناء الذى مر عليه ما يقرب من أربعمائة عام وقد تم إعداد مجموعة من المعماريين والفنانيين والمهرة مطلقا لهم العنان فى العمل لإخراج عمارته وزخرفتها على نحو من الفخامة تليق بقيمته العظيمة عند جماهير المسلمين .

وقد نقل هؤلاء العمال الأحجار من هضاب وادى العقيق عند " أبار على " ونقلوها فى طريق مهدوه خصيصا لنقل هذه الأحجار .

وعند البناء لم يهدم البناء جميعه ولكن تم البناء والتجديد جزءاً جزءاً .. وذلك حتى لا يتوقف الصلاة فى هذا المسجد وهو نظام متبع فى العصر الحديث فى أغلب المساجد الجامعة إذ يلجأ المهندسون إلى إغلاق جزء من الجامع يتم هدمه وإعادة بنائه من جديد بينما إقامة الشعائر الدينية فى باقيه .

واستمرت هذه العمارة من عام ١٢٦٥ هـ حتى ١٢٧٧ هـ أى حوالى ١٢ عاما تقريباً وقد تكلف هذه العمارة ٧٥٠ ألف جنيه مجيدى ، وقدرت التوسعة بنحو ١٢٩٣ م٢ . وفيها أعيد بناء المسجد كله فيما عدا المقصورة والجدار الشمالى ومعظم الجدار الغربى ومحراب عثمان والمحراب النبوى ومنبر النبى ﷺ ، حدود المسجد فى هذه العمارة ظلت كما هى تقريباً عدا زيادة بسيطة فى الجنوب الشرقى وأضيف إليه مساحة من الأرض فى الشمال أصبح مكاناً للوضوء وفتح باب جديد عرف باسم الباب المجيد .

تم تغيير وتبديل جميع الأعمدة فيما عدا بعض الأعمدة بالروضة وفوق العقود التى بنيت من الحجر الأحمر المنحوت جاءت عقود أخرى تحمل القباب التى تتخللها شبابيك شغلت بمشغولات النحاس والزجاج الملون .

وقد أعيد بناء المئذنة الموجودة فى الشمال الغربى التى صارت تعرف باسم المئذنة المجيدية .. وأعيد بناء باب السلام على نحو فخم ومن خلفه جاءت قبة عظيمة وتم ترميم منائر المسجد ومداخله وإضافة بعض الغرف وبعض الخلوات .

وتم تبليط أرض المسجد بالرخام وكذا جلدت بعض حوائطه بالرخام وزخرفت بواطن القباب ببعض المناظر الطبيعية من أشجار وزهور ومجارى مائية وذهنت بعض المحاريب .

وحول هذه المناظر الطبيعية صار جدل كبير بين علماء الآثار الإسلامية حول طبيعتها ومقصد الفنان المسلم منها .. وهل قصده كان تخيل شكل الجنة ؟

وعند انتهاء هذه العمارة صار المسجد النبوى على نحو فخم يليق بمقامه بين المساجد الجامعة عند المسلمين .. عمارة رائعة وزخارف من أرقى ما وصل إليه الفن الإسلامى فى المدرسة التركية وشرائط من الكتابات التى أبدع خطوطها مشاهير الخطاطين المسلمين مثل الفنان الخطاط زهدى ومما دون على باب السلام :

رسول الله إنى مستجير

بجاهك والزمان له اعتداء

وجاهك يا رسول الله جاه

رفيع ما لرفعته انتهاء

وظنى فيك يا طه جميل

ومنك الجود يعهد والسخاء

وحاشا أن أرى ضيما وذلا

ولى نسب بمدحك وانتماء

ولقد اهتم الخزافون الأتراك بتصوير المسجد النبوى على البلاطات الخزفية تعظيما له وتبركا به وقد حققت هذه الخزفيات أثرا تاريخيا وفنيا كبيرا فى الدراسات المتعددة حول تاريخ العمارة فى مسجد الرسول ﷺ وهذه البلاطات محفوظة فى كثير من المتاحف العالمية ولعل أعظمها موجود بمتحف ( طوبقا بوسراى ) فى استامبول بتركيا ومتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وهما يشكلان أكبر تجمع أثرى وفنى إسلامى وقد أفادت هذه البلاطات كثيراً فى التاريخ للمسجد النبوى ولعله من الملاحظ أن العثمانيين لم يولوا عنايتهم الفائقة لمساجد وجوامع فى العالم الإسلامى إلا تلك التى أنشئت فى تركيا بالإضافة إلى عنايتهم واهتمامهم بالحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة .

## آل سعود والمسجد النبوى

وفى عهد الملك عبد العزيز آل سعود تم البدء فى أكبر توسعة مرت على المسجد وهى ( ٦٠٢٤ م٢ ) .

وفى عهد الملك سعود بن عبد العزيز أصبحت مساحة المسجد ( ١٦٣٢٧ م٢ ) وأقيمت هذه العمارة الخرسانية المسلحة من أعمدة تحمل عقودا مدببة وقسم السقف إلى مسطحات مربعة .. وصنع للأعمدة المستديرة تيجان من البرونز زخرفت بزخارف نباتية وكسيت الأعمدة بالموزايكو وغطيت قواعدها بالرخام ، وأقيمت مئذنتان فى الجهة الشمالية ارتفاع الواحدة ٧م وأساسها ١٧ م .

وفى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز تم هدم البيوت الواقعة شمال وغرب الحرم عام ١٣٩٣ هـ وجعل عليها مظلات لحماية المصلين من الشمس محاطة بسور ومبلطة بالرخام بمساحة ( ٣٠٤٠٦ م٢ ) .

وفى عهد الملك خالد بن عبد العزيز زيدت مساحة المظلات بعد هدم بيوت أخرى لتبلغ المساحة الإجمالية للمظلات ( ٦٢٨٠٧ م٢ ) .

## الملك فهد بن عبد العزيز والمسجد النبوى

ومنذ أن تولى الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ملكا على المملكة العربية السعودية فى ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ ( ١٣ يونية ١٩٨٢ م ) كان شغله الشاغل توفير الرعاية الحجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله ﷺ .

وقد شعر أن المظلات السابقة غير كافية ولا تفى بالغرض المنشود من رعاية المصلين والزوار لذلك عند زيارته للمدينة المنورة فى شهر المحرم عام ١٤٠٣ هجرية ( أكتوبر ١٩٨٢ م ) أمر بتوسيع مسجد رسول الله توسعة كبرى لتستوعب أكبر عدد ممكن من المصلين وتمتد هذه التوسعة من جهة الغرب حتى شارع المناخة ومن الشرق إلى شارع أبى ذر بمحاذاة البقيع ومن الشمال حتى شارع السحيمى ، ومنذ تلك اللحظة أخذت الدراسات مجراها بسرعة فائقة لدرجة أنه لم يحل العام التالى وبالتحديد فى يوم الجمعة التاسع من شهر صفر عام ١٤٠٥ هـ ( ٢ نوفمبر ١٩٨٤ م ) فى موكب حافل مهيب وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حجر الأساس لهذه التوسعة المباركة والتى فاقت كل التوسعات السابقة منذ عهد الرسول ﷺ وفى العام التالى وبالتحديد فى السادس من شهر المحرم عام ١٤٠٦ هـ ( سبتمبر ١٩٨٥ م ) كانت بداية العمل فى هذا المشروع الضخم وقد عهد إلى ( مجموعة بن لادن السعودية ) بتنفيذ هذا المشروع .

## مبنى التوسعة .. المساحة والطاقة الاستيعابية

وهى التوسعة السعودية الثانية فقد تم إضافة مبنى جديد بجانب مبنى المسجد يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها حوالى ٨٤٠٠٠ م٢ تستوعب حوالى ١٥٠٠٠٠ مصل أى أربعة اضعاف المسجد المبنى قبلها .. وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للمسجد بعد التوسعة حوالى ٩٨٥٠٠ م٢ تستوعب حوالى ١٨٠٠٠٠ مصل وقد تمت الاستفادة من سطح التوسعة للصلاة بعد تغطيته بالرخام وبمساحة قدرها حوالى ( ٦٧٠٠٠م٢ ) تستوعب حوالى ( ٩٠٠٠٠ مصل ) وبذلك أصبح المسجد النبوى الشريف بعد التوسعة يستوعب أكثر من ( ٢٧٠٠٠٠ مصل ) ضمن مساحة إجمالية معدة للصلاة تبلغ حوالى ( ١٦٥٥٠٠ م٢ ) تضمنت أعمال التوسعة إنشاء دور سفلى ( بدروم ) بمساحة الدور الأرضى للتوسعة وذلك لاستيعاب تجهيزات التكييف والتبريد والخدمات الأخرى وذلك بمساحة قدرها ( ٨٢٠٠٠ م٢ ) .

## الساحات

يشتمل المشروع كذلك على إحاطة المسجد النبوى الشريف بساحات تبلغ مساحتها حوالى ( ٢٣٥٠٠٠ م٢ ) أرضيتها مكسوة برخام أبيض بارد عاكس للحرارة والباقى مساحته حوالى ( ١٩٠٠٠٠م٢ ) أرضيتها مكسوة بالجرانيت وفق أشكال هندسية بطرز إسلامية وألوان متعددة جميلة وهى مخصصة للصلاة وتستوعب حوالى ( ٤٣٠٠٠٠ مصل ) فى حالة استخدام كامل المساحة مما يجعل الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد

والساحات المحيطة به تزيد عن ( ٧٠٠٠٠٠ مصل ) لتصل إلى مليون مصل في أوقات الذروة .

## القباب المتحركة

كما زود المسجد بسبع وعشرين قبة متحركة بقطر ( ١٨ م ) وزنه ( ٨٠ طن ) للواحدة تغطي مساحة ( ٣٢٤ م٢ ) وتتوفر لها خاصية الأنزلاق على مجار حديدية مثبتة فوق سطح التوسعة ويتم فتحها وغلقها بطريقة كهربائية عن طريق التحكم عن بعد مما يتيح الاستفادة من التهوية الطبيعية في الفترات التي تسمح فيها الأحوال الجوية بذلك .

## أعمال الزخرفة

وقد صممت أعمال الزخرفة بالتوسعة بحيث تحقق التناسق والانسجام مع نظيرتها بالتوسعة السعودية الأولى وذلك لإبراز الجانب الجمالي في الفن المعماري الإسلامي .
ويشمل ذلك أعمال الجليات والزخارف والكرانيش لتجميل الحوائط والكمرات والكينارات والمآذن وأعمال الخشب المشغول كالمشربيات والشبابيك والأبواب الخشبية المطعمة بالنحاس وأعمال النحاس كالدربيزينات وتيجان الأعمدة والثريات المطلية بالذهب وأعمال التكسية بالرخام المزخرف على كامل الجدران الداخلية للتوسعة حتى علو ثلاثة أمتار والأعمدة الدائرية المكسوة بالرخام المستدير وقواعدها أيضا

مكسوة بالرخام المزخرف بأشكال هندسية وبها تجويفات خاصة لوضع المصاحف الشريفة بطريقة منظمة .

## الأعمال الكهربائية

وشملت الأعمال الكهربائية لتوسعة المسجد النبوى الشريف أعمال الإنارة التى تتضمن ( ٦٨ نجفة كبيرة ) و ( ١١١ ) نجفة أصغر حجما وكلها مصنوعة من النحاس والكريستال وكذلك حوالى ( ٢٠٤٥٠ ) وحدة إنارة منها ( ٧٣٣٠ ) نحاسية ومكبرات الصوت ونظام التحكم الأوتوماتيكى ودائرة تليفزيونية مغلقة للمراقبة تغطى جميع أجزاء المسجد والساحات الخارجية ونظام إنارة للطوارئ باستخدام بطريات شحن خاصة ، وأنظمة كشف الحرائق ومكافحتها وغرف خاصة للوحات المفاتيح وتركيبات الإنارة وشبكات التوزيع وذلك فى الدور السفلى من التوسعة كذلك أعمال الإنارة الخارجية للواجهات والمآذن .

## الأعمال الميكانيكية

إن أعمال تلطيف هواء المسجد النبوى الشريف تعد من أكبر الأعمال فى العالم حيث ترى مواسير التبريد عبر نفق الخدمات بطول حوالى سبعة كيلو مترات ليصل ما بين المحطة المركزية للخدمات التى توجد بها أجهزة التبريد ومعدات ومولدات الكهرباء وبين دور التسوية بالتوسعة وبالإضافة إلى ذلك فقد تم تلطيف هواء المسجد القديم وفق أسس هندسية

ومعمارية تحول دون إجراء أى تعديلات فى المبنى القائد او المساس به والمحافظة على شكله وذلك عن طريق دفع الهواء البارد من خلال فتحات النوافذ الموجودة فى الجدار القبلى للمسجد .

وهكذا يكون كل مسجد الرسول ﷺ وتوسعته قد تم تطيف هوائهما بالكامل .

## أبوابه

بعد أن تم عمل ساحات للمسجد محاطة به من جهاته الثلاث بعروض تتراوح من ١٠٠ – ١٥٠ م أيضا فقد أصبح له ( ٨٢ ) بابا لها ( ٢٧ ) مدخلا ... ويعمل معها ( ١٨ ) سلما متحركا إضافة إلى ( ٣٦ ) سقفا متحركا .

إن هذا المشروع الضخم العملاق قد انتهى وتم ربط توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بالتوسعة السعودية الأولى بالمسجد القديم كل فى بناء واحد متناسق ومنسجم ليقف شاهدا أبد الدهر على عظمة التشييد وفخامته ودقة التنفيذ ومتانته ويدل على مدى ما بذل من فكر وجهد ومال على تصميمه وتنفيذه بهذه الصورة الرائعة الخلابة ، وقد تفضل خادم الحرمين الملك فهد حفظه الله بوضع آخر لبنة لأكبر توسعة فى التاريخ للمسجد النبوى الشريف يوم السبت الخامس من ذى القعدة ١٤١٤ هـ الموافق السادس عشر من إبريل ١٩٩٤ م ويبدو مسجد الرسول ﷺ الآن كدرة .



# الباب الرابع
# الكعبة المشرفة
## الكعبة مركز العالم

سر أسرار الكعبة المشرفة يتجلى فى أن الله ﷻ هو الذى أختار مكانها بنفسه فنحن نبنى المساجد ونختار لها الأماكن ولكن الله ﷻ هو الذى اختار مكان الكعبة بنفسه لذلك فهى تتوسط الكرة الأرضية من جميع الاتجاهات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فقد أوصت دراسة علمية أجراها المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيائية بالقاهرة أن الكعبة المشرفة تمثل مركز الأرض وقد أوضحت الدراسة أن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة هما مركز لدائرة نصف قطرها ثمانية ألف كيلو متر بأطراف القارات القديمة آسيا وأفريقيا وأوروبا ، كما أنها أيضا مركز لدائرة نصف قطرها ثلاثة عشر ألف كيلو متر تمر بأطراف القارات الجديدة ، أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، واستراليا والمتجمدة الجنوبية .

وأشارت الدراسة أيضا إلى أنه من المحتمل أن تكون مكة المكرمة مركز اليابسة قبل تزحزح القارات وانفصال بعضها عن بعض فى العصور الجيولوجية السحيقة .[1]

فإذا كانت الكعبة المشرفة التى هى قبلة المسلمين هى فى البقعة المباركة والمكان الوسط فهى فى وسط الكوكب الأرض متوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فينم ذلك على أن الله ﷻ هو الذى اختار مكان رسالته وموقع قبلة الصلاة ومهبط له فى هذا المكان الوسط

---

مجلة منبر الإسلام الإماراتية ذو الحجة ١٤١٩ هـ مارس ١٩٩٩ م نقلاً عن المجلة العربية عدد ٢٤٨ / ٩ ٩ ٤ ١ م

الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم .
وهكذا اقتضت الحكمة الربانية أن يكون المكان وسطا فى جغرافية الأرض لتتمكن الدعوة من أن تنتشر فى ربوع الأرض وتؤدى أمة الإسلام أمانة التبليغ التى حملها الله تعالى إياها حيث نزل الوحى قرآنا وسنة بلسان عربى مبين ، وفى أمة عربية وفى مكان وسط من العالم كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التى كلف الله تعالى هذه الأمة بها وشرفها بإنزال الوحى على أرضها وأرسل رسولاً من أنفسهم وقيام القبلة الكعبة المشرفة فى هذا المكان الظاهر والحرام الأمن فى قلب العالم .. وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحى الإلهى فى البلد الحرام والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام فمكة المكرمة هى مركز الكرة الأرضية ووسط العالم بأسره ..

# الفصل الأول

## أيهما أقدم وجوداً مكة أم الكعبة ؟

والإجابة الحاسمة بناء على النصوص الموجودة بين أيدينا أن الكعبة المشرفة أقدم وإنها عاصرت التاريخ الإنساني .

قال تعالى :

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ " آل عمران / ٩٦

**يقول المفسرون :**

إن المراد هو أن البيت الحرام " الكعبة " أول بيت وضع للناس وكان الهدف أن يعبد الله فيه وأنه كان موجودا قبل هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض فلما هبط أدم أمر بأن يحج إليه ويطوف حوله حتى لا تتوقف الصلة بين الخالق والمخلوق .[1]

والذى يبين لنا أن الكعبة المشرفة إنما هى أقدم من مكة ما يلى :

قد أورد السهيلى فى الروض :[2]

" أن قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو :" أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحفظتها بسبعة أفلاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن "

وهذا ما يدل على أن مكة خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض وقد أورد السهيلى أيضا أن الكعبة كانت على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض وإليك نصه :

---

[1] تفسير الإمام البيضاوى ج١ / ٩٣ .

[2] الروض الأنف للسهيلى ج١ / ٢٢٦ .

فـى الخـبر أن موضعـها كـان " أى الكعبـة " غثـاءة علـى المـاء قبـل أن يخلـق الله السماوات والأرض فلمـا بـدأ الله بخلـق الأشـياء خلـق التربـة قبـل السماء ، فلما خلق السماء وقضاهن سبع سماوات دحـا الأرض أى بسـطها وذلـك قولـه سبحانه : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا " النازعات / ٣٠

وإنمـا دحاها مـن تحت مكة ولذلـك سميت أم القـرى .

وعـن سعيد بـن سلام عن طلحة عن ابن عباس أنـه قـال : كـان العـرش علـى المـاء قبـل أن يخلـق الله السـماوات والأرض وبعـث الله تعـالى ريحـا هفافـة فصفت المـاء فـأبرز الأرض مـن تحتـها فمـادت ثـم مـادت فأوتدهـا الله تعالى الجبال ولذلك سميت أم القـرى .

وعـن عثمـان بـن عبد الرحمن بن هشام قال: خلـق الله عز وجـل الكعبـة قبـل أن يخلـق أى شـىء بـألف سنة وإن قواعدهـا فـى الأرض السـابعة "

وعن عبـد الله بـن عمـر قـال :

خلـق الله الكعبـة قبـل الأرض بـألف عـام ودحيـت الأرض تحتـها .

وعـن ابـن عبـاس قـال : قـال رسـول الله ﷺ : أول بقعـه وضعـت فـى الأرض هـذا البيـت ثـم مـدت منـها الأرض وقيـل إن الكعبــة قـد أنزلـها الله ياقوتـة مـن السـماء مجوفـة .

وعـن أبـى ذر قـال سـألت رسـول الله ﷺ أى المسـاجد وضـع فـى الأرض قـال : المسجد الحرام قلت ثم أى قـال : المسـجد الأقصـى ، قلـت كـم بينـهما قـال : أربعون سـنة " [2]

وقـد روى الواحدى عن مجاهد قـال : خلـق الله تعـالى هـذا البيـت قبـل أن يخلـق الأرض .وفـى روايـة قبل أن يخلـق شيئا بـألف سـنة .

---

[1] نفس المرجع السابق / ٢٢٢ .

[2] رواه البيهقي في شعب الإيمان .

وعن عبد الله بن عمر قال : إن أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض وقد خلق الله قبلها بألف عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض من تحته "

وفي التفسير : أن الله سبحانه حين قال للسماوات والأرض :

" ائتيا طوْعًا أوْ كرْهًا قالتا أتيْنا طائعين " فصلت / ١١

لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم فلذلك حرمها . [1]

وعن ابن عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت . [2]

---

[1] الروض الأنف للسهيلي ج١ / ٢٢٢ .

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٩ / ٢٠٥ .



# الفصل الثانى

## الكعبة فى أبنية الجاهليين وأشعارهم

وـ [1]، الناس فى الجاهلية قد فرقوا بين أبنيتهم العادية والبيوت التى كانوا يعظمونها بأن جعلوها هذه البيوت المعظمة مربعة الشكل بينما جعلوا المساكن العادية مدورة

ولما ابتنى حميد بن زهير لنفسه بيتا مربعا استعظمت قريش فعلته وقال قائلها : ( ربع حميد بن زهير بيتا إما حياة وإما موتا ) [1]

كما كانوا يطلقون على القصر ذى الغرفة المربعة العالية : ذا الكعبات ، وفى هذا المعنى قال المتامس ، الشاعر :

ألك السدير ومبارق ومبايض ولك الخورنق [2]

والقصر من سنداد ذو الكعبات والنخل المبثق

ومثله الأسود بن يعفر فى بعض الروايات قوله [3]

أهل الخورنق والسدير وبارق

والبيت ذى الكعبات من سنداد

والشاعرين كلاهما ، يقصدان ( بالكعبات ) الغرف المربعة المرتفعة .

---

[1] نهاية الأرب فى فنون الأدب شهاب الدين النورى ج١/ ٣١٣ .

[2] السدير والخورنق قطران متقاربان فى الحيرة من بلاد العراق ويقال إن أولهما بناه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم .

[3] معجم البلدان المجلد / ٣ ص ٢٠١ .



# الفصل الثالث
## الكعبة فى الجاهلية

كان العرب فى الجاهلية يعظمون الكعبة ويطوفون حولها ويذبحون لها وكانوا يقدمون لها القرابين وكانوا يلوثون بدمائهم ولحومهم حيطان الكعبة المشرفة لأنهم لم يفهموا الهدف من النحر وهو التقوى قال تعالى :

" لنْ يَنَالَ اللّهَ لُحُومُهَا ولَا دِمَاؤُهَا.." الحج / ٣٧

فكانت الناحية الخلقية عندهم ضعيفة – غير الأعراف والآداب والقيم الجاهلية التى كانوا يؤمنون بها ويعضون عليها بالنواجد فقد فشى فيهم القمار والميسر وافتخروا به ، وفشت فيهم الخمر وانتشرت القيان ومجالس اللهو وحفلات العزف يُقدم فيها الشراب ، وفشا فيهم بعض الفواحش ، وقد وجد الظلم والقسوة وغمط الناس ، وبطر الحق ، وأكل أموال الناس بالباطل ..

ولا تصوير للحالة الخلقية التى كان يعيشها أهل الجزيرة بصفة عامة وأهل مكة بصفة خاصة أبلغ وأصدق من تصوير جعفر بن أبى طالب الهاشمى – وهو ابن مكة الأصيل – للحياة العربية والأخلاق الجاهلية أمام النجاشى وقد جاء فيه :

" أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف "[1]

وكانت الناحية الدينية أضعف بحكم بُعد العهد بالنبوات وفشو الجهل وانتشار الوثنية التى اقتبسوها من الأمم المجاورة فغلوا فيها – من

---

[1] راجع سيرة ابن هشام ق ١ / ٣٣٦

الناحية الأدبية والحضارية فأغرقوا في الوثنية وأولعوا بالأصنام ، فكان في جوف الكعبة وفنائها ثلاثمائة وستون صنما ، وكان كبيرها عندهم ( هبل ) وهو الذي نادى به أبو سفيان بعد وقعة أحد ، فقال : " أعل هبل " وكان على بئر في جوف الكعبة وهي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة وكان بالعقيق الأحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركه قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان أمام البيت صنمان ( إساف ) و ( نائلة ) وموضعهما عند الكعبة ، أحدهما يلصق بالكعبة والآخر بموضع زمزم فنقلت قريش الذي يلصق بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما وكان على الصفا صنم يقال له ( نهيك مجاود الريح ) وعلى المروة صنم يقال له ( مطعم الطير ) وكان في كل دار من مكة صنم يعبدونه وكانت ( العزى ) قريبا من عرفات وكان عليها بيت وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام ، وكانت ( الخلصة ) بأسفل مكة وكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ، ويعلقون بيض النعام بها ، وكانت الأصنام يطاف بها في مكة ، فيشتريها أهل البادية ويخرجون بها إلى بيوتهم .[1]

---

[1] السيرة النبوية للندوى / ١٠٨ وما بعدها .

# الفصل الرابع

## تعدد البيوت التى عرفت باسم الكعبة فى الجاهلية

وجد فى بلاد العرب بيوت عرفت ببيوت الأوثان والأصنام أو البيوت الحرم يقصدها الحجيج فى مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية وكان من أشهر هذه البيوت فى الجزيرة العربية بيت الأقيصر ، وبيت ذى الخلصة ، وبيت صنعاء ، وبيت رضاء ، وبيت نجران .

لكن بيت الله الحرام بمكة قد إحتل مكانة لم تتح لغيره من بيوت الأصنام الأخرى فى سائر أنحاء الجزيرة العربية ، لأن مكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب وكانت محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب . وكانت القبائل تلوذ بمثابة مطروحة تتردد عليها . وقد رغب القبائل فيها أن مكة لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل .

فليست فى مكة دولة كدولة التبابعة فى اليمن ، أو مملكة المناذرة فى الجزيرة ، أو الغساسنة فى الشام وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو الفرس أو الحبشة وراء الإمارات المتفرقة على الشواطئ . أو بين بوادى الصحراء ، فهى مثابة عبادة وتجارة وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالى من عداه فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية . وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب ولهذا اجتمعت لها الخصائص التى كانت لازمة لمن يقصدونها ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه بحكم المنفعة المتبادلة .

والكعبة قديمة سابقة لأسفار العهد القديم فى التوراة وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها هو إبراهيم وابنه إسماعيل على نبينا وعليهما

أفضل الصلاة والسلام قال تعالى " إنَّ أولَ بيتٍ وُضعَ للنَّاسِ للذي ببكّةَ مُباركا وهُدى للعالمين فيه آياتٌ بيّناتٌ مقامُ إبراهيم ومنْ دخلهُ كانَ آمنا"

آل عمران / ٩٦-٩٧

ويقول تعالى " وإذْ بوّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيْتِ أنْ لا تُشرِكْ بي شيْئا وطهّرْ بيْتيَ للطّائفينَ والقائمينَ والرُّكّعِ السُّجودِ " الحج / ٢٦

ويقول تعالى " وإذْ يرْفعُ إبْراهيمُ القواعدَ منَ البيْتِ وإسْماعيلُ " البقرة ١٢٧

من هذه الآيات نفهم أن المنطقة كانت معروفة حتى هيأ الله لإبراهيم أن يرفع قواعد البيت وقد ذكرت المصادر القديمة مكة كما تحدثت عن البيت الذى تعظمه العرب وهو الكعبة .

وقبل أن نتكلم عن الكعبة المشرفة التى تقدست فى الإسلام وجعلها الله بيته الحرام فى مكة المكرمة فإننا نستعرض فيما يلى أسماء البيوت التى عظمها أهل الجاهلية وحاولوا أن يضاهوا بها تلك الكعبة وأن يصرفوا وجود الناس عنها لأسباب قبلية أو سياسية أو دينية .

١ - **القليس :**

وسميت بالقليس [١] لارتفاع بنيانها وعلوها ، قال ياقوت الحموى الرومى نقلا عن عبد الرحمن بن محمد ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرؤوس ، والقليس : كنيسة عظيمة شادها أبرهة بن الصياح قائد جيش الحبشة فى صنعاء لما ملك اليمن ونقشها بالذهب والفضة وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس الناس ودهنها بأنواع الأصباغ وجعل خارج قبتها برنسا فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف الأبصار .

---

[١] القليس ، تصغير قلس وهو الحبل الذى تتخذ من ليف النخل أو خوصه ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرؤوس ، تقلس الرجل وتقلس إذا لبس القلنسوة ، وقلس طعاما أى أرتفع من معدته إلى فيه .

وقال الحسم شاعر أهل اليمن فى هذه الكنيسة :

من القلس هلال كلما طلعا * كادت له فتن فى الأرض أن تقعا

حلو شمانله لولا غلائله * لمال من شدة التهييف فانقطعا

كانه بطل يسعى إلى رجل * قد شد أقببه السدان وادرعا .

ولما انتهى أبرهة من بناء هذه الكنيسة كتب إلى النجاشى .( إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب ) ١

ولقد أراد أبرهة ( وكان نصرانيا ) من بناء القليس ، أن يتخذ منها كعبة تضاهى الكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة كى يتحول إليها العرب ويجعلوا حجهم إليها من دون بيت الله الحرام ، ولكن الله عز وجل لم يحقق له أمله .

فلقد ذكر المؤرخون أنه لما تحدث العرب بما كتبه أبرهة إلى النجاشى ، غضب رجل من بنى نعيم وخرج حتى أتى القليس وقعد فيها ( أى تغوط ) ثم لحق بقومه فلما أخبر أبرهة بما أصاب هذه الكنيسة من التلويث المهين ، قال من فعل هذا فقيل له : فعل هذا رجل من أهل البيت الذى تحج إليه العرب بمكة .

لما سمع قولك ( أصرف إليها حج العرب ) فجاء مغضبا وفعل فيها ما فعل ، وقال إنها ليست أهلا لذلك . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن إلى الكعبة المشرفة ويهدمها . وفعلاً أمر أبرهة جيشه بالاستعداد للحرب وخرج به ومعه الفيل على مقدمته وفى هذه الواقعة نزلت سورة الفيل فى القرآن الكريم ..

وأشار صاحب الروض الأنف ١ إلى هذه الكنيسة فقال ما خلاصته إنها عرفت بهذا الاسم لارتفاع بنائها بحيث يشرف منها على مدينة عدن .

---

معجم البلدان ، المجلد (٤) صـ ٣٩٤ .

وكان أبرهة قد أستذل أهل اليمن في بنائها وجشمهم أنواع من السخرة ونقل إليها من قصر بلقيس الأعمدة من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب ، حتى بلغ ما أراده لها من البهجة والرواء ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنبر من العاج والأبنوس فلما تلاشى ملك الحبشة من اليمن اقفر ما حول الكنيسة ولم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، فكان العرب يتخوفون من القرب منها . ويزعمون أن من أخذ شيئا من أنقاضها استهوته الجن ، فبقيت كذلك إلى زمن العباس السفاح ، فبعث إليها عامله على اليمن ( وهو أبو العباس بن الربيع ) فأخذ من أنقاضها الثمينة أشياء كثيرة وباع ما أمكن بيعه من الرخام والخشب المرصع بالذهب ونحو ذلك ، فعفى بعد ذلك رسمها وأنقطع خبرها ودرست آثارها ، من الأنصاب التى كانت فيها تمثال من الخشب طوله ستون ذراعا وآخر بجانبه قالوا إن الأول يمثل كعبثا والأخر امرأته ٢ .

## ٢ – كعبة نجران .

ونجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة ، وقد أخذت هذه الكعبة اسمها من نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، لأنه كان أول من عمرها ونزلها . وكان أهل نجران نصارى وفيهم نزلت الآية الكريمة التى تشير إلى ما فعله بهم ذونواس اليهودى الذى أراد حملهم على اعتناق اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا الأمر الثانى . فحفر ذونواس أخدودا وألقاهم فى أعماقه وجعلهم بين قتيل بالسيف أو قتيل بالنار

---

[1] الروض الأنف للهيلى في تفسير سيرة ابن هشام صـ ٦٢ : ٦٣ .

[2] حاشية لأحمد زكى باشا في كتاب الأصنام لأبن الكلبى صـ ٤٦ .

وفيما يلى قول الله ﷻ :

" قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد"

البروج / ٤-٩

وكعبة نجران هذه ، كانت بيعة بناها بنو عبد المدان الديان الحارثى وجعلوها على شكل الكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة وبالغوا فى ضخامتها وجعلوا لها قبة من أدم فى ثلاثمائة جلدة وكانت هذه البيعة على نهر بنجران ، وكان المسيح بن دارس بن عدن بن معقل يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وينفقها كلها على القبة .

ولقد عظم نصارى العرب هذه البيعة وسموها ( كعبة نجران ) معناها بالكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة ..

ويقول ابن الكلبى فى كتابه الأصنام :( إن كعبة نجران كانت ملجأ للخائف ومقصداً لطلاب الحاجات والراغبين فى الضيافة فإذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت أو مسترفداً رفد ) [1] ولما جاء الإسلام وعمت دعوته سائر القبائل فى الجزيرة العربية حرص النبى ﷺ على أن لا يبقى فى هذه الجزيرة مع الإسلام أى دين آخر ، وقال : الآخرين اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها مسلماً .

ولم يستثن النبى ﷺ من هذا التعميم أى فئة أو موضع من هذه البلاد بل أنه قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى نبه على أصحابه ضرورة إجلاء ما تبقى فى الحجاز من اليهود وما كان فى نجران نفسها من

---

[1] معجم البلدان ، المجلد الخامس / ٢٦٦ وما بعدها .

النصارى فقال :" أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب "[1]

ويظهر أنه بقى بعض النصارى فى نجران بعد وفاة النبى ﷺ مستندين إلى كتاب كتبه لهم وسلمه إلى وفد منهم وفد عليه كان فيه السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبد المسيح والأسقف وهو أبو حارثة فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه أنفذ لهم ما كتبه رسول ﷺ فى هذا الكتاب ، فلما ولى عمر بن الخطاب ﷺ أنكر مثل هذا الكتاب الذى لم يتأكد وجوده بالفعل وقال كلمته المشهورة ( لا يبقى فى جزيرة العرب دينان ) وأمر بإخراج هؤلاء النصارى من نجران كما فعل بغيرهم من أبناء الملل الأخرى .

ولقد روى ياقوت الرومى عن سالم بن أبى الجعد قال :

جاء أهل نجران إلى على رضى الله عنه فقالوا : شفاعتك بلسانك وكتابتك بيدك أخرجنا عمر من أرضنا ، فردها إلينا منيعه فقال على :( يا ويلكم إن كان عمر رشيد الأمر فلا أغير شيئاً صنعه ) .

ويقول الأعمش تعليقاً على هذه الواقعة : لو كان فى نفسه ( أى على رضى الله عنه ) عليه شىء لاغتنم هذا !

ولقد أتى الشاعر الأعشى على ذكر نجران وكعبتها فى قصيدة له يخاطب ناقته :

| | |
|---|---|
| وكعبه نجران حتم عليـ | ك حتى تناخى بأبوابها |
| تزور يزيدا وعبد المسيح | وقيسا ، هم خيرا ربابها |
| وشاهدنا الورود والياسـ | ين والمسمعات بقصابها |
| وبربطنا دائم معمل | فأى الثلاثة أزرى بها |

---

[1] نفس المرجع السابق

٣-**كعبة ذي الخلصة .**

الخلصة في اللغة ، نبت طيب الريح ، يتعلق بالشجرة له حب كعنب الثعلب ، جمع خلصة ، خلص بفتح أوله وثانيه ، ويضاف إليه ذو ، وهو بيت أصنام كان لقبائل روس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم بتبالة . وتبالة ( أوله مكسور ) موضع في اليمن أوفي تهامة . وقيل إن كعبة ذي الخلصة كانت بيتاً لصنم منصوب بأسفل مكة .

وكان أهل الجاهلية يلبسونه القلائد النفيسة ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون أضحياتهم وقرابينهم عنده .

وعرفت هذه الكعبة بأسماء عدة منها الكعبة اليمانية . بمقابل البيت الحرام الذي كان يدعى الكعبة الشامية . والذي تولى سدانته من أهل الجاهلية هم : بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وذبيدة والغوث بن مرين أدوينو هلال بن عامر ، قال ياقوت نقلاً عن أبي المنذر : ومن أصنام العرب ، ذو الخلصة .

وهو مروة ( صخرة بيضاء منقوش عليها كهينة التاج ) وكانت العرب تعظم هذه الكعبة وتهدي لها الذبائح .

وفي رواية لابن إسحاق نقلها المؤرخ الدكتور جواد علي في كتابه ( تاريخ العرب قبل الإسلام ) ( أن عمر بن لحي . نصب ذا الخلصة بأسفل مكة ، فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض التفاح )

ويضيف المؤرخ المذكور إلى قوله :( ويظهر من رواية لابن الكلبي أن العرب جميعها كانت تعظم ذا الخلصة ) [١]

ولما فتح النبي ﷺ مكة المكرمة وتوافد عليها العرب معلنين إسلامهم قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما فقال له النبي ﷺ يا جرير إلا تكفيني

[١] تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي ج٥ / ١٠٧ .

ذا الخلصة فقال جرير بلى فوجهه إلى هذه الكعبة فلما بلغها نازل سدنتها من بنى قحافة بن عامر بن خثعم وانتصر عليهم وهزمهم وهدم بنيان ذا الخلصة وأضرم فيها النار فاحترقت فقالت امرأة من بنى خثعم :

وبنو أمامة بالولية صرعوا * شملا يعالج كلهم أنبوبا

جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها * أسد ايقب لدى السيوف قبوبا

تسم المذلة بين نسوة خثعم * فتيان أحمى قسمة تشعيبا .

ولكعبة ذى الخلصة مع أمير شعراء الجاهلية قصة جاء فيها أنه لما قتلت بنوا أسد أباه حجرا وخرج يستنجد بمن يعينه على الأخذ بثأره..

مر بتبالة وبهاذ والخلصة ، فاستقسم عنده بقداحة وهى ثلاثة[1] ، الأمر والناهى والمتربص ، فأجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى به وجه ذا الخلصة وخاطبه قائلاً : ( " ... لو قتل أبوك ما نهيتنى " ) فقال عند ذلك : ( " لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا ** مثلى وكان شيخك المقبورا لم تنه عن قتل العداة زورا .

وفى كتب السيرة أن الصنم الذى كان بكعبة ذى الخلصة جعل فى الإسلام عتبة لباب مسجد تبالة ، أما كعبة ذى الخلصة نفسها ، فيقول ابن حبيب أنها فى عهده ( صارت بيت قصار فيما أخبرت )[2]

**٤- ( اللات ) :**

يقول الدكتور جواد على : " واللات صنم من الأصنام المشهورة عند العرب وهو اليلات الإله الرئيسى عند العرب فى ايام المؤرخ هيرودوت

---

[1] الاستقسام هو ما كانت عليه عادة العرب فى جاهليتهم من استشارة الأصنام فيما يفعلون أو يتركون وقد أبطل الإسلام هذه العادة وحرمها على المسلمين .

[2] المحبر ، لأبى جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرا لهاشمى البغدادى : رواية بن سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، أعنى بتصحيحه الدكتورة / ايلزة ليختن شتيتر . ص ٣١٥ .

وهو ( اللت ) في نصوص الحجر وصلخد ، أي النصوص البنطية التي عثر عليها في هذه الجهات ويظن أن ( اللات ) هي الشمس ، بدليل أن الشمس أنثى أي إلهه في العربية وفي كثير من اللهجات السامية الأخرى وأن اللات أنثى كذلك [1] .

ويقول ابن حبيب : ( كان اللات بالطائف لثقيف على صخرة ، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة ( التي في مكة المكرمة ) وكان له حجبة وكسوة وكانوا يحرمون واديه ) .

وكانت سدانة هذا البيت لآل أبي العاص بن أبي يسار بن مالك من ثقيف أو لبني عتاب ابن مالك ، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونه أيضا ويتقربون إليه حتى أن ثقيفا كانوا إذا قدموا من سفر توجهوا إلى بيت اللات أولاً للتقرب إليه وشكره على السلامة ثم يذهبون بعد ذلك إلى بيوتهم .

وقد تم هدم هذا البيت في أيام النبي ﷺ هدمه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

ويقول بن الكلبي في كتابه ( الأصنام ) [2]:

" اللات بالطائف ، وهي أحدث من ( مناة ) وكانت صخرة مربعة وكان يهودي يلت عليها السويق ، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم ( أو آخر القرن الثاني للهجرة ) وهي التي ذكرها الله في القرآن الكريم فقال : " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى" النجم ١٩

وفيه يقول شداد بن عارض الجشمي حين هدمت وحرقت ، ينهر ثقيفا عن العودة إليها والغضب لها ....

---

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام ، القسم الديني ، ج ٥ ص ٤١ .

[2] كتاب الأصنام ص ١٦،١٧ .

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها

وكيف نصركم من ليس ينتصر

إن التي حرقت بالنار فاشتعلت

ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

إن الرسول متى ينزل بساحتكم

يطعن وليس بها من أهلها بشر

وكانت ثقيف تخص اللات بالعبادة بينما كانت قريش تعبد العزى ، وكانوا يسمون بيت اللات ( الربة ) فقد جاء في حديث عروة بن مسعود الثقفي لما أسلم وعاد إلى قومه دخل منزله ، فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتي إلى ( الربة ) يعنون بها اللات كما جاء في حديث وفد ثقيف ، على النبي ﷺ " وكان لهم بيت يسمونه ( الربة ) يضاهنون به بيت الله ".[1]

وفي تاج العروس : ( بيت الربة وهو البيت الذى بنى على اللات ) .

ويقول جواد على في كتابه ( تاريخ العرب قبل الإسلام )[2]:

" وأما الصنم ( اللات ) فإنه من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب وهو ( أليت ) الإله الرئيسي عند العرب في أيام المؤرخ

( هيرودوت ) وهو ( اللت ) في نصوص الحجر وملحد أى في النصوص القبطية التي عثر عليها في هذه الجهات .. وهو ( هـ ل ت ) في النصوص الصفوية ، ولعله ( هلات ) أي على نحو ما ينطق بالكلمة في لهجة القرآن الكريم والهاء في الكلمة أداة تعريف في اللهجة الصغوية فيكون المراد ( اللات ) ويظن أن ( اللات ) هي الشمس بدليل أن الشمس أنثى ، أى إلهة في العربية وفي كثير من اللهجات السامية الأخرى ، وأن ( اللات ) أنثى كذلك .

---

[1] كتاب الأصنام لابن الكلبي صـ١٠٩ .

[2] جـ د صـ٩١ وما بعدها .

وجاء فى الروض الأنف للسهيلى [1] .

اللات وسبب عبادته : وكان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم ، فربما يخرج فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكساء عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : " إنه اللات الذى يلت السويق [2] للحجيج على صخرة معروفة تسمى ( صخرة اللات ) ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو أنه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى ( اللات ) ويقال : " دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة ( اللات ) مخففة التاء واتخذ صنما يُعبد ، وقد ذكر ابن اسحق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها .

وذكر أبو الوليد الأزرقى فى أخبار مكة أن عمرو ابن لحى فقأ أعين عشرين بعيراً وكانوا يفقئون عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفا فإذا بلغت ألفين فقئوا العين الأخرى .

٥- ذو الكعبات :

وهو من البيوت المعظمة عند عرب الجاهلية وكان لربيعة ، وموقعه فى القسم الشمالى الشرقى من جزيرة العرب عند نهر يقال له ( سنداد ) وإليه كانت العرب تحج .

---

[1] ج ١ صـ ١٠٢ .

[2] طعام يصنع من الحنطة والشعير المدقوق .

وقد دعى هذا البيت ( ذو الشرفات ) ويروى المؤرخون أن الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز مر بقصر لآل جفنة ، فتمثل مولاه مزاحم بقصيدة الأسود النهشلى التى يقول فيها[1] :

ماذا أدخل بعد آل محرق
تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق
والقصر ذى الشرفات فى سنداد

فقال له عمر : " ألا قرأت :
كَمْ تركوا مِنْ جنّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ ومقام كريم ونَعْمَةٍ كانوا فيها فاكِهين كذلك وأورثناها قومًا آخرين " الدخان / ٢٥-٢٨

وفى كتاب ( صفة جزيرة العرب ) للهمذانى :
أو كانوا – أى العرب – يعبدون بيتا سمى ( ذا الكعبات ) وفيه يقول المتلمس الشاعر :

ألك السدير وبارق
ومبايض ولك الخورنق

والقصر من سنداد
ذو الكعبات والنخل المبنق

وفيه كذلك يقول الأسود بن يعفر فى بعض الروايات :
أهل الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذى الكعبات من سنداد

---

[1] فى طريق الميثولوجيا عند العرب / محمود سليم الحوت ، جـ ١ صـ ١٣٧ .

٦- **بيت غمدان :**

وإلى جانب ( الكعبات ) التى ذكرناها ، فإنه كان للعرب فى جاهليتهم بيت يعظمونه ويوذون فيه مناسكهم الدينية الوثنية ، وهو ( بيت غمدان ) وهو الذى شاده فى صنعاء أحد ملوك اليمن ويدعى ( ليشرح بن يحصب ) وجعله على اسم الزهرة ( الكوكب ) الذى اشتهر كذلك باسم ( عشتروت ) فقد نقل ياقوت الحموى الرومى البغدادى عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى أن ليشرح هذا أراد اتخاذ قصر له بين صنعاء وطيوة فأحضر البنائين والمقدرين لذلك ، فمدوا الخيط ليقدروه فانقضت على الخيط حدأة ، فذهبت به فاتبعوه حتى ألقت به فى موقع غمدان ، فقال ليشرح : " ابنوا القصر فى هذا المكان " فبنى على أربعة أوجه ( وجه أبيض* ووجه أحمر* ووجه أصفر* ووجه أخضر ) وبنى فى داخله قصر على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً وكان ظله إذا طلعت الشمس يُرى على ( عتيان ) وبينهما ثلاثة أميال وجعل أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملون ، وجعل سقفه رخامة واحدة ووضع على كل ركن من أركانه تمثال أسد من نحاس كأعظم ما يكون من الأسد ، فكانت الريح إذا هبت على ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه ، فيسمع له زنير كزنير السباع .

وكان يأمر بالمصابيح فتضاء فى ذلك البيت فكأن سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق ، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطر ولا يعلم أن ذلك من ضوء المصابيح .

قال ياقوت :

وغمدان الذى حدثت عنه

بناه مشيداً فى رأس نيق

يمر مـرة وأعلاه رخـام

سـخام لا يعيــب بالشــقوق

مصـابيح السليط يلحـن فيـه

إذا يمســى لتومــا فــى الــبروق

فأصبح بعـد جدتـه رمـادا

وغـير حسـنه لـهب الحريـق

وهـذا البيت الـذى كـان أول معبـد بنـى فـى جنـوب الجزيـرة العربيـة بقـى قائمـا إلـى مـا بعد ظـهور الدعوة الإسلامية ، ولمـا ولـى عثمـان بـن عفـان ﷺ الخلافـة أمـر بهدمـه ، فقيـل إن كـهان اليمـن يزعمـون أن الـذى يهدمـه يقتـل ، فـأمر بإعـادة بنائـه فقيـل لـه ، لـو أنفقت عليـه خـراج الأرض مـا أعدتـه كمـا كـان فتركـه خرابـاً ، ويقـول يـاقوت أنـه وجـد علـى خشـبة فـى هـذا البيـت وعليـها كتابـة مـن الرصـاص المصبـوب: " أسـلم غمـدان ، هـادمك مقتـول ) ومـن عجـب المصادفـة أن هـذا الخليفـة لقـى حتفـه قتـلاً علـى مـا هـو معـروف فـى التـاريخ . ( وهـو قولـه مـردود علـى مـن قالـه فعثمـان لايؤمـن بـالكهانـه )

تقـول : " وفـى صنعـاء اليـوم قصـر معـروف بـهذا الاسـم قـد اتخـذت منـه الحكومـة اليمنيـة فـى المـدة الأخـيرة مسـتودعا للأسـلحة والذخـائر الحربيـة ، ويقـال بـأن هـذا القصـر الحـالى قديـم العـهد ولكنـه لا يرقـى فـى بنائـه إلـى العصـر الجـاهلى بـل هـو مـن الأبنيـة التـى شـيدت فـى العـهد العثمـانى وليـس بيـن العصريـن القديـم والحديـث آيـه صلـة تاريخيـة ، وإن كانـا يحمـلان اسـما واحـداً .

هذا وإن المسـعودى عـد ( بيـت غمـدان أحـد المعـابد السـبعة التـى تعتـبر أقدم مـا عرف البشـر مـن البيـوت المعظمـة فـى التـاريخ ) .

٧- **بيت ريام:**

قال ابن الكلبى [١] : " وكان لحمير بيت بصنعاء يقال له رئام يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه ، فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه إلى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة ، فأمراه بهدم رئام قال: " شأنكما فهدماه وتهود تبع وأهل اليمن فمن ثم لم أسمع بذكر رئام ولا ( نسر ) فى شئ من الأشعار والأسماء ، قال هشام أبو المنذر : " ولم أسمع فى رئام وحده شعرا وقد سمعت فى البقية .. ) .

وقال السهيلى فى الروض : " وذكر البيت الذى كان لهم يقال له ( رئام ) وهو مقال من رئمت الأنثى ولدها تر أمه رئما ورئاما إذا عطفت عليه ورحمته .

فاشتقوا لهذا البيت اسماً لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته والله أعلم [٢] .

وذكر ابن هشام فى هدم البيت المسمى رئام : قال ابن اسحق : " وكان رئام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : " إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه .

قال : " فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم – كما ذكر لى – بها آثار الدماء التى كانت تراق عليه [٣].

---

[١] معجم البلدان : ياقوت الرومى الحموى ، مجلد ٤ صـــ ٤٦٣ .

[٢] الروض الأنف للهيلى ج ١ صـــ ٤٢ .

[٣] نفس المرجع السابق .

٨ — **ذو الشرى :**

ذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان فقال [1] :

" ذو الشرى صنم كان لدوس ، كانوا قد حموا له حمى "

وقال أيضا : " الشرى جبل بنجد فى ديار طئ وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع .. وموضع عند مكة .. وفى مكان آخر قال ياقوت : ( الشرى ما كان حول الحرم ، وهى الشراء الحرم ) على أن المصادر اللاتينية قالت إن ذا الشرى كعبة كانت فى مدينة سلع بالبتراء ، وأن هذه الكعبة كانت بيتا على اسم ( الشمس ) وأن كلمة ( ذى الشرى ) هو الاسم الآخر للشمس ، ومعناه ( الإله المنير ) ، ولقد كان هذا الإله الأسطورى قائما على قاعدة مكسوة بالذهب فى بيت خاص به وهذا البيت كان أيضا قائما على صخرة مرتفعة [2] وهو موشى بالذهب وبداخله صور تمثل تقديم القرابين إليه وكان الأقباط وسائر الناس يحجون إليه من مواطن بعيدة تقربا للصنم الذى بداخله [3] .

ويرى بعض الكتاب من اللاتين واليونان أن ( ذا الشرى ) هو نفس الإله الأسطورى القربى باخوس ديونيسيوس وكان أهل الجاهلية يطلقون عليه اسم رب البيت .

وذكره ابن الكلبى فى جملة الأصنام التى عبدها العرب وأنه كان خاصا ببنى الحارث بن الشكر بن مبشر ( هناك من يقول بأنه كان يوجد بداخل هذا البيت حجر أسود غير مصقول ارتفاعه ٤ أقدام وعرضه قدمان وكان الناس يقصدونه من أماكن قصية للاحتفال به فى اليوم ٢٥ من شهر كانون الثانى كل عام مرة على أن العالم الأثرى أحمد كمال باشا نشر فى

---

[1] معجم البلدان ، المجلد ٤ ، صـ ٢١٠ .

[2] كتاب الأصنام : تحقيق / أحمد زكى باشا ، صـ ١١ .

[3] معجم البلدان ، م ج ٣ صـ ٣٣٠ .

مجلة المقتطف المصرية جـ ٢٣ صـ ٥٠٥ أن الخورنق ( ذى الشرى ) كانها من حرتش أى حوريس الأحمر وهو اسم المريخ بالمصرية القديمة

**٩- الخورنق :**

قال السهيلى : " الخورنق مصر بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه رجل يقال له ( سنيمار ) فى عشرين سنة ولم ير بناء أعجب منه ، فخشى النعمان أن يبنى لغيره مثله فألقاه من أعلاه فقتله ففى ذلك يقول الشاعر

جزانى جزاه الله شر جزائه ** جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رضفة البنيان عشرين حجة ** يعد عليه بالقرامد والسكب

فلما انتهى البنيان يوم تمامة ** وآض كمثل الطود والباذ فى الضعب رمى بسنيمار

علــى حـق رأسه ** وذاك لعمرُ الله من أقبح الخطب .

قال السهيلى : " انشده الجاحظ فى كتاب الحيوان والسمار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها هُدمت لما جاء الإسلام جنهز رسول الله ﷺ إلى كل بيت من هذه سراياً تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعُبد الله وحده لا شريك له [١] .

**١١ — رضى :**

ويكتب أيضاً ( رضاء ) وذكره ابن الكلبى فى كتابه الأصنام وقال إنه كان بيتاً لربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وقد هدمه المستوغر فى الإسلام وقال بعد أن هدمه شعراً جاء فيه [٢] :

---

[١] البداية والنهاية : لابن كثير م ٢ صـ ١٩٦ – ١٩٧ .

[٢] كتاب الأصنام : صـ ٣٠ والمستوغر هو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وإنما سمى المستوغر لأنه قال : ينش الماء فى الربلات فيها * نشيش الرضف فى اللبن الوغير .

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركتها تلا تنازع أسحما [1]

ودعوت عبد الله فى مكرورها

ولمثل عبد الله يقش المحرما

ويقول جواد على إن ( رضى ) من الأصنام التى عبدها قوم ثمود وأن عبادته كانت منقشرة بين العرب الشماليين [2] .

وفى رأى بعض المستشرقين أن هذا الصنم كان بمنزلة ( عشتر ) عند الجنوبيين ، ويظن بعضهم أن ( أرضو ) أو ( أرصو ) الذى قال عنه هيرودوت المؤرخ بأنه أحد آلهة العرب الكبرى يظن أنه هو نفس ( رضاء ) الذى أشار إليه الأخباريون [3].

**١٢ – بس :**

يستفاد من كلام صاحب معجم ( تاج العروس ) [4] أن ( بس ) كان بيتاً تعبده قبيلة غطفان ، وسبب بنائه أن رجلاً من هذه القبيلة اسمه ظالم بن أسعد ، لما رأى القرشيين يطوفون بالكعبة المشرفة ويسعون بين الصخرتين ( الصفا والمروة ) أراد أن يجعل لقومه بيتاً يطوفون به دون البيت الذى فى مكة المكرمة .

---

[1] الأسحم : صنم اسود .

[2] مراجع ( تاريخ العرب قبل الإسلام ) لجواد على أ ١٥٠ – ١٥٦ ، ويقول العالم الأثرى المصرى المرحوم أحمد [illegible] ( رضا ) وهو بيت صنم اربيعة ، ومصريته ( رتاو ) أو ( ريح مارى ) مؤنث ( رع ) زوجة (ميتو) راجع مجلة الا[illegible] لعيسى اسكندر المعلوف ح ١٠ مجد ٤ / ٤٩٥ .

[3] كتاب الأصنام : التكملة التى جمعها محقق هذا الكتاب أحمد زكى باشا .

[4] يقول جواد على فى كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ح ٥ صـ ٩٨ .

فأخذ قياسات البيت الحرام طولا وعرضا ، واقتطع من الصفا والمروة حجرا من هذه وآخر من تلك ولما عاد إلى قومه بنى لهم على قدر البيت الحرام بيتا آخر ووضع فيه الحجرين وقال لهم :

" هذا الصفا والمروة ، وطلب إليهم أن يقصروا حجهم على البيت الذى بناه لهم ، إلا أن ذلك لم يعجب بعض الناس الذين كانوا يرون ضرورة الحفاظ على حرمة البيت الحرام الذى فى مكة المكرمة فانبرى واحد منهم يقال له ( زهير بن جناب الكلبى ) وأقسم أنه لا يكون ذلك وأنا حى ، ولا أخلى غطفان تتخذه ( حرما ) أبدا ، وأغار زهير على ظالم المذكور فقتله وهدم البيت الذى بناه [1] .

## ١٣ - الربة :

فى تاج العروس وفى النهاية لابن الأثير : ( الربة ، كعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب ) .

---

[1] يقول جواد على فى كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ٩٨ :

والحرم الذى نحن بصدده ( أى بس ) ظن ابن الكلبى أو رواة كتب ( الأصنام ) أنه بيت ولذلك قال أو قالوا: تبنى عليه ( بسا ) وهو قول غريب فبس إنما هو ماء لقطفان عنده ثبت ذلك الحرم وقد ورد ( بس ) بصيغة ( لبس ) فى موضع من كتاب ( الأغانى ) : ١٢ / ١٢١ ( أخبار الحصين بن حمام ونسبه ) وهو خطأ قد يكون من النساخ . أ هـ .

## الفصل الخامس
## كعبات أخرى كانت العرب تحج إليها وتعظمها

وفى الجزيرة العربية كثير مما ذكرنا من الكعبات فلقد كان من عادة أهل الجاهلية أن يجعلوا لكل صنم من أصنامهم بيتا خاصا به ويعاملونه معاملتهم للكعبة المكية فيقدمون عنده الأضاحى والقرابين وينفحونه بالهدايا من غالى المتاع والكسى والسلاح ويخصصون له من يتولى فيه الحجابة والسدانة ويأتونه إما قصدا أو عرضا فى أثناء أسفارهم وتنقلاتهم وكانوا يفرجون على بيوت هذه الأصنام للإقامة فى جوارها أياما قد تطول وقد تقصر تبعا لطقوسهم الوثنية فيرتاحون عندها ويستسقون وكثيراً ما كانوا يختارون أن يجعلوا هذه ( الكعبات ) عند عيون المياه أو الغدران أو فى الواحات وشعب الجبال والوديان

ويقول الدكتور جواد على : ( والحج إلى مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى مثل بيت اللات فى الطائف وبيت العُزى على مقربة من عرفات وبيت مناة وبيت ذى الخلصة وبيت نجران وبقية البيوت الجاهلية المنظمة إنما هى أعياد يجتمع الناس فيها بأبهى ما عندهم من حلل ، وأجمل ما يملكون من ملابس للاحتفال معاً بتلك الأيام وهم يدخلون السرور على أنفسهم وعلى إلهتهم بحسب اعتقادهم وتقدير هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات كل يذبح على قدر طاقته ومكانته فيأكل منها فى ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم فى أثناء السنة لفقره فهى أيام يجد فيها الفقراء لذة ومتعة وعبادة .

وفى كتب الأخبار ومدونات الأشعار أكثر من إشارة إلى أن القبائل العربية فى جاهليتها كانت تطوف فى أعيادها حول كعبات أصنامها

وتهدى إليها ثم تنحر عندها بعد إكمال طوافها دلالة على إكمال شعائر الحج إلى هذه المواضع المعظمة [1]

وإذا نحن راجعنا ما كتبه المؤرخون عن أصنام العرب وبيوتهم المعظمة فى الجاهلية نجد هؤلاء المؤرخين يشيرون إلى أن الجاهليين كان لهم بيوت يعظمونها ويقدسونها غير البيت الحرام الذى فى مكة المكرمة مثل بيت ذى الشرى الذى كان للنبط فى البتراء . وإلى مثل هذا ذهب المستشرق الألمانى ولهوزن وجماعة من أمثاله الذين قالوا بتعدد بيوت الأرباب التى كان العرب يحجون إليها فى شهر ذى الحجة . وإلى عدم حصر الحج فى الجاهلية بموقع واحد دون سواه . وغير بيت ذى الشرى ذكر المؤرخون فى جملة بيوت العرب المعظمة ( بيت رضى ) ويكتب رضاء ، وقد ورد اسم هذا البيت فى كتابات الصفويين باسم ( رضو ) [2]

وذكر ابن الكلبى فى كتابه ( الأصنام ) أن البيت رضى كان لربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة وقد هدمه المسقوعز فى الإسلام وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركتها بلا تنازع أسحما

ودعوت عبد الله فى مكرورها

ولمثل عبد الله يغشى المحرما

وذكر ابن حبيب أنه كان بالطائف ، بيت اللات ، وهو على صخرة لثقيف وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة ، وكان له حجبة وكسوة وكانوا يحرمون واديه فبعث رسول الله ﷺ أبا شعبان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه ، وكان سدنته آل ابن العاصى من بنى يسار بن

---

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام ح ٥ / ١٠٥ .

[2] تاريخ العرب قبل الإسلام ح ٥ صـ ١٠٥ .

مالك من ثقيف وكان( بيت شمس ) لبني تميم . وكانت تعبده بنو إدكلها ضبة وتميم وعدى وعكل وثور وكان سدنتة من بنى أوس بن مخاش بن معاوية بن شريف بن جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، فكسره هند بن أبى هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس بن مخاش [1]

كما ذكر محمود سليم الحوت فى كتابه ( فى طريق الميثولوجيا عند العرب) أن هناك بيوتا معظمة كثيرة فى أماكن شتى من بلاد العرب ذلك ( الفلس ) لقبائل طيء عند جبلى أجاد سلمى و( السعيدة ) وكان هذا أيضا بيتا تحج إليه العرب وسدنته بنو عجلان ، وقيل أن قبائل الأزد كانت تعبده .[2]

وقد ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية باب جهل العرب :

وحدثنا أبو النعمان أبو عوانه عن أبى بشر عن سعيد بن جبيرعن ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام :" قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ " الأنعام / ١٤٠

وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التى ظنها كبيرهم عمرو بن لحى - قبحه الله - مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر فى ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الضغام فيه بل قد تابعوه فيما هو أطم من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك . وغيروا شعائر الحج ومعلم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف ..

---

[1] انظر صـ ٣١٥ وما بعدها

[2] الكتاب المذكور صـ ١٣٧ ، ١٣٨ .

قـال ابـن اسـحق وغـيره : " ثـم صـارت هـذه الأصنـام فـى العـرب بعـد تبديلـهم وابـن إسـماعيل فكـان ود لبنـى كلـب بـن مـرة بـن تغلـب بـن حلـوان بـن عمـران بـن الحـاف بـن قضاعـة وكـان منسـوبا بدومـه الجنـدل " .

وكـان سـواع : لبنـى هزيـل بـن إليـاس بـن مدركـة بـن مضـر وكـان منصوبـا بجـرش وكـاب يعوق : منصوبـا بـأرقى همـدان مـن اليمـن لبنـى خيـوان بطـن مـن همـدان وكـان نسـر : منصوبـا بـأرض حمـير لقبيلـة يقـال لـهم ( ذو الكـلاع ) .

قـال ابـن اسـحق : " وكـان لخـولان بأرضـهم صنـم يقـال لـه ( عـم أنـس ) يقسـمون لـه مـن أنعامـهم وحروثـهم قسـما بينـه وبيـن الله فيمـا يزعمـون فمـا دخل فى حق عم أنـس مـن حـق الله الـذى قسـموه لـه وتركـوه لـه ومـا دخـل فـى حـق الله مـن حـق عـم أنـس رده عليـه وفيـهم أنـزل الله :

" وَجَعَلوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنعام نصيبا " الأنعام / ١٣٦

وكـان لبنـى ملكـان بـن كنانـة بـن خزيمـة بـن مدركـة صنـم يقـال : سـعد صخـرة بفـلاة مـن أرضـهم طويلـة فـأقبل رجـل منـهم بـإبل لـه مؤبلـة ليقفـها عليـه التمـاس بركتـه فيمـا يزعـم ، فلمـا رأتـه الإبـل وكـانت مرعيـة لا تركـب وكان الصنم يهراق عليه الدماء تفرت منه فذهبـت فـى كـل وجـه وغضـب ربها وأخذ حجراً فرماه به ثم قال : " لا بارك الله فيـك تفـرت علـى إبلـى ، ثم خرج فى طلبها فلما اجتمعت لـه قـال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن مـن سعـد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة * من الأرض لا يعدو لغى ولا رشد

قال ابـن اسـحق : وكـان فـى دوس صنـم لعمـرو بـن حمـة الروسـى .

قـال : وكـانت قريـش قـد اتخـذت صنمـا علـى بئـر فـى جـوف الكعبـة يقـال لـه ( هبـل ) وقـد تقـدم فيمـا ذكـره ابـن هشـام أنـه أول صنـم نصبـه عمـرو بـن لحـى لقبـه الله .

قال ابن اسحق : " واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلاً وامرأة فوقع عليها في الكعبة فمسخهما الله حجرين .

ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن الحمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت : " سمعت عائشة تقول : " ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله ﷻ حجرين والله أعلم .

وقد ذكر الواقدي : " أن رسول الله ﷺ لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور " .

وقد ذكر السهيلي : " أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز ، إنما سميا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحي فجر بسلمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فعرفا بهما .

قال : " وكان بين أجا وسلمى صنم لطي يقال له ( فلس ) .

قال ابن اسحق : " واتخذ أصل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يفعل حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله .

قال : " فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش : " أجعل الآلهة إلها واحداً إنّ هذا لشيءٌ عُجابٌ " ص/ ٥

قال ابن اسحق : " وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدي لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده .

وكانت لقريش وبنى كنانة القرى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنى شديان من سليم حلفاء بنى هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح .

قال : " وكانت اللات كثقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بنى معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف .

قال : " وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضا ... وقيل على بن أبى طالب قال : " وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة .

وكان يقال له : " الكعبة اليمانية ، والبيت مكة : الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله البجلى ...

# الفصل السادس

## أسماء الكعبة

وللكعبة المشرفة أسماء عديدة وردت فى القرآن الكريم وتعدد الأسماء دليل على عظم المسمى . ومنها " الكعبة البيت العتيق - والبيت الحرام - والبيت المعمور - بكة - حرما أمنا - البيت المحرم ..

**الكعبة :**

ومن أسماءها المشهورة بها الكعبة :

قال تعالى :" جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ " المائدة / ٩٧

سبب تسميتها بالكعبة :

سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلق الكعب ، وقيل التكعب : التربيع وكل بناء مربع كعبة .

وقيل : سميت لارتفاع بنائها ، وكل بناء مرتفع فهو كعبة ، ومنه كعب ثدى الجارية إذا علا فى صدرها وارتفع "[1]

وقال القرطبى :

سميت الكعبة كعبة لأنها مربعة وأكثر بيوت العرب مدورة وقيل : إنما سميت كعبة لنتوئها وبروزها ، فكل ناتئ بارز كعب مستديرا كان أو غير مستدير . ومنه كعب القدم وكعوب القناة وكعب ثدى المرأة إذا ظهر فى صدرها[2] .

---

[1] مجلة الأزهر السنة ( ٦٩ ) ج١ / ٤٠ .

[2] الجامع لأحكام القرآن ج٦ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

- **البيت :**

وسميت بالبيت . قال تعالى :" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا" البقرة/ ١٢٥

وقال تعالى :" وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" آل عمران/ ٩٧

قال القرطبى : البيت يعنى الكعبة .

والبيت سمى بذلك لأنها ذات سقف وجدار ، وهى حقيقة البنية وإن لم يكن لها ساكن .

- **البيت الحرام :**

وسميت بالبيت الحرام أيضا .

قال تعالى :" وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ " المائدة/ ٢ وسميت حرما فى قوله تعالى " جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ" المائدة/ ٩٧

وقال القرطبى : وسماه الله ﷻ حراماً بتحريمه إياه .

- **البيت العتيق :**

وسميت الكعبة بالبيت العتيق لقوله تعالى :" وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" الحج/ ٢٩

وسميت بالعتيق : أى القديم .

وقيل عتيقا لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى انقضاء الزمان . وعن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ " إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار " [1]

وقالت طائفة : سمى عتيقاً لأنه لم يملك موضعه قط .

وقالت فرقة : سمى عتيقا لأن الله عز وجل يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب

وقيل : سمى عتيقا لأنه أعتق من غرق الطوفان .

---

[1] رواه الترمزى : وقال : حديث حسن صحيح .

قال مجاهد : خلق الله البيت قبل الأرض بألفى عام ، وسمى عتيقا لهذا ، والله أعلم .

## ❁ بكة :

وقد سميت بكة لقوله تعالى إنّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا" آل عمران / ٩٦

روى عن زيد بن أسلم " أن بكة الكعبة والمسجد ، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى .[1]

## ❁ حرماً آمناً :

وسميت حرما آمنا كما فى قوله تعالى :" أولَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا" القصص / ٥٧

وقال تعالى :" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا" البقره / ١٢٥

وقال تعالى :" وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا " آل عمران / ٩٧

كأنه قال : آمنوا من دخل البيت وقال : وآمنا " تأكيد للأمر باستقبال الكعبة "[2]

## ❁ البيت المعمور :

وسميت بالبيت المعمور : قال تعالى " وَالطُّور وكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ " الطور / ١-٤ ذكر الشوكانى قائلاً :" والبيت والمعمور فى السماء السابعة وقيل فى سماء الدنيا وقيل هو الكعبة . فعلى القولين الأولين يكون وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل إليه من الملائكة ويعبد الله فيه . وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة أو مجازا

---

[1] ياقوت معجم البلدان ٥/ ١٨٢ .

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبى ج٢ / ١١١ .

باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بنى آدم "[1] . ويقول الحسن : البيت المعمور هم الكعبة ، البيت الحرام الذى هو معمور من الناس يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فإن عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة وهو أول بيت وضعه الله لعبادة فى الأرض ..[2]

[1] فتح القدير للشوكانى ج٥ / ٩ .
[2] الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ / ٦٠ .

# الفصل السابع

## البيت المعمور والكعبة

قال تعالى :" وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ " الطور / ٤

ذكرنا في أسماء الكعبة أقوالاً للشوكاني وغيره أن البيت المعمور - الكعبة - وقد وردت أقوال كثيرة تقول أنه في السماء حيال الكعبة :

وقبل أن نذكر هذه الأقوال ، تقول بأن الكعبة قد سميت على البيت المعمور لأنها حيال الكعبة في السماء .. وهذا أقرب لتوضيح المعنى .. والله أعلم .

أما الأقوال التي توضح أن البيت المعمور في السماء فهي كثيرة نذكر منها قول على وابن عباس وغيرهما : هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه .

قال على رضى الله عنه : هو بيت في السماء السادسة . وقيل في السماء الرابعة . وروى عن أنس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :" أوتى بى إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خر ، خر عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه " [١]

وحكى القشيرى عن ابن عباس أنه في السماء الدنيا .

وقال أبو بكر الأنبارى : سأل ابن الكواء عليا رضى الله عنه قال : فما البيت المعمور قال : بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح وكذا في الصحاح ، والضراح بالضم بيت في السماء وهو " البيت المعمور "

---

[١] ذكره الماوردى

وفى حديث الإسراء :" ثم رفع إلىّ البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " [1]

وفى حديث ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق " الحديث .. وفيه ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا !؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ، قال محمد ﷺ قيل : وقد بعث إليه : قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه "

وعن ابن عباس أيضا قال " لله فى السماوات والأرض خمسة عشر بيتا سبعة فى السماوات وسبعة فى الأرض والكعبة ، وكلها مقابلة للكعبة .

وقال الربيع بن أنس : إن البيت المعمور كان فى الأرض موضع الكعبة فى زمان آدم عليه السلام أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه فلما طغى الماء رفع فجعل بحزانه فى السماء الدنيا فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ فى الصور.. " [2]

---

[1] رواه مسلم .

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ /٥٩ ــ ٦١ ، وتفسير ابن كثير ج٥ / ٢٤٠ .

# الفصل الثامن

## فضائل الكعبة

تكلمنا من قبل عن فضائل مكة المكرمة ووجدنا أن الله عز وجل فضلها على سائر البلاد ـ كذلك فضل ما فيها من شعائر ومقدسات ، حيث تميزت الكعبة المشرفة بخصائص كثيرة وفضائل عظيمة من أهمها أنها :

**أشرف بقعة على وجه الأرض :**

فليس على الأرض بناء أشرف من الكعبة المشرفة وذلك لطهارتها وقداستها ومنزلتها عند الله عز وجل ، فلما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل بالكعبة وقال :

" إنك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت " [1] .

وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما سنذكر

**طواف الطيور بها :**

ومن فضائلها أن الطيور الموجودة بالحرم تطوف بالبيت كما يتطوف الناس وأنها لا تمر من فوق الكعبة ولا تبول بها .

**عدم الاعتداء عليها :**

ومن فضائل الكعبة أنه لم يسبق أن هدمها جبار كما هدم بختنصر بيت المقدس من قبل وكل من حاول الاعتداء عليها أذله الله .

**عدم الأذى حولها :**

فالوحوش لا تؤذى أحد حولها ولا تؤذى بعضها البعض ولا تصاد فريستها في الحرم .

---

[1] أخرجه الترمزى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجة وابن حبان .

### ☜ رفع قواعدها إبراهيم وإسماعيل :

وذلك شرف عظيم أن يرفع قواعد الكعبة أبو الأنبياء وولده إسماعيل قال تعالى :

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ " البقرة/ ١٢٧

### ☜ هبط من الجنة .. ورُفع زمن الطوفان :

ومن فضائل هذا البيت أنه هبط من الجنة مع آدم .. ورفع إلى السماء في زمن طوفان نوح عليه السلام ..

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : " لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال : " إني مهبط معك بيتاً أو منزلاً يُطاف حوله كما يُطاف حول عرشي ، ويُصلى عنده كما يُصلى عند عرشي " ، فلما كان زمن الطوفان رفع وكان الأنبياء يحجونه ، ولا يعلمون مكانه فبوأه لإبراهيم عليه السلام فبناه من خمسة أجبل ( حراء ، وثبير ، ولبنان ، وجبل الطور وجبل الخير ) فتمتعوا منه ما استطعتم [1] .

### ☜ الحنين إليها :

وتلك فضيلة أخرى من فضائل الكعبة أن المسلم تشتاق نفسه إليها وهذه حقيقة ثابتة .. فلقد شرف الله بيته على سائر الأماكن والأقطار بهذه الفضيلة .. فمن عظم الكعبة كان معظما مبجلاً ومن أقبل عليها كان مولاه عليه مقبلاً ، فكم من محب مات شوقا إليها ولم يبلغ منها أملاً وأصبح لسان حاله يقول :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتل * شوقا إليك ورام الوصل ما وصل

قد يتمت بعده الأولاد حين سرى * وظل يبكي بدمع فاض منهمراً .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال :

---

[1] رواه الطبراني في الكبير موقوفا : رجال إسناده ( رجال الصحيح ) " الترغيب والترهيب للمنذري ج ٢ / ١١٥" .

قال رسول الله ﷺ :

" إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت فقالت : يا رب قل عوادى ، وقل زوارى فأوحى الله ﷻ : إنى خالق بشراً خشعاً سجداً يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها " [1] .

**حفظها أن يسكن بجوارها جبار :**

فالله ﷻ حرم على بلدها مكة أن يسكنها جبار أو أن ينسب هذا البيت الحرام إلى جبار كما فعل بالبيوت الأخرى .. وكما سنذكر .

**مضاعفة ثواب العبادة بجوارها :**

والعبادات والطاعات والشعائر التى تؤدى بجوارها .. لها ثواب عظيم وأجر جزيل مضاعف من الأماكن الأخرى .

وروى عن أبى ذر ؓ ، أن النبى ﷺ قال : " إن داوود النبى عليه السلام قال :" إلا هى مالعبادك عليك إذا هم زاروك فى بيتك ؟ قال :

" لكل زائر حق على المزور حقا ياداورد إن لهم علىَ أن أعافيهم فى الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم " [2] .

**مغفرة الذنوب :**

عن ابن عباس ؓ أن النبى ﷺ قال :

" من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقد دعا الرسول ﷺ له بالمغفرة فقال : " اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج " [3]

---

[1] رواه الطبرانى فى الأوسط – مجمع الزوائد ، ح ٣ / ٢٠٨ ( الترغيب والترهيب للمنذرى ح ٢ / ١١٧ .

[2] نفس المرجع السابق .

[3] رواه الترمذى وقال حديث غريب ، سألت البخارى عن هذا الحديث فقال : إنما يروى عن ابن عباس من قوله : " الترغيب والترهيب للمنذرى ح ٢ / ١٣٢" .

**نزول الرحمة :**

ينزل الله ﷻ على من حج هذا البيت الرحمة والمغفرة والسكينة والرضوان لمن طاف به أو صلى عنده أو نظر إليه وفى الحديث .

" النظر إلى الكعبة عبادة "[1]

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين "[2]

**الطواف حولها صلاة :**

والطواف حول البيت صلاة أى كأنه فى صلاة والصلاة هى معراج العبد إلى ربه .. فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :" الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير "[3]

**الطواف به كعتق رقبة :**

وقد أخبر الرسول ﷺ أن الطواف حول البيت كعتق رقبة من ولد إسماعيل .. فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة "[4]

**هدى للعالمين :**

ومن فضائل هذا البيت أن الله سبحانه وتعالى قد جعله هدى للعالمين يقول الله تعالى :

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ " آل عمران / ٩٦

---

[1] رواه أبو الشيخ عن عائشة .

[2] رواه البيهقى بإسناد حسن " الترغيب والترهيب ج ٢ / ١٣٢ "

[3] رواه الترمزى واللفظ له وابن حبان فى صحيحه ( الترغيب والترهيب ج٢ / ١٣٢ )

[4] رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحة ، راجع الترغيب والترهيب المرجع السابق .

ومعنى هذا أن الناس يهتدون إليه فى صلاتهم ولأنه أمن من الخوف وشفاء من المرض وأن من أراد به سوءً عجل الله له العقوبة ..

والأدلة والبراهين واضحة وضوح الشمس . وإن شئت فاقرأ .

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ" الفيل / ١ ، ٥

## طاف به جميع الأنبياء :

فضل الله ﷻ هذا البيت بطواف أنبياءه به ..

فعن عبد الله بن عباس قال :" كانت الأنبياء تدخل الحرم مشاه حفاه ، ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاه مشاه " [١]

وورد أن الأنبياء كلهم حجوا البيت إلا هوداً وصالحاً ، لتشاغلهما بأمر قومهما حتى قبضهما " [٢]

## يبعث منه سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب :

وروى : أن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر قال أبو بكر : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : هم الغرباء " [٣]

## من رآها فى المنام فهى رؤيا حق :

ومن رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق [٤] والدجال لا يدخلها [٥] ومن حج البيت أو أعتمر لا يزال يزداد هيبة وتعظيما وبراً " [٦]

---

[١] ابن ماجه ٢/ ٩٦٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طه عيسى الحلبى .

[٢] ابن ماجه ٢/ ٩٨ والفتاوى الكبرى للهيتمى ٢/ ١٣٥ .

[٣] إعلان الساجد بأحكام المساجد للزركشى تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغى / ٢٠٢ .

[٤] إعلان الساجد /٢٠٨ .

[٥] المرجع السابق ٢١٥ .

[٦] المرجع السابق ٢١٦ .

### شفاعة الكعبة للحجاج :

وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : " يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىّ من كل فج عميق ، شُعثا غبراً ، تركوا الأهل والأولاد والأحباب وخرجوا شوقاً إلىّ زائرين مسلمين طائفين ، حتى قضوا مناسكهم ، كما أمرتهم ، فأسألك أن تشفعنى فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حونى .

يا رب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والاوثار حتى وجبت لهم النار ، فيقول الله تعالى :" قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك ، فينادى ملك من السماء : ألا من زار كعبة الله ، فليعتزل عن الناس ، فيعتزلون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك والخير كله بيديك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .[1]

وروى :" أن الكعبة تحشر كالعروس المزفقة ، ومن حمها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة " [2]

### استجابة الدعاء عند رؤيتها :

من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء عند رؤية الكعبة المشرفة .

فعن أبى أمامه ، أن رسول الله ﷺ . قال :" تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء فى أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف ونزول الغيث وإمامة الصلاة ورؤية الكعبة " [3]

لذا يستحب للحاج أو المعتمر إذا وقع نظره على الكعبة . رفع يديه ويسأل الله من فضله قائلاً :" لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام

---

[1] الروض الفائق فى المواعظ والرقائق .

[2] إعلام المساجد للزركشى /٢٠٠ .

[3] إعلام المساجد /١٠٩ والفتح الكبير ٢/٣٣ ورواه الطبرانى فى الكبير

ومنك السلام ، ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام . اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته ، اللهم فزده تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه ، ممن حجه أو اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا " [1]

☜ **لا ينقطع من عندها الطواف :**

ومن فضائل الكعبة أنه لا ينقطع الطواف عندها على مدار اليوم والليلة لا ينقطع لحظة ، والرسول ﷺ قد أمر بهذا ..

فعن جبير بن مطعم : أن النبي ﷺ قال :" يا بني عبد مناف ، لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار " [2]

☜ **أن يكون آخر عهده بالبيت :**

وقد شهد الرسول ﷺ طواف الوداع ليكون الحاج والمعتمر آخر عهده بالبيت فعندما يريد الرجوع إلى أهله بعد فراغه من حجه أو عمرته وانتهاء إقامته بمكة المكرمة فيأتي به في آخر ساعة يريد الخروج فيها من مكة المكرمة بحيث إذا طاف لا يشتغل بشيء بل يخرج من مكة مباشرة .

يقول ﷺ :" لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت " [3]

☜ **مثابة للناس وأمناً :**

قال تعالى :" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا " العنكبوت / ٦٧

وقال تعالى " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا " البقرة / ١٢٥

فالله ﷻ جعل البيت مثابة للناس وأمنا أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا .

---

[1] رواه الشافعي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال عمر .( فقه السنة ح١ /٥٨٥ )

[2] رواه أحمد ، وأبو داود والترمذي وصححه .

[3] رواه مسلم .

وقال بعضهم : تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه ، وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر .

ويقال :" أن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله ﷻ [1] وذكر بعض المفسرين : أن المقصود من هذه الآية أن من أدى فى العبادات والطاعات والصلوات والمناسك كان له ثواب عظيم كما أن هذا الحرم كان سبب فى الخير لأهل هذا البلد وللمسلمين . ولان الله تعالى حرم فيها القتل والصيد والحرب .

كما أن الله آمنه من أقامهة الحدود فيه .

## ☜ أول بيت وضع للناس :

قال تعالى :" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا " آل عمران / ٩٦

وقال سيدنا على بن أبى طالب البيت الحرام هو أول بيت فى الأرض وهو أول قبلة ، وهو أول بيت تعبد الناس فيه لله سبحانه وتعالى .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :" إن الطواف بالبيت أفضل لأهل الأقطار والصلاة فيه لأهل مكة "

## ☜ من مات بجوارها لم يعرض ولم يحاسب :

من فضائل الكعبة أن الذى يموت بجوارها يدخل الجنة بغير حساب .

ففى الحديث " من مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة " [2]

## ☜ يتوافق طواف الحج بها مع طواف الملائكة فى السماء :

ويتوافق طواف الحاج حول الكعبة فى عالم الشهادة مع طواف الملائكة حول البيت المعمور فى السماء فى عالم الغيب .

يقول الأمام الغزالى ( ت ٥٠٥ هـ ) فى كتاب أسرار الحج ..

---

[1] إحبار علوم الدين للغزاع ح١ /٣٥٣ وما بعدها

[2] رواه البيهقى فى الشعب ورواه الدار قطنى " إحياء علوم الدين للغزالى ح١ / ٣٥٠ "

وأعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه ولا تختم إلا به ، كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت ، واعلم أن الطواف الشريف هو الطواف بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت " [1]

[1] إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج٣ / ٠٨٧ ( دار الفكر بيروت )



# الباب الخامس

## بناء الكعبة عبر التاريخ

ما خلق الله شيئا على الأرض إلا كتب له الزوال والفناء السريع والعاجل إلا الكعبة المشرفة فقد خلقها الله ﷻ قبل خلق آدم ومرت عليها أيام وأيام وقد كتب الله لها من يجددها أو من يعيد بناءها ، وحدث ذلك عدة مرات ونذكر منها :

- ❖ بناؤها بأمر الله ، وهو البناء الأول الذى بنته الملائكة .
- ❖ بناء آدم عليه السلام .
- ❖ بناء شيث بن آدم عليه السلام .
- ❖ بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .
- ❖ بناء العماليق وجرهم .
- ❖ بناء قصى بن كلاب .
- ❖ بناء قريش قبل البعثة .
- ❖ بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

بناء الحجاج بن يوسف الثقفى .

بناء المماليك فى عهد الدولة العثمانية ١٠١٩هـ .

يقول الأزرقى فى كتابه ( تاريخ مكة )[1] :

" إن الكعبة بنيت عشر مرات "

وسوف نتحدث هنا عنها اقتباساً من الأزرقى وعن غيره من المؤرخين والباحثين .

---

[1] أخبار مكة ، ج ١ / ٧٧ .

## الفصل الأول
## بناء الملائكة عليهم السلام

يقول الله تعالى :

" جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ " المائدة / ٩٧

وهذه الآية الكريمة توضح أن البيت الحرام هو الكعبة ، ومعنى الآية أن الله سبحانه وتعالى فرض تعظيم الكعبة وحرم الاعتداء فيها على الإنسان والحيوان وجعل ذلك قياما أى : قائما ومفروضا حتى يأمن بها الضعيف ويلوذ بها الخائف وليقوم بذلك أمر الناس فى دينهم ودنياهم .

ومكة المكرمة كانت قرية صغيرة تقع بين الجبال الشاهقة وهى غير بعيدة عن الكعبة وتقع فى منتصف المسافة تقريباً بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ووقوعها هكذا فى منتصف الطريق جعلها مكاناً مناسباً لاستراحة القوافل فى رحلاتها بين الجنوب والشمال .

والذى عليه الأكثرون أن الذى بنى الكعبة لأول مرة هم الملائكة ويأخذون هذا الفهم من الآية الكريمة :

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ " آل عمران / ٩٦

فقوله تعالى : " وُضِعَ لِلنَّاسِ " يشير إلى أن الذى وضعه غير الناس فهو منحة من الملأ الأعلى إلى البشر .

وعلى هذا فالكعبة المشرفة كانت أقدم وجوداً من مكة .[1]

وذكر القرطبى :[2]

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه :

---

[1] منبر الإسلام لسنة ٥٧ عدد ١١ صـ ٨٩ .

[2] الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ / ١٣٨ .

" أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت فى الأرض وأن يطوفوا به وكان هذا قبل خلق آدم ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به ثم الأنبياء بعده ، ثم .. تتم بناءه إبراهيم عليه السلام " .

وذكر السهيلى فى الروض قائلاً :[1]

" الملائكة أول من بنوا البيت وسبب ذلك " :

وروى فى سبب بنيان البيت خبر آخر وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال لملائكته :

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم فى علمه ، فطافوا بالعرش سبعاً يسترضون ربهم ويتضرعون إليه فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وأن يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتاً وفى كل أرض بيتاً .

قال مجاهد : " هى أربعة عشر بيتاً كل بيت منها متا صاحبه ، أى فى مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

وروى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلك القواعد من البيت التى رفع إبراهيم وإسماعيل، فلما جاء الطوفان رُفعت وأودع الحجر الأسود ( أبا قبيس ) .

وقال القرطبى :[2]

وروى عن جعفر بن محمد : " سئل أبى وأنا حاضر عن بدء خلق البيت فقال: " إن الله عز وجل لما قال :

---

[1] الروض الأنف للسهيلى ج١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

[2] الجامع لأحكام القرآن ج٢ / ١٢٠ .

﴿ إنـى جـاعل فـى الأرض خليفـة ﴾ قـالت الملائكـــة :

﴿ أتجعل فيـها من يفسد فيـها ويسفك الدمـاء ونـحـن نسبح بحمدك ونقدس لـك ﴾

فغضـب عليـهم ، فعـــاذوا بعرشـــه وطـــافوا حولـــه ســـبعة أشـــواط يسترضون ربـهم حتـى رضـى الله عنـه ، وقـال لـهم :

" ابنـوا لـى بيتـا فـى الأرض يتعوذ بـه مـن ســخطت عليـه مـن بنـى آدم ، ويطـوف حولـه كمـا طفتـم حـول عرشــى ، فـأرضى عنـــه كمـا رضيـت عنكـم ، فبنوا هـذا البيت.

## الفصل الثانى
### بناء آدم عليه السلام

ونزل آدم إلى الأرض فاستجاب لأمر الله وأخذ يعبد الله فى الكعبة المشرفة ويسأله أن يغفر ما بدر منه من عصيان فى الجنة عندما أكل من ثمار الشجرة المحرمة .

وطالت أيام آدم وولد له ابنه شيث وفى عهدهما تشقق بناء الكعبة وتهدمت حيطانها فأعاد آدم وابنه شيث البناء حفاظا عليها واستمرارا لتمكين بنى آدم أن يعبدوا الله فيها .

وأمر الله عز وجل أن يبنى البيت الحرام ( الكعبة ) وأن يطوف حوله وأمره الله أن يذكره حول هذا البيت كما تذكره الملائكة وكما تفعل حول العرش وقام آدم يتخطى فما وقعت قدمه على مكان فى الأرض إلا كان عمرانا وطويت له الأرض إلى أن وصل مكة وأخبره الله بمكان هذا البيت ، وبنى آدم البيت من أحجار خمس جبال هى :

( جبل لبنان ، وجبل طور زينا ، وجبل طور سيناء ، وجبل الجودى ، وجبل حراء ) وقد عاونته الملائكة فى نقل هذه الأحجار ، وبعد أن انتهى آدم من بناء البيت قال : " يا رب مكن لكل أجير أجره " فقال الله تعالى :

" يا آدم طف بالبيت فطاف آدم وحج ، فقال الله يا آدم إنى قد غفرت لك ولمن حج هذا البيت من ذريتك .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما : ابنيا لى بيتا ، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودى من تحته : " حسبك يا آدم " فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقيل له :

" أنـت أول النـاس وهـذا أول بيـت " ثـم تناسـخت القـرون حتـى حجـة نـوح ، ثـم تناسخت القرون حتـى رفـع إبراهيـم القواعد منـه " [1]

وقـال الربيـع : " أنبانـا الشافعي أنبانـا سـفيان عـن أبـى لبيد عن محمد بـن كعـب القرظـى أو غـيره قـال : " حـج آدم فلقيتـه الملائكـة " فقـالوا : " برنسـك يـا آدم لقد حججنـا قبلـك بـألفى عـام "[2]

وقـال القرطبـى : [3]

وذكـر عبد الـرزاق عن ابن جريـح عن عطـاء وابـن المسـيب وغيرهمـا أن الله ﷻ أوحـى إلـى آدم : " إذا هبطت ابـن لـى بيتـا احفـف بـه كمـا رأيـت الملائكـة تحـف بعرش الـذى فـى السـماء .

---

[1] رواه البيهقى وضعفه ابن كثير فى البداية والنهاية ح ٢ / ١٢٠ .

[2] البداية والنعاية لابن كثير ح ٢ / ٣٠٣ .

[3] الجامع لأحكام القرآن ح ٢ / ١٢٠.

## الفصل الثالث
### بناء شيث بن آدم

اختلفت الروايات فى بناء شيث بن آدم للكعبة فقالوا إنه بناها مع أبيه آدم وقالوا بأنه قد بناها بعد موت أبيه .

فيروى عن سعيد بن سالم قال : " لما رفعت الخيمة التى عزى الله بها آدم من حلية الجنة حين وضعت له بكة فى موضع البيت وبعد أن مات آدم عليه السلام بنى ابنه " شيث " الكعبة بعده من الطين والحجارة فلم يزل معمور يعمرونه هم ومن بعدهم إلى أن جاء زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام فرفعه الله إلى السماء إلى أن بوأه الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

وقال السهيلى : " وكانت الكعبة قبل أن يبنيها " شيث " عليه السلام خيمة من ياقوته حمراء يطوف بها آدم ويأنس عليها لأنها أنزلت إليه من الجنة وكان قد حج إلى موضعها من الهند .

وقد قيل : " إن آدم هو أول من بناها "[1]

وقال القرطبى :

" وروى عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه ، قال : " أول من بنى البيت بالطين والحجارة " شيث " عليه السلام.[2]

---

[1] ذكره ابن اسحق فى غير رواية البكائى ، ( الروض الأنف للسهيلى ج ١ / ٢٢٢ ) .
[2] الجامع لأحكام القرآن ج ٢ / ١٢٢ .



# الفصل الرابع

## بناء إبراهيم وإسماعيل عليه السلام

قبل إبراهيم كان بناء الكعبة قد انهار مع الزمن ولم يبق منها إلا القواعد التى غطتها الرمال والحصا .

فقد بنى آدم البيت وطاف به وبمرور الأيام احتاج البيت إلى إعادة بنائه فبناه " شيث " بن آدم ومرت أيام وعصور عليه إلى أن رفعه الله فى زمن نوح عليه السلام عندما حدث الطوفان ، وقد تاهت معالم هذا البيت الحرام إلى أن جاء خليل الله إبراهيم عليه السلام .

والذى يتأمل آيات القرآن الكريم يدرك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعيد للكعبة رواءها على يد إبراهيم عليه السلام وكان ذلك على ثلاث مراحل :

☜ ففى المرحلة الأولى :

ألهم الله تعالى إبراهيم بالمنطقة التى بها البيت الحرام وألهمه أن يذهب لها ومعه زوجته هاجر وابنهما إسماعيل وهى منطقة صحراء قاحلة تتضح من قوله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ " إبراهيم / ٣٧

وفى هذه المرحلة لم يكن مكان البيت محدداً وإنما كان الإلهام للاتجاه للمنطقة الفسيحة الصحراوية التى بها مكان الكعبة المشرفة .

☜ أما المرحلة الثانية :

من مراحل إبراز البيت الحرام فتتضح من الآية الكريمة :

" وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " الحج / ٢٦

ويقول المفسرون : إن معنى كلمة " بوأنا " عينا وحددنا مكان البيت لإبراهيم وذلك بواسطة ريح كنست ما فوق القواعد .

قال السدى : إن الله ﷻ أمر إبراهيم أن يبنى البيت هو وإسماعيل ابنيا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ..[1]

وتذكر الآية الكريمة تحذيراً من أن يتخذ هذا البيت معبوداً ، فذلك شرك ولذلك جاء قوله تعالى :" ألا تشرك بى شيئاً " فالبيت بيت الله ويدعى له المؤمنون لتكبير الله وتعظيمه على ألا يكون ذلك سبباً فى الإشراك بالله سبحانه وتعالى .

وتذكر الآية أنه فى هذه المرحلة يأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يطهر المكان بإزالة كل العوائق والقاذورات والأوثان التى توجد به والتى تعترض الطائفين والعابدين والركع السجود .

- ثم تجيء المرحلة الثالثة :

وهى التى وضحتها الآية الكريمة " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "[2]

وواضح من هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لم يضع أساس البيت الحرام ، وإنما رفع بناءه على القواعد التى كانت موجودة من قبل وكان ابنه إسماعيل معه فى هذه المرحلة .

ويظهر من كل هذا أن إبراهيم رفع قواعد البيت هو وولده إسماعيل .

---

[1] تفسير ابن كثير ج١ /١٧٩ .
[2] البقرة / ١٢٧ .

وكان ارتفاع هذا البيت الحرام وقتها تسعة أذرع وطول الضلع الأول من ناحية الحجر الأسود ٣٢ ذراع ، والضلع الثانى ٢٢ ذراع والضلع الثالث ٣١ ذراع الضلع الرابع ٢٠ عشرين ذراع .

وبعد أن انتهى من عملية البناء أمره الله عز وجل أن يؤذن فى الناس بالحج فقال إبراهيم : وما يبلغ صوتى قال الله تعالى : عليك الأذان وعلينا البلاغ . فصعد إبراهيم جبل أبى قبيس وقال : أيها الناس إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا وبنى بيتاً فزوروه ، فسمعه كل من كتب الله له حج بيته الحرام حتى من كانوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وما سمعه حجر ولا بشر ولا شجر ولا مدر ولا أكمه أو تراب إلا لبى معه وسمع آذانه .

روى ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام لما أذن للحج تواضعت له الجبال وارتفعت له القرى .وروى أنه لما فرغ إبراهيم من البناء أتاه جبريل عليه السلام فقال له : طف فطاف هو وإسماعيل سبعاً يستلمان الأركان ، فلما أكملا صليا خلف المقام ركعتين وقام معه جبريل وأراه المناسك كلها : الصفا والمروة ومنى ومزدلفة ..[1]

وذكر السهيلى فى الروض [2]

أن يعرب قال لهود ﷺ ألا نبنيه ؟ قال : إنما يبنيه نبى كريم يأتى من بعدى يتخذه الرحمن خليلاً فلما بعث الله إبراهيم وشب إسماعيل بمكة أمر إبراهيم ببناء الكعبة فدلته عليه السكينة وظلت له على موضع البيت فكانت عليه كالجحفة ، وذلك أن السكينة من شأن الصلاة ، فجعلت علما على قبلتها حكمة من الله سبحانه .

---

[1] مجلة الأزهر السنة التاسعة والستون المحرم ١٤١٧ هـ /٤٠ .

[2] الروض الأنف للسهيلى ج١ /٢٢٣ .

وبناه عليه السلام من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها ، وهى طور تينا ، وطور رزينا . اللذين بالشام ، والجودى وهو بالجزيرة ، ولبنان ( تثنيه لبن جبلان قرب مكة ) وحراء وهما بالحرم .
كل هذا جمعناه من آثار مروية .

# الفصل الخامس
## بناء العماليق للكعبة

أول من نعرف من القبائل التى سكنت مكة قبيلة العماليق ، ثم نزحت إلى مكة قبيلة جرهم التى عاصرت إسماعيل عليه السلام وقد تزوج منها إسماعيل واتفق مع زعمائها على إدارة شئون مكة ورعاية حجاج الكعبة المشرفة ..

وتذكر كتب التاريخ الإسلامى عن مراحل بناء الكعبة أن الذين أعادوا بناء الكعبة قبائل العماليق وكان ذلك فى زمن سيدهم " عموق " عندما هتف فى قومه يدعوهم إلى الفضائل قائلاً : يا قوم ابقوا على ما أنتم عليه لقد سمعتم من كانوا قبلكم من قوم هود وصالح وشعيب من ملكة لما خالفوا واتبعوا من ذنوب ومعاصى فلا تفعلوا ما أنتم عليه ولا تستخفوا بحرم الله وموضع البيت وإياكم والظلم والإلحاد فيه لأن الله يقطع من يفعل ذلك وإن فعلتم ذلك لن يبقى الله لكم باقية ولكن لم يكن لكلامه عندهم استجابة فبعث الله عليهم قبائل جرهم الذين أتوا من اليمن بسبب الجدب هناك وضيق المعيشة ..

# الفصل السادس
## بناء جرهم للكعبة

فتغلبوا على العماليق وطالت أيامهم واستبدوا بالسلطة تاركين الأمور الدينية لإسماعيل وقانعين بأمور السياسة والرفادة .. إلى أن جاء سيل عظيم فهدم الكعبة فقامت جرهم ببناءها على ما بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكان الذى بنى البيت منهم بيده رجل يقال له ( عمر الجدار ) ، ثم زاد ثراء قبيلة جرهم وانغمسوا فى الملاذ وأهملوا السهر على بئر زمزم وعلى البيت الحرام وهذا جذب قبيلة خزاعة لتدخل مكة وأن تستولى على السلطة من جرهم.

فحذرهم سيدهم ( عمرو بن مضاض ) بما هم عليه من البغى قائلاً لهم :

" ما استخف قوم ببيت الله الحرام إلا أخرجهم منه " ووصل الأمر بهم إلى أن سرقوا بئر الكعبة وأخذوا ما فيه من الهدايا والنذور ، ولما ينس مضاض بن عمرو الجرهمى من إيقاظ قومه ألقى ببئر زمزم سيوفاً ودروعاً من الصلب وغزالتين من الذهب كانتا بالكعبة وأهال التراب عليها وخرج من مكة هو وقومه أملاً أن يعود لمكة يوماً ليستخرج هذه الذخائر وكان خروجه سنة ٢٠٧ ق.م ، ومنذ ذلك التاريخ استولت خزاعة على مكة وخلصت لها وظائف الكعبة كلها سواء ما كان منها متصلاً بالرياسة والسياسة أو الرياسة الدينية .[1]

---

[1] كتاب الأصنام : لابن الكلبى ح ٨ .

**جرهم تستحل حرمة البيت :**

وذكر ابن هشام استحلال جرهم لحرمة الكعبة فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام كان احتفر بئراً قريبة القعر عند باب الكعبة كان يُلقى فيها ما يُهدى إليها فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة فيذكر أن رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدى سوداء المتن بيضاء البطن فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت فى البئر فيما ذكروا " نحواً من خمسمائة عام "[1]

**بناء قصى بن كلاب للكعبة .**

بعد أن انتقلت السلطات إلى قريش عام ٤٤ م والتى كانت قد نزحت إلى مكة قبل ذلك كما ذكرنا فى تاريخ مكة .فأصبحت أمور الكعبة المشرفة كلها فى يد قصى بن كلاب الجد الرابع للرسول ﷺ .

وفى عهد قصى تشقق بناء الكعبة فأعاد بناءها وبنى دار الندوة ليجتمع فيها كبار القوم للتشاور فيما يهمهم تحت إشرافه.. وهو الذى رتب وظائف الكعبة وحدد مدلولاتها .. فكانت إليه حجابة البيت وعنده مفاتيحه فلا يدخل أحد إلا بإذنه ..[2]

---

[1] الروض الأنف للسهيلى ج ١ صـ ١٣٧ .

[2] أنظر الأصنام لابن الكلبى والسيرة النبوية للندوى .

## الفصل السابع
### بناء قريش

منذ بناء قصى بن كلاب للكعبة لم يحدث بها أى بناء إلى أن كان العام الخامس قبل البعثة النبوية ، بنت قريش الكعبة عندما كان الرسول ﷺ فى الخامسة والثلاثين من عمره وسبب هذا البنيان كما قال ابن اسحق :

" فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمون بذلك ليسعفوها ويهابون هدمها وإنما كانت رضما فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة وكان الذى وجد عنده الكنز ، دويكاً لبنى مليح بن عمرو بن خزاعة .

قال ابن هشام :

فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها .

وكان بمكة رجل قبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت ( حية ) تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا أحزألت وكشت وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها فبينا هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرا فاختطفها فذهب بها ، فقالت قريش :

" إنا لنرجوا أن يكون الله قد رضى ما أردنا عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .[1]

---

[1] الروض الأنف للسهيلى / ٢٢٣ – ٢٢٥ .

وتقول الروايات :

" إن الكعبة قد تشققت وأذنت بالسقوط ولكن العرب ترددوا فى هدمها وهابوا ذلك ".

فقال الوليد بن المغيرة : " أنا أبدأ بهذا العمل ، وأخذ المعول وبدأ الهدم وهو يقول " اللهم إنا لا نريد إلا الخير " وبعد ذلك تقدم الناس وساعدوا الوليد حتى انتهى الهدم إلى الأساس الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام القواعد ، ووضعت قريش دستوراً لبناء الكعبة حدده الوليد بن المغيرة بقوله :

" يا معشر قريش لا تدخلوا فى بناء الكعبة من مالكم إلا الطيب ، لا يدخل فى بنائها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس .

وتذكر الروايات أن الذى قال هذا الكلام هو أبو وهب خال أبى رسول الله ﷺ .[1]

وفى هذا البناء قصرت النفقة بقريش فلم يبنوا الكعبة على قواعدها الأولى بل تقصوا من طولها فى الأرض ستة أذرع وشبراً وفى ذلك يروى علقمة بن أبى علقمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

" كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فلما أبديت هذه الرغبة للرسول ﷺ أخذ بيدى فأدخلنى الحجر فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت.[2]

---

[1] انظر الروض الأنف للسهيلى / ٢٢٥ – ٢٢٦ .

[2] منبر الإسلام : السنة ٥٧ العدد ١٢ .

**أحداث عند البناء :**

**وقد حدثت أحداث عند بناء قريش للكعبة ونجملها فيما يلى :**

جزأت قريش الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ، وقبائل قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى ولبنى أسد بن العُزى بن قصى ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم .

ويروى : أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقتلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة " أى ارتجت " بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس .

ويروى أيضاً : أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو :

" أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أفلاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لأهلها فى الماء واللبن " .

قال ابن هشام : " أخشباها تعنى جبلاها .

وورد أنهم قد عثروا على كتاب فى المقام فيه :

" مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يُحلها أول من أهلها "

وروى أنهم مجدوا حجراً فى الكعبة مكتوباً فيه :

" من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات "

أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب .

وقال الزهرى :

" بلغنى أن قريشاً حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجراً وفيه ثلاثة صفوح .

فى الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر .. إلى آخر كلام ابن اسحق .

فى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته .

فى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه ..."[1]

وضع الحجر الأسود مكانه :

لما ارتفع البناء اختلفت قريش فى وضع الحجر الأسود فى مكانه واختصموا فى ذلك كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف حمله ووضعه فى مكانه وعظم الأمر واستعد القوم للقتال وصاح أبو أمية بن المغيرة وكان أكبر قريش سناً فقال :

" يا معشر قريش حكموا فى هذا الأمر أول من يدخل من باب الحرم ليقضى بينكم فارتضوا هذا الرأى .

وبعد قليل دخل محمد بن عبد الله ﷺ فلما رأوه قالوا هذا هو الأمين رضينا بحكمه ونظروا إلى محمد ليروا رأيه .

قال محمد نبى الإسلام بعد ذلك عليه صلوات الله وسلامه :

" هلم إلىّ ثوباً فأتى به فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه رفعه بيده ووضعه مكانه ثم بنى عليه ، وأرضى الجميع بذلك .

ارتفاع الكعبة وكسوتها :

---

[1] أنظر الروض الأنف للسهيلى ج ١ / ٢٢٦ – ٢٢٧ .

وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانية عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطى ، ثم كسيت البرود ، وأول من كساها الديباج ( الحجاج بن يوسف ) .

[ الروض الأنف ج١ - ٢٢٩ ]

# الفصل الثامن
## بناء عبد الله بن الزبير ٦٤ هـ

عندما أعلن عبد الله بن الزبير خلافته بمكة بعد استشهاد الإمام الحسين بن على ﷺ عقب موت معاوية بن أبى سفيان ، أرسل له الخليفة الأموى الجديد يزيد بن معاوية جيشاً بقيادة الحصين بن نمير ونزل الحصين أعلى مكة وأرسل جيشاً أسفلها وصب عليها المجانيق ، وضربها بالحجارة وظلوا كذلك حتى جاءهم خبر موت يزيد الخليفة ، وفى خلال الضرب احترقت الكعبة بسبب شرارة تطايرت عليها من النار التى كانت قد أشعلها أنصار ابن الزبير .

ثم رجع الحصين بجيشه للشام عقب موت الخليفة يزيد ، فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها ، فأتى له بالجص النقى من اليمن وبناها به وأدخل بها ما كانت قريش قد تخلت عنه عندما أعادت البناء كما أحدث فيها تغييرات أخرى فقد ألصق الباب بالأرض وفتح باباً آخر يقابله ليخرج منه الناس وجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً ولما فرغ من بنائها طيبها بالمسك والعنبر وكساها بالديباج وكان انتهاؤه من بناءها فى شهر رجب سنة ٦٤ هـ .

ويروى أن ابن الزبير لما أراد هدم الكعبة حدثته عائشة رضى الله عنها فقالت : " سألت النبى ﷺ عن الحجر : أمن البيت هو ؟ قال : نعم قالت : فما بالهم لم يدخلوه فى البيت ؟

قال : إن قومك قصرت بهم النفقة .

قلت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟

قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا قومك حديثو عهد في الإسلام فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الحجر في البيت وأن ألزق بابه بالأرض.[1]

فأدخل ابن الزبير عشرة مشايخ من الصحابة حتى سمعوا ذلك منها ، ثم أمر بهدم الكعبة فاجتمع إليه الناس وأبوا ذلك ، فأبى إلا هدمها ، فخرج الناس إلى فرسخ خوفا من نزول عذاب ، وعظم ذلك عليهم ولم يجر إلا الخير .

وذكر ابن القاضي عن مجاهد قال :

" لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها قال للناس :

" اهدموا فأبوا وخافوا أن ينزل العذاب عليهم "

قال مجاهد : " فخرجنا إلى منى فأقمنا بها ثلاثا ننتظر العذاب ، وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فهدم البيت ، فلما رأوا أنه لم يصبه شيء اجترأ واعلى هدمه وبناها على ما حكت عائشة.[2]

---

[1] أخرجه مسلم .

[2] منبر الإسلام : السنة ٥٨ العدد ١١ / ٤٧ ، ٤٨ .

# الفصل التاسع
## بناية الحجاج بن يوسف

لما سقط عبد الله بن الزبير وتغلب عليه الحجاج واستولى على الحجاز ، وتراجع الناس فلما قدم الحجاج بن يوسف الثقفى ورأى الكعبة فى بنائها الجديد وحجمها الذى اتسع والتغيرات التى أدخلها عليها عبد الله بن الزبير ، فكتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك فأمره الخليفة بارجاعها إلى شكلها الذى أقامته قريش فى عهد الرسول ﷺ .

فأمر الحجاج بوضع المنجنيق على أبى قبيس وقال ارموا الزيادة التى ابتلعها هذا المتكلف ، فرموا موضع الحطيم .

فهدم الحجاج جدارها الشمالى وأعاد بناءه على أساس البناء أيام قريش ورفع الباب الشرقى كما كان ، وأخذ بقية الأحجار فسد منها الباب الغربى ، ورصف بقيتها فى البيت حتى لا تضيع ثم كبس أرضها بالحجارة ليرفع مستواها ....

وعلى الجملة فقد أعادها إلى ما كانت عليه فى زمن الرسول ﷺ فهى إلى الآن على ذلك.[1]

ويروى أنه حدث خلاف بين هارون الرشيد وأبوه المهدى وجده المنصور فى بناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج ، وجاء الإمام مالك ليحسم الأمر وأشار عليهم أن يبقى بناء الكعبة كما هو حتى لا تكون الكعبة ملعبة لكل من يشاء أن يزيد عليها أو ينقص منها وحتى لا تزول هيبتها .

---

[1] منبر الإسلام : لسنة ٥٨ العدد ١١ / ٤٧ ، ٤٨ .



## الفصل العاشر
## بناء محمد على باشا فى عهد الخلافة العثمانية

أعطى الأزرقى فى كتابه " تاريخ مكة " تفاصيل واسعة عن هذا الطور من البناء فذكر أن مطرا غزيرا وقع بمكة سنة ١٢٣٩ - ١٢٤٠ هـ وأعقبه سيل جارف عم منطقة الكعبة المشرفة ووصل فى ارتفاعه إلى طوق القناديل المعلقة ، ودخل الكعبة المشرفة بارتفاع مترين عن قفل باب الكعبة ، وعلى أثر ذلك سقط الجدار الشامى من الكعبة وانجذب معه الجدار الشرقى .

فأرسل أمير مكة إلى سلطان مصر يستعين به بعد الله ﷻ ، وحينئذ رأى والى مصر محمد على باشا ألا ينتظر أوامر من السلطان العثمانى بل أرسل من قبله مندوبا وخوله القيام بما يصلح البناء المقدس ، وقد بدأ العمل بحركة تنظيف واسعة وإزالة الرمال والأشياء التى كان السيل قد دفعها إلى الكعبة وحولها ، وكانت هذه الأشياء كالجبال الراسيات كما يقول الأزرقى .

ثم أرسل محمد على آلات ومونا واسعة لعملية الإصلاح والبناء ، ويذكرها الأزرقى بالتفصيل وهى شىء هائل أبحرت به السفن المصرية من مصر إلى جدة حاملة أمهر العمال والمهندسين والفنيين لذلك الغرض وأرسل محمد على النحاتين وأمهر المهندسين والعمال لذلك الغرض .

ويذكر الأزرقى بالتفصيل كل الأعمال التى شملت عملية البناء والتجميل يوما بعد يوم ، وقد ذكر أنه أثناء العمل انهدم الركن الغربى .. ولم يبق سوى ركن الحجر الأسود فهدموه وأقاموا بناء الكعبة من جديد ، وقد استمر بناء الكعبة هذه المرة ستة أشهر وقد استخدموا الأحجار التى بنا بها عبد الله بن الزبير من قبل واستبدلوا التالف منها بأحجار غيرها صلبة

وقد تصدع الحجر الأسود فأحاطوه بسيور من الفضة .. وقد ارسلت مصر كافة نفقات البناء .

وفى يوم ٢٢ رمضان ١٢٤٠ هـ كتب محضرا أرسل إلى والى مصر فيه شهادة المكيين بحسن عمارة البيت وتجميله على أعلى مستوى .

## بناء السلطان مراد للكعبة

وقد بنيت الكعبة فى عام ١٠٤٠هـ ١٦٣٠م فى عهد السلطان مراد ابن السلطان أحمد العثمانى .

# الفصل الحادي عشر

## بناء الملك فهد

أما العمارة السعودية الحديثة فبدأت يوم ٢٣ شعبان ١٣٧٥ هـ الموافق ٥ من إبريل ١٩٥٦ م وقد بلغت تكاليفها ما يقرب من ٧٠٠ مليون ريال سعودى ذادت معها مساحة الحرم بعد التوسعة الحديثة فقد بلغت ١٦٠١٦٨ م بدلاً من ٣٥٠٠٠ م٢ ...

وقد شرف الله ﷻ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بهذا البناء الذى أعده المورخون بأنه البناء الثالث عشر فى تاريخ الكعبة .

وقد روى أن ابتداء أعمال الترميم تم باستخراج كل حجر من حجارة البيت العتيق ما عدا الرئيسية منها ووضع لكل حجر ترقيم خاص يبين موقعه فيشذب ويغزل ويعالج ويعاد إلى موضعه السابق ويلصق بمونة (مواد بناء خاصة ) لا تخلف تجويفات هوائية بين الحجر والآخر ، وأنه تم تأسيس قواعدها من عند قواعد إبراهيم الخليل حتى يكون العمل على أكمل وجه باطنه وظاهره ... ثم ألبست الحوائط الحجرية كذلك بالرخام حتى ارتفاع أربعة أمتار تقريبا وما علا ذلك تم كسوته بكسوة من حرير على هيئة ستارة يميل لونها إلى الزرقة ومموهة بنسيج أقرب إلى البياض مكتوب عليها بشكل عمودى وأفقى متكرر

( لا إله إلا الله محمد رسول الله جل جلاله ) .

وما زالت الكعبة المشرفة محل اهتمام وتجديدات وزخرفة من المسئولين السعوديين " آل سعود " وكذا من توسعات للحرم المكى وغيره .

كما ذكرنا من قبل عند الحديث عن المسجد الحرام .



## الفصل الثاني عشر
### كسوة الكعبة

كان الناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة ، حتى جاء الإسلام وأقر كسوتها ..

أول من كساها تبع .

وروى أن أول من كساها ( أسعد الحميرى ) وهو ( تبع ) ، قال العتبى : كانت قصة تبع قبل الإسلام بسبعمائة عام .

وذكر السهيلى فى الروض :[١]

" بقيت الكعبة على ما هى عليه غير مسقفة فكان أول من كساها ( تبع ) لما أتى به مالك بن العجلان إلى يثرب وقت اللاهوت ، فمر بمكة فأخبره بفضلها وشرفها فطاف بالبيت وتحرى عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ( فيما يذكرون ) ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل ، ورأى فى المنام أن يكسوا البيت فكساه .

الخصف : وهى حصير من خوص النخل ، ثم رأى فى المنام أن اكسها أحسن من هذا فكساها الأنطاع ( جمع نطع : وهو بساط من الجلد ) فرأى فى المنام أن أكسها أحسن من ذلك فكساها المعافر والوصائل .

والمعافر : ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من هندام يقال لهم المعافر اسم الثياب ، والقبيلة والموضع الذى تعمل فيه واحداً ، وربما قيل له المعافرية وثوب معافرى يتصرف فى النسبة ولا يتصرف فى المفرد لأنه على زنة الجمع ثالثة ألف ونسب إلى الجمع لأنه صار بمنزلة المفرد سمى به مفرداً ) .

---

[١] الروض الأنف للسهيلى ج١ / ٤٠ .

وروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع ، انتفض البيت فزال ذلك عنه ونقل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وممن ذكر هذا الخبر قاسم فى الدلائل .

فكان تبع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاثاً ( وهى المحايض ) وجعل لها باباً ومفتاحاً .

وذكر الواقدى : " حدثنا معمر عن همام بن منبه ، سمع أبى هريرة يقول : ( نهى رسول الله ﷺ عن سب أسعد الحميرى ، وهو تبع ، وهو أول من كسا البيت وهو تبع الآخر .

## خالد بن جعفر بن كلاب

قال السهيلى فى الروض :[1]

وقد ذكرنا فى خبر تبع أنه أول من كسا البيت الديباج ، وذكرنا سبب ذلك ونزيدها هنا ما ذكره الماوردى ، قال : " أول من كسا البيت الديباج ( خالد بن جعفر بن كلاب ) أخذ لطيمة من البز وأخذ فيها أنماطاً [2] فعلقها على الكعبة " .

## عبد المطلب جد رسول الله ﷺ

كان أول من حلى البيت عبد المطلب لما حفر بئر زمزم وأصاب فيه من دفن جرهم غزالتين من ذهب فضربهما فى باب الكعبة .

[1] الروض الأنف للسهيلى ج١ / ١٣١ .

[2] اللطيمة : العير تحمل البضائع . والبز : الثياب . والأنماط : ضرب من البسط .

## كسوة رسول الله ﷺ

أهم ما يزين الشكل المعماري للكعبة المشرفة لباسها الشهير (كسوة الكعبة) .

وقد لبست الكعبة أول كسوة إسلامية فى العام التاسع الهجرى بعد ما قيض الله لهم فتح مكة .

وروى أن رسول الله ﷺ كسا الكعبة مرة واحدة وذلك فى حجة الوداع كساها الثياب اليمانية .

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية : ما روى " ... حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : " من هذه قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية .

فقال سعد بن عبادة : " يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان : " يا عباس حبذا يوم الذمار ، ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وروايـة رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال : " ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟

فقال : ما قال ؟ قال : كذا وكذا .

فقال :" كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ".[1]

ذكر الواقدى عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه قال :

" كسا البيت فى الجاهلية الأنطاع [2] ثم كساه رسول الله ﷺ الثياب اليمانية.

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ، ٤ / ٢٨٥ .

[2] الأنطاع : جمع نطع وهو ما يُفرش على الأرض كالبساط ويصنع من الجلد الأحمر .

وذكر ابن هشام : " أن الكعبة على عهد رسول الله ﷺ كانت ثماني عشر ذراعاً وكانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود " .

## عمرو وعثمان وابن عمر رضي الله عنهم

كسوها القباطى والأنماط ، وعى خطى رسول الله ﷺ سار الخلفاء الراشدون فى تقليد كساء الكعبة مرة كل عام جعلها معاوية مرتين والمأمون ثلاثة حتى أعاده الخليفة العباسى والمهدى عام ١٦٠ هـ إلى واحدة ...

وذكر الواقدى : كساها عمر وعثمان القباطى [١] .

وأخرج سعيد بن منصور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة ليقسمها على الحاج فيستظلون بها على السمر بمكة [٢]

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يحلل بدنه القباطى والأنماط [٣] والحلل ، ثم يبعث بها إلى الكعبة يكسوها إياها [٤]

## يزيد بن معاوية

كساها الديباج وأخرج الواقدى : أيضا عن إسحاق بن أبى عبد بن أبى جعفر محمد بن على قال : كان الناس يهدون إلى الكعبة كسوة ، ويهدون إليها البدن عليها الحبرات " [٥]

---

[١] القباطى : جمع قبطية وهو ثوب من ثياب مصر ، رقيق أبيض لأنه منسوب إلى القبط وهم أهل مصر آنذاك .

[٢] السمر : نوع من الشجر .

[٣] الأنماط : جمع نمط نوع من البسط .

[٤] رواه مالك .

[٥] الحبرات : جمع حبره وهو ما كان مخططا من البرود من ثياب اليمن .

فيبعث بالحبرات إلى البيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج .

## عبد الله بن الزبير

كساها الديباج أيضاً :

روى أن ابن الزبير بعدما أنتهى من البناء طيب الكعبة بالمسك وكساها بالديباج وكان يبعث إلى مصعب بن الزبير ليبعث بالكسوة كل سنة فكان يكسوها يوم عاشوراء "[1]

لقد أخذت الكعبة زخرفها بالرخام والفسيفساء على يد عبد الله بن الزبير الذى جعل لها بابين ، ثم عمد إلى تعطير جدرانها الداخلية بالمسك والعنبر وكساها والديباج مع أنها كانت من قبل تكسى بالقباطى المستقدم من مصر .

## الحجاج بن يوسف الثقفى

كساها الديباج أيضاً .

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية :

" أنه لما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع جدرانه وأمر بالكعبة فكسيت الديباج وكان الذى تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقال ابن اسحق : كانت تكسى القباطى ثم كسيت السبرود وأول من كساها الديباج الحجاج .

وقد ذكر الواقدى : " ثم كساها الحجاج الديباج " .

---

[1] فقه السنة ١/ ٦٤٤ .

ويروى أنـه لمـا تـم البنـاء الأخـير الثـالث عشـر للكعبـة ... وبعـد الانتـهاء ألبسـت الحوائـط الحجريـة للكعبـة بالرخـام حتـى ارتفـاع أربعـة أمتـار تقريبـا وما عـلا ذلـك تـم كسـوته بكسـوة مـن حرير علـى هيئـة سـتارة يميـل لونـها إلـى الزرقـة ومموهـة بنسـيج أقـرب إلـى البيـاض مكتـوب عليـها بشـكل عـامودى وأفقـى متكـرر :

" لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله ، الله جـل جلالـه " علـى شـكل الرقـم " ٨ " يـزداد ظـهورها كلمـا سـقط الضـوء الطبيعـى عليـها وهـى أكـثر وضوحـا بالتـأكيد وبـذات الخـط والزخرفـة المشـاهدة فـى أصـل الكسـوة الحريريـة السـوداء علـى ظـهر الكعبـة .

ويوجـد أعلـى الحـائط الغربـى قطعـة حريـر حمـراء واضحـة وجليـة منقـوش فيـها بخيـوط الذهـب والفضـة إهـداء ممـهور باسـم خـادم الحرميـن الشـريفين الملـك فـهد بن عبـد العزيز وتـاريخ إهدائـه للكسـوة الداخليـة ، تقبـل الله منـه. [١]

ولا تـزال الكعبـة المشـرفة تكسـى إلـى يومنـا هـذا وتقـوم المملكـة العربيـة السـعودية الآن بكسـوتها وتخصـص مصـانع لـهذا الغـرض بعـد أن كـانت زمنـاً يُبعث لـها الكسـوة مـن مصـر .

## اللون الأسود كساء الكعبة

فيمـا كـانت ألـوان كسـوة الكعبـة تـتراوح مـا بيـن الأحمـر والأخضـر والأزرق والأصفـر والأبيـض فـى العصـور الجاهليـة والعصـور الإسـلامية اللاحقـة .

---

[١] جريدة المسلمون السنة ١٢ العدد ( ٦٢٢ ) .

فقد انتظم لونها الأسود منذ عهد الخليفة العباسى الناصر الذى جعل لكسوة الكعبة لونها الأسود النهائى الذى استمر من بعده إلى اليوم .
أما الستارة المفروشة على واجهة الكعبة والمعروفة بالبرقع فكان السلطان المملوكى " فرج بن برقوق " هو أول من أضافها إلى الكسوة وذلك عام ٨١٠هـ ، وأما الحزام المحيط بالكسوة بشكل نطاق فالأغلب أنه أضيف اعتباراً من القرن الحادى عشر للهجرة ، كما أضيف فى الوقت نفسه الستارة المطرزة على باب الكعبة.[١]

[١] جريدة المسلمون ( السنة الحادية عشرة العدد ٥٧٢ ) .



# الفصل الثالث عشر
## غسيل الكعبة

روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح الأعظم . فأمر سيدنا بلال رضي الله عنه فرقى الكعبة وأذن للصلاة واجتمع المسلمون وغسلوا الكعبة الشريفة بماء زمزم ..

ومن هنا جرت العادة بغسيل الكعبة المشرفة من حين إلى أخر ، ويقام لهذا الغسل حفل كبير خصوصاً قبل مواسم الحج ..

ويحضر هذا الغسل كبار ولاة الأمور ثم يلبس الكعبة الكسوة الجديدة ..

وكان ماء الغسل يوضع فى قوارير ويهدى به على سبيل التبرك به ..

وفى هذه الأيام يقام احتفال مهيب يحضره خادم الحرمين الشريفين ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى ليرأس الاحتفال السنوى لغسيل الكعبة المقدسة اقتداء بسنة رسول الهدى وخاتم النبيين ﷺ فتغسل بالورود والعود وماء زمزم ..

## تطييب الكعبة

ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت :" طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره " وكانت تقول :" تطييب الكعبة أحب إلىَّ ممن أهدى لها ذهبا وفضة " وقد ورد أن ابن الزبير رضي الله عنه لما فرغ من إعادة بنائها أنه طيب الكعبة بالعنبر والمسك من أعلاها إلى أسفلها .

وقيل إنه كان يضع عليها كل يوم رطل من الطيب ويوم الجمعة رطلين ..

وكان يطيب جوف الكعبة من الداخل كله ..
وقد فعل ذلك معاوية والخليفة العباسى المهدى عام ١٦٠ هـ
ولكن تطيب الكعبة لم يهمل فى أيامنا هذه فما زال الطيب والمسك والعنبر يضع عليها من حين لأخر .

## مفاتيح الكعبة "السدانة "[1]

عندما فرغ سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل من بناء الكعبة رجع سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى قومه وبقى سيدنا إسماعيل عليه السلام لخدمة الكعبة ومرت سنوات على ذلك وتولى أبناء سيدنا إسماعيل خدمة الكعبة من بعده ..
وسبحان الذى لا يدوم لغيره حال فبمرور السنوات ضعف شأنهم وتغلب عليهم العماليق حتى نالوا أمر خدمة بيت الله الحرام وظلوا على ذلك إلى أن جاءت بنو " جرهم " إلى مكة عن طريق اليمن وكان ذلك فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد تقريباً وكان سيد " جرهم " هو " مضاض بن الحارث " الذى استطاع أن يتغلب على العماليق واستطاع السيطرة على الأمور إلى أن نال منهم خدمة البيت الحرام ، ولكن الله أنزل بين جرهم وباء شديد حتى قضى على الكثيرين من رجالهم فكان ذلك سبب فى عودة مفاتيح الكعبة وخدمة بيت الله الحرام إلى أحفاد سيدنا إسماعيل عليه السلام حتى أنهم طردوا بنى " جرهم " من مكة وظلت مفاتيح الكعبة وشرف خدمة بيت الله الحرام فى يد أحفاد سيدنا إسماعيل إلى أن جاءت بنو خزاعة ونالت شرف خدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجاج ، ولكن أحفاد سيدنا إسماعيل ظلوا يترقبون الأمر زمناً طويلاً إلى أن جاء قصى بنى

[1] السدانة : الذين يقومون بأمر الكعبة :

كلاب من الشام وهو البطن الرابعة والعشرين من بطون إسماعيل عليه السلام فجمع قصى قبائل قريش ونشر الحب والود بينهم بعد العدوان والجفاء وبعد ذلك استطاع قصى بن كلاب أن يشترى حجابة البيت الحرام من قبائل خزاعة لينال هو ومن معه هذا الشرف العظيم وقد وصل به الأمر إلى أنه طردهم بعد ذلك من مكة .

وسيطر بعد ذلك على خدمة بيت الله الحرام والسقاية والرفادة ..

وبناء دار الندوة ..

وكان ذلك سبباً فى أنه رفع من شأن قريش فى الجزيرة العربية حتى أن سائر القبائل كانت تدفع لهم ما ينفق على حجيج بيت الله الحرام ..

وقد أوصى قصى بن كلاب بخدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجيج والرفادة إلى ابنه " عبد الدار " من بعده وظل الأمر فى يد عبد الدار من بعد أبيه قصى بن كلاب إلى أن ظهرت عليه عبد مناف حتى كادت الخلافات تقع بينهم فى الحرب إلى أن حكمت القبائل بينهم بتقسيم خدمة بيت الله الحرام عليهم فكان من نصيب عبد الدار حجابه البيت وكذلك لواء الحرب .

وكان من نصيب بنى عبد مناف السقاية والرفادة ومع مرور الزمن ازدادت قريش وتقسمت إلى قبائل وقبائل وبطون وبطون وقد انقسمت هذه الامتيازات معهم لازدياد عددهم ، فكانت الريادة من نصيب بنى نوفل ، وبنى عبد المطلب السقاية ، وبنو عبد الدار سدانة الكعبة والحجابة ولواء الحرب ، وكان سيد عبد الدار فى هذا الوقت هو " عثمان بن طلحة " إلى أن جاء عام الفتح وأقره الرسول على ذلك .

وروى ابن إسحاق :

أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى

طوافه دعا عثمان بن طلحه فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عبدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استوضح له الناس فى المسجد ..

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله ﷺ :" أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال :" هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء "

وروى الإمام أحمد : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : " ومال تحت قدمى هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلهما على ما كانت " [1]

وظلت مفاتيح الكعبة فى يد عثمان بن طلحة حتى تولها من بعده شيبة ومفاتيح الكعبة اليوم مع أل الشيبى وهم بطن من بطون قريش قد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم .

---

[1] البداية النهاية لابن كثير ج٤ / ٢٩٣

## الفصل الرابع عشر
## هدايا الكعبة وما علق بداخلها

خصص المؤرخ الشيخ / حسين عبد الله با سلامة فى كتابه ( تاريخ الكعبة المعظمة ) فصلاً كاملاً عن هدايا الكعبة المشرفة وتتبع ما جاء فى كتب الأثر والتاريخ ودون ذلك بالنقل .. وللفائدة نذكر بعضاً مما ضمنه فى هذا الخصوص.

روى الفاسى فى شفاء الغرام عن المسعودى أنه قال فى " مروج الذهب " فى أخبار الفرس : " وكانت الفرس تهدى إلى الكعبة أموالاً فى صدر الزمان وجواهر ، وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالتين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً فدفن فى زمزم ، وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة ، وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها ، ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم . أ. هـ .

قال الفاسى : ويقال إن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى أول من جعل فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ( ذكر ذلك صاحب " المورد العذب الهنى " أ هـ .

وروى الأزرقى عن صفية بنت شيبة : أن امرأة من بنى سليم قالت لعثمان بن طلحة " لم دعاك النبى ﷺ بعد خروجه من البيت ؟

قال : قال لى : إنى رأيت قرنى الكبش فى البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرها ( أى تجعل عليها خماراً يسترها ) فإنه لا ينبغى أن يكون شىء يشغل مصلياً " .

قال عثمان : وهو الكبش الذى فدى به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وروى عن عمر بن قيس أنه كان يقول : كان قرنا الكبش فى الكعبة فلما هدمها ابن الزبير وكشفها وجدوهما فى جدار الكعبة مطليين بمشق ، قال : فقد ناولهما فلما مسهما همدا من الأيدى .

وروى الأزرقى من طريق الواقدى عن أشياخه قال :

" لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مدائن كسرى كان مما بعث به إليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة ، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمستين وقدحين من قوارير ، وضرب على الاسطوانة - العمود - الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفايح ، وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين .

وبعث الوليد بن يزيد بالسرير الزينبى وبهلالين وكتب عليهما اسمه .

وبعث أبو العباس - السفاح أول الخلفاء العباسيين - الصفحة الخضراء وبعث أبو جعفر المنصور بالقارورة الفرعونية .

كل هذا معلق فى البيت أى فى زمن الأزرقى .

وقال التقى الفاسى فى مصنفه " شفاء الغرام " ومما أهدى للكعبة من هذا القبيل ولم يذكره الأزرقى قفل فيه ألف دينار أهداه إليها المعتصم العباسى .

وقال الفاسى : ومما أهدى لها قناديل بعث بها المطيع العباسى كلها فضة خلا قنديلاً منها كان ذهبا زنته ستمائة مثقال وذلك سنة ٣٥٩ هـ ومن ذلك قناديل ومحاريب أهداها إلى الكعبة صاحب عمان على ما ذكره أبو عبيد الله البكرى فى كتابه " المسالك والممالك " وذلك بعد سنة ٤٢٠ هـ .

وقال القاس : ومن ذلك قناديل ذهب وفضة أهداها للكعبة الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة ٦٣٢ هـ .

ومن ذلك قفل ومفاتيح أهداها إليها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب عليه القفل المذكور .

ومن ذلك ما أخبرني به بعض فقهاء مكة " والرواية للتقى الفاسى :-
أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما ذكر فى مقدار الدورق المكى اثنان منها ذهبا واثنان فضة والمهدى لذلك هو السلطان شيخ أويس صاحب بغداد وذلك فى أثناء سنة ٧٧٠ هـ وعلق ذلك فى الكعبة زمنا قليلا ثم أزيل .

وقال الفاسى : وأهدى بعد ذلك للكعبة قناديل كثيرة والذى فى الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلاً منها ثلاثة فضة ، وواحد ذهبا وواحد بلورا واثنان نحاساً والباقى من الزجاج الحلبى وهى تسعة وليس فى الكعبة الآن شىء من المعاليق التى ذكرها الأزرقى ، ولا مما لم يذكره مما ذكرناه سوى الستة عشر قنديلاً ، وليس فيها شىء من حلق الذهب والفضة التى كانت فى أساطينها وجدرانها بسبب توالى الأيدى عليه من الولاة وغيرهم على ما ذكر الأزرقى فى تاريخه .

وقال قطب الدين فى " الأعلام " أرسل السلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ ثلاثة قناديل من ذهب مرصعة بالجواهر لتعلق اثنان منها فى سقف بيت الله تعالى والثالث فى الحجرة الشريفة النبوية فعلقا فى الكعبة المشرفة وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من آل عثمان . أ . هـ .

وقال الطبرى المكى فى " الاتحاق " إن ملكة بندراشى أرسلت خمسة قناديل ذهب للكعبة فى إمارة الشريف سعيد بن بركات سنة ١٠٩٤ هـ فعلقت بها أ.هـ .

وخلص المؤرخ حسين عبد الله با سلامة يرحمه الله إلى القول :
" هذا حاصل ما وقفت عليه من هدايا الكعبة المشرفة ، وما جرى على تلك الهدايا من سلب ونهب وغير ذلك .

ويوجد الآن معاليق كثيرة فى سقف الكعبة غير أنى لا أعلم عن حقيقتها هل هى معمولة من ذهب أو فضة أو نحاس كما أن آل الشيبى

سدنه الكعبة المعظمة لا يعلمون بالضبط عن حقيقتها لقدم عهد تعليقها ، وربما أنها من عهد بناء الكعبة الأخير إلى الآن لم تنقل من موضعها ولذلك تعذر عليّ أن أصفها وصفا صحيحا والله أعلم بحقيقتها.[1]

---

[1] جريدة المسلمون . السنة ١٢ العدد ( ٦٢٢ ) .

## الفصل الخامس عشر
## هيئة الكعبة

اهتم المؤرخون بالكعبة حتى أنهم درسوها دراسة تاريخية وجغرافية وهندسية من الداخل والخارج والسقف والأبواب .. إلخ ونعرض هنا لكل ذلك :-

### ۞ الكعبة من الخارج :

الكعبة المشرفة بناء مكعب تقريبا ولذلك سميت الكعبة وزواياها إلى الجهات الأربع والعرب يسمون الزوايا بالأركان وينسبونها إلى اتجاهاتها فالركن الشمالى يسمى بالركن العراقى ، والركن الغربى يسمى بالركن الشامى والقبلى يسمى بالركن اليمانى ، والشرقى يسمى بالركن الأسود لأن به الحجر الأسود .

وتتكون الكعبة المشرفة بشكل أساسى من جدران الكعبة وفيها باب الكعبة على ركن منها الحجر الأسود ويعلوا الجدران سقف الكعبة وتنساب عليها كسوة الكعبة .

والكعبة مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة ، وارتفاعها ١٥ مترا ومساحتها ١٢مترا فى ١٠,١ مترا أى طول الكعبة أربعة وعشرون ذراعا وشبر وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعا وشبر .

وقد ذكر الشيخ / با سلامة فى كتابه " تاريخ الكعبة المعظمة " :-
أطول مساحة الكعبة المشرفة التى نقلها عن المورخ إبراهيم رفعت باشا المصرى فى كتابه " مرآة الحرمين " وأثبتها بعد تدقيق ومراجعة فى كتابه الشامل وخلص فيه إلى القول :" وذرع الكعبة المعظمة .. طول ضلعها الشمالى ٩٢ ,٩ م ، والغربى ١٥ , ١٢ م ، والجنوبى ٢٥ , ١٠ م ، والشرقى٨٨ ,١١م"

وبين أيضا " ... أن ذرع إبراهيم رفعت باشا ، في الطول والعرض لا يختلف عن ذرع سابقيه من المؤرخين تقى الدين الفاسى صاحب " تاريخ العقد الثمين " مخطوط ، وأبو الوليد الأزرقى مؤلف " أخبار مكة " إلا أن با سلامة رجح ذرع الفاسى في ارتفاع الكعبة الذى خلص إلى أنه ٠٦٥ , ١٣ متراً ، والذى ذكر إبراهيم رفعت أنه ١٥ متراً . وقد أكد أحد مهندسى فريق الترميمات المنجزة بالكعبة أنه ارتفاع الكعبة ١٣ مترا . على ما ذكر " با سلامة " [1]

## أبواب الكعبة :

والواقع أن باب الكعبة المشرفة مؤلف من بابين أحدهما خارجي والثانى داخلى .

## الباب الرئيسى :

وهو مرتفع عن الأرض مترين نحو القامة ويصعد إليه بسلم مرصع بالذهب وارتفاع الباب ثلاثة أمتار وعشرين سم وعرضه حوالى مترين تقريباً مقبلاً إلى الشرق وقد حدث أن ابن الزبير عند بنائه للكعبة جعل بابها للأرض إقتداء بما ورد عن رسول الله ﷺ كما ذكرنا .

## تجديد الباب :

في جماد الأولى من العام١٣٩٨ هـ ( ١٩٧٧ م ) كان جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود يرحمه الله يؤدى الصلاة داخل الكعبة المشرفة فلاحظ أن بابها قد اعتراه البلى وهذا الباب كله قد صنع عام ١٣٦٣ هـ ( ١٩٤٣ م) في عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، يرحمه الله ، وأمر جلالة الملك خالد بصنع باب جديد بمواصفات متطورة ليوضع بدل الباب الأول ، وبوشر في وضع الدراسات التصحيحية الفنية التى تكلف (٣٠٠,٠٠٠) ريال وقام بها مهندس متخصص في الزخارف الإسلامية

---

[1] جريدة المسلمون ( السنة الثانية عشرة ) العدد ( ٦٢٢ )

وتضمنت الموافقة على التصميمات النهائية أنشئت ورشة خاصة ، يشرف عليها شيخ الصاغة " في مكة المكرمة مع عدد من الفنيين المهرة . وتضمنت التصميمات النهائية تحقيق الإنسجام بين ستارة الكعبة المشرفة وبابها واعتماد خط " الثلث " في كتاب الآيات الكريمة والكلمات الأخرى مع تنفيذ أعمال الزخرفة حفرا ونقشا ، بالذهب مع نسبه قليلة من الفضة ، وعليه مصراعان ملبسان من صفائح الذهب الخالص مقابلا للمشرق وبعد أستكمال التجارب الأولية بوشر بالتنفيذ الفعلي وتولت مؤسسة النقد العربي السعودي تأمين كميات الذهب اللازمة التي بلغت ( ٢٨٠ ) كجم من عيار (٩٩٩٩ %) وتكلف ( ١٣٤٢٠٠٠٠ ) ريال .

وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وليا للعهد ونائبا لرئيس مجلس الوزراء إذ ذاك فأولى هذا المشروع إهتمامه وتفقد العمل للاطمئنان إلى دقة التنفيذ .

**باب التوبة :**

أما الباب الداخلي للكعبة المشرفة ويدعى باب التوبة فهو مطابق للباب الخارجي من حيث الزخرفة الخطوط والنقوش

ويوجد على الحائط الشمالي يمين باب الكعبة الشريف لكنه أقل ارتفاعا وحجما من الباب الرئيسي ملبسا بصفائح من الذهب الخالص وموشى بالفضة النقية يطلق عليه باب التوبة ، وهو مزود بقفل محكم على هيئة مزلاج على الطراز القديم مصنوع أيضا من الذهب الخالص وباب التوبة كقرينة الأكبر آيتان من آيات الإبداع الإنساني نقشا وصناعة وإتقانا حتى الخيال .

وصف باب التوبة :[1]

---

[1] وصفه المهندس المعماري الألماني المعلم من أصل سوري / منير الجندي .

قال المهندس بأن نسبته إنسانية لأنه قريب من حجم الإنسان وحجم الأبواب التى يتعامل معها فى حياته اليومية .

وأضاف : أن المادة الإنسانية الأولية المستخدمة لصناعة باب التوبة هى خشب مميز وخاص استقدم خصيصاً من تايلند ومأخوذ من شجر كبير جداً يسمى هناك " مكامونغ " وهذا الخشب يتميز بوزنه النوعى لدرجة أنه لا يطفوا على سطح الماء بل يغوص داخله .

ويتميز أيضاً بصلابته لدرجة أن منشار الخشب لا يعمل فيه بل يحتاج إلى منشار حديد ، وتم تلبيس الخشب بصفائح من الذهب الخالص ، ملصقة بمادة لصق أبدية وهى من ذات النوع المستخدم فى صناعة الطائرات ، وأضيفت الفضة النقية فى التصميم للتحديد من الزخرفة والخط واستخدامها فى البابين قليل جداً ووظفت من أجل إعطاء مرونة فى الشكل وللفصل بين مستويات الباب الثلاثة .[1]

**قفل الكعبة :**

كذلك صنع قفل حديد جديد للكعبة المشرفة حيث أن القفل القديم يعود عهده إلى أكثر من سبعين سنة وبذلك استكمل تجديد وتجميل كل من يتعلق بقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم .

**الكعبة من الداخل :**

وإذا دخلنا جوف الكعبة ـ من هذا المكان الذى صلى فيه الأنبياء ، وتنزل إليه ملائكة السماء فوجاً بعد فوج ، ومدداً بعد مدد فى رحلة النور والضياء

.. ولا أخفى عليك عزيزى القارئ : أن القلم يرتعش فى يدى الأن وأنا أكتب لك عن داخل الكعبة المشرفة وأنا تأخذنى الرعشة والقشعريرة .

[1] جريدة المسلمون السنة ١٢ العدد ( ٦٢٢ )

وأنـا أكتـب عـن أقـدس وأشـرف وأطـهر مكـان يمكـن للمـرء الدخـول إليـه ويحظى برؤيـة أسمى وأروع مكـان ..

فـإذا قدر الله لـك الدخـول فتقـع عينـاك علـى أعمـدة الكعبـة الثلاثـة التـى أقامـها عبد الله بـن الزبـير رضي الله عنه فـى عمارتـه للبيت العتيـق قبـل أكـثر مـن ثلاثـة عشر قرنـا وهـى مـن الخشب القـوى ، بارتفـاع إحدى عشـر متـرا تقريبـا حتـى السـقف ، وهـى موزعـه فـى وسـط الكعبـة أفقيـا مـن الشمـال إلـى الجنـوب وهـى أسطوانية الشـكل قطرهـا حوالـى نصـف مـتر تقريبـا ، ألبسـت بقشـرة وضلعـة عاموديـا مـن الخشـب " التيـك " الفـاخر ، مسـتندة علـى قواعـد مربعـة مـن ذات الخشـب بارتفـاع نصـف مـتر تقريبـا منقوشـة بزخـارف ونقوش راقيـة يحف أطرف أضلاعـها الأربعـة رقـائق مذهبـة اللـون تعكـس بـهاء للنـاظر .

وكـل عـامود محـاط بثلاث أسـاور مـن ذهـب وفضـة ذات نقـوش إسلامية نـاضرة ، ويتمـيز السـوار الأوسـط منـها بأنـه يلامـس قطعـا ذهبيـة مفرغـة تحيط بالعـامود ظـاهرة الشكل منقوش فيـها آيات قرآنيـة .

وفـى الربـع العلـوى للأعمـدة الثلاث يمتد قضيب معدنـى اللـون لـه مشـاجب معلـق عليـها هدايـا الكعبـة وهـى علـى هيئـة أبـاريق وأوان وقنـاديل ، وأصنـاف أخـرى ، واضحـة الدقـة فـى الصنـع رغـم قدمـها يبـدو بعضـُها مصنوعـا مـن الذهـب الخـالص ، والبعض الآخر مـن الفضـة والمعـادن النقيـة متنوعـة فـى الحجـم والصفـة والهيئـة ، وقـد عجـزت عـن إحصائـها بدقـة ، وقـدرت المعلـق منـها مـا بيـن الحـائط الجنوبي الـذى فيـه الركـن والحجـر ومـا بيـن العـامود الأول المقـابل للبـاب الشـريف بستة عشر قطعـة ، أمـا مـا علـق علـى البقيـة فـهى هدايـا كثيرة صغيرة وكبيرة " مجموعـها لا يقـل بحـال عـن خمسين قطعـة أهدت للكعبـة فـى حقب مختلفـة مـن التـاريخ " علـى كـل قطعـة تـاريخ إهدائـها وبيـن العـامود الأول والثـانى عمـل صنـدوق مـن الرخـام الفـاخر

لونـه يميل إلـى اللـون الرمـادى الممـوج وهـو مـن ذات الرخـام المفـروش علــى بـاطن أرض الكعبــة .

تحفظ فيـه مختلـف أنـواع البخـور والطيـب مـن عـود ومسـك وعنـبر إلـى جـانب مـواد غسـل الكعبـة المشـرفة مـن مـاء ورد وقطـع قمـاش .

وأكـثر مـا يلفت الانتبـاه علـى أرضيـة الكعبـة الرخاميـة تمـيز موقـع بلـوح رخـام أبيـض بخـلاف البقيـة فـى اتجـاه الحـائط الغربـى المقـابل لبـاب الكعبـة وهـى أقـرب لجهـة الركـن اليمـانى .. قيـل إنـها المكـان الثـابت الـذى صلـى فيـه سـيدنا رسـول الله ﷺ .. وعلـى ذات " الحـائط الغربـى " المكسـو كغـيره بـأفضل أنـواع الرخـام المجلـوب خصيصـاً مـن إيطاليـا ذا لـون وردى ممـوج بحمـرة بارتفـاع أربعـة أمتـار تقريبـاً لكـل حـائط يحيطـها بـروازان بيـن ذات الرخـام ، غـير أنـه أسـود اللـون يعكس رونـق الرخـام الداخلـى ، إرتفـاع كـل بـرواز ٣٠ سـم تقريبـاً .

ثبتـت بعنايـة سـبع ألـواح مـن رخـام محفـورة بعبـارات إيمانيـة وأسـماء الخلفـاء وسـلاطين وفقـهم الله فـى عمـارة البيـت العتيـق علـى مـر الحقـب الإسـلامية المختلفـة أقدمـها للخليفـة العباسـى المسـتنصر بـالله وممـهورة سـنة تسـع وعشـرون وسـتمائة للـهجرة ، وتسـتطيع أن تمـيز مـن خلالـها تطـور كتابـة الحـرف العربـى ، رغـم مـا أصابـها مـن عوامـل القـدم ولمـس الأيـادى وتضمينـها بـالدهون والعطـور علـى مر الزمـان .

**ألواح الكعبة :**

فقد جاء فى كتاب " تاريخ الكعبة المعظمة " للمؤرخ / حسين عبد الله باسلامة [1] أما ما هو موجود من الألواح الرخام المكتوبة الملصقة بالجدار الذى بداخل الكعبة فهى سبعة ألواح ..

١- **اللوحة الأولى** " ... للسلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى .. بتاريخ مستهل رجب الفرد عام أربع وثمانين وثمان مائة من الهجرة "

٢- و**اللوحة الثانية** : مكتوب فيها الإهداء بأبيات شعرية خطت بالخط البارز وهى تعود إلى " أم خاقان الورى خان مصطفى ... بمباشرة أحمد بيك فى سنة تسع ومائة وألف ، شيخ الحرم المكى "

٣- **اللوحة الثالثة** : لوحة أبى جعفر المستنصر وقد سبق الحديث عنها اللوحة الرابعة : لوحة تعود إلى " يوسف بن عمر بن على بتاريخ سنة ثمانية وستمائة " وصاحب هذه اللوحة هو الملك المظفر صاحب اليمن فى ذلك العصر "

٤- **اللوحة الخامسة** : لوحة مكتوب فيها بالخط البارز كغيرها تعود إلى " .. السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ... فى آخر شهور رمضان المنتظم فى سلك شهور سنة أربعين وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية "

٥- **اللوحة السادسة** : لوحة كتب منها أنها تعود إلى ".. السلطان بن السلطان محمد خان سنة سبعين وألف "

٦- **اللوحة السابعة** : لوحة تعود إلى ".. السلطان الملك الأشرف أبى القاصر يرسباى .. بتاريخ سنة ست وعشرين وثمان مائة للهجرة "

وختم المؤرخ يرحمه الله ببيان تاريخ نقله ما كتب على الألواح السبعة بقوله ".. فى صحوة يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شهر ذى القعدة سنة

---

[1] ح٢ / ١٣٩ ــ ١٤١ . بتصرف . نقلاً عن جريدة : المسلمون السنة الثانية عشر العدد ( ٦٢٢ )

١٣٥٢ من الهجرة النبوية أ هـ وهناك لوحة ثامنة على ذات الحائط بمواجهة المصلى على لوح الرخام الأبيض مكتوب فيها بخط كوفى مربعات محمد ﷺ .

وفى الحائط الشرقى المقابل وبين باب الكعبة المشرفة وباب التوبة المؤدى إلى سطح الكعبة وضعت وثيقة خادم الحرمين الشريفين محفورة على لوح رخامى كشاهد على تاريخ ترميمه الشامل لبناء الكعبة المشرفة وإلى جانبها من جهة باب الكعبة وثيقة أخرى تخص جلالة الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله تقبل الله منهما صالح الأعمال .[١]

### سقف الكعبة :

وسقف الكعبة وحوائطها من الداخل مكسوة بالحرير الوردى اللون عليها مربعات كتب عليها " الله جل جلاله "

### محراب الكعبة :

وفى قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلى فيه النبى ﷺ .

### سلم الكعبة الزجاجى :

تذكر كتب التاريخ أن سلم الكعبة دائماً كان من الخشب ، أما فى البناء الأخير فى عهد الملك فهد تجد سلماً آخر فتتسع صدفة عينيك وأنت تشاهد السلم الجديد المؤدى إلى سطح الكعبة وتأخذك حالة إغراق مذهل وأنت ترى سلماً مصنوعاً من الزجاج السميك أشبه ما يكون بالكرستال بلون سماوى صافى مصنوع بحرفية عالية وكل لوح يمثل عتبة مستقلة فى السلم عرض كل واحدة منها بطول نصف متر تقريباً وعرض ٢٥سم ولها تجاويف بشكل هندسى موحد ومنتظم تمنع قدم الصاعدين من ألا تزالاق يحيطها لوحان بارتفاع متر واحد تقريباً من ذات الزجاج ( كسياج ) مثبتة

---

[١] جريدة المسلمون – السنة الثانية عشرة العدد ( ٦٢٢ ) .

على قضبان معدنية بلاتينية اللون وضعت لتعين على التمسك عند الصعود .

وفكرة استخدام الزجاج فى عمل السلم الداخلى فكرة عبقرية مبتكرة فهى تعطى للصاعد إحساسا عميقا باتساع المكان رغم ضيقه ، وطول مسافته كما أن الزجاج يمنح خاصية تسلل الضوء الطبيعى لينير المكان بإضاءة هادئة حالمة ، والسلم معمول بشكل متعرج كسلالم المآذن فى المساجد وينتهى إلى فتحة علوية مغلقة بإحكام على هيئة باب ملبس بالرخام الأبيض له عجلة تدار باليد لفتحه ودفعه لأعلى وهو مزود أيضا بإمكانية الفتح آليا عن طريق ضفائر معدنية موصلة برافعة كهربائية .[1]

### سطح الكعبة :

وسطحها مكسو بالرخام الأبيض والفاخر والخاص فى آن .. وهو من ذات النوع المرصوف به أرضية صحن الطواف وساحات الحرم المكشوفة الداخلية والخارجية بهذه النوعية من الرخام خاصية عكس أشعة الشمس الساخنة وعدم احتفاظه بالبرودة الشديدة فهو لا يسخن فى الصيف ولا يؤذى ببرودته فى الشتاء

### سور الكعبة :

وللسطح حائط ساتر بارتفاع نصف متر تقريبا على محيط الكعبة مثبت فيه قضبان معدنية كبيرة أسطوانية الشكل لها مشاجب دائرية من ذات المادة تربط فيها وتشد حبال الكسوة الخارجية للكعبة وستارة باب الكعبة المقدسة .

### ميزاب الكعبة :

وفى الجانب الشمالى من السطح وبأسفل نقطة ثبت ميزاب الكعبة وهو تحفة خالصة مصنوع من الذهب الخالص المنقوش بنقوش مختلفة وله

---

[1] جريدة المسلمون ( السنة الثانية عشرة العدد " ٦٢٢ ) .

من باطن السطح جسر مذهب مربع الشكل سمك كل ضلع ١٥ سم تقريبا وظيفته إسناد الميزاب الممتد مصبه على حجر سيدنا إسماعيل عليه السلام ومنعه من السقوط.[1]

---

[1] جريدة المسلمون السنة الثانية عشرة العدد ٦٢٢ .

# الفصل السادس عشر
## المعلقات

كان سجل أعمال وصحائف التاريخ للعرب هى ما كتبه شعرائهم من أحداث وأيام خالدة سجلوها بأشعارهم وكانوا يعلقون بالكعبة المشرفة ولذلك سميت بالمعلقات وذكروا أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيماً لشأنها فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع :

١- الأولى : لامرء القيس بن الحارث بن عمر بن حجر الكندى ( المتوفى عام ٨ قبل الهجرة عام ٥٦٥ م ) وأولها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

٢- والثانية : للنابغة الذبيانى : واسمه : زياد بن معاوية ، ويقال زياد بن عمر بن معاوية بن خباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ( المتوفى عام ١٨ هـ أى عام ٦٠٤ م ) وأولها :

يا دار ميه بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد .

٣- والثالثة : لزهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ( النتوفى عام ١٤ قبل الهجرة عام ٦٠٨ م ) وأولها :

أمن أم أو فى دمنه لم تكلم     يحو مانه الدراج فالمتثلم .

٤-والرابعة : لطرفة بن العبد سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ( المتوفى عام ٧٠ قبل الهجرة عام ٥٥٢ م ) وأولها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد .

٥-الخامسة : لعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسى ( المتوفى قبل عام ٢٢ هـ أى عام ٦٠٠ م ) وأولها :

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم .

٦- السادسة : لعلقمة بن عبده بن النعمان بن قيس أحد بنى تميم . وأولها :

طحابك قلب فى الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب .

٧- السابعة : ومنهم من لا يثبتها فى المعلقات - وهو قول الأصمعى وغيره وهى للبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر " المتوفى عام ٤٠ هـ أى عام ٦٦٠ م ) وأولها :

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبد غولها فرجامها .

فأما القصيدة التى لا يعرف قائلها - فيما ذكره أبو عبيده والأصمعى والمبرم وغيرهم - فهى قوله :

هل بالطلول لسائل رد

أم هل لها يتكلم عهد .

وهى مطولة وفيها معان حسنة كثيرة .
وقد ذكر أن غيرهم كانت له معلقات بالكعبة المشرفة ومن أشهرهم :
١- عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب " المتوفى عام ٥٢ قبل الهجرة عام ٥٧٠ م )
٢- الأغشى الميمون بن قيس بن جندل " المتوفى فى العام السابع الهجرى عام ٦٢٩ م )
٣- الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله " المتوفى عام ٥٢ هـ عام ٥٧٠ م )
٤- عبيد بن البرص بن عوف بن حشم " المتوفى عام ٥٦٥ م وقيل ٦٠٥م)
٥- معلقات هارون الرشيد :
ذكر كتب التاريخ الإسلامى أن هارون الرشيد قد حج بيت الله الحرام عام ١٨٦ هـ وكان معه أبنائه " محمد وعبد الله "
وقيل أنه كتب وصايته بعد أن قضى مناسك الحج وخصوصا البيعة من بعده لابنه الأكبر ومن يأتى من بعده وقد أوصى بالولاة والحكام والغلان والجواهر والأموال وكل ما يخص شئون الخلافة من بعده كما جرت العادة على أن يعلق العديد من الخلفاء والأمراء والرؤساء بوصايتهم داخل الكعبة المشرفة .

## الآراء فى المعلقات السبع وسبب تسميتها معلقات

١- يرى أحمد عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وابن رشيف صاحب العمدة وابن خلدون فى المقدمة : أن المعلقات كتبت بماء الذهب فى القباطى. [1]

[1] وهى ثياب كانت تنسج فى مصر .

وعلقت باستار الكعبة ولهذا يقال لها : " مذهبة أمرئ القيس " ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع يقال لها " المعلقات " .

٢- أنكر بعض المستشرقين وبعض أدباء العصر الحاضر هذا التعليق على الكعبة وحجتهم أن الكعبة حينما هدمت وتجدد بناءها في أيام النبي ﷺ لم يذكر عن هذه المعلقات شيء : " ولو أنها كانت معلقة بالكعبة لبقيت إلى هذا التاريخ لأنها من مفاخر العرب التي يعتز بها .

٣- ويروى البعض أنها سميت بالمعلقات لأن بعض الملوك كان إذا استحسن قصيدة قال : " علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي ولم يعرف هذا الملك ولعله النعمان بن المنذر .

١- ويرى بعض آخر : أن العرب كانت تكتب في رقاع مستطيلة من الحرير أو الجلد يوصل بعضها ببعض ثم تلف على عود أو خشبة وتعلق في الخيمة خوفاً على المكتوب من قرض فار وعثة وعلى هذا فإن الشعر الذي كان يستحسن في الأسواق كان يكتب ويعلق ولو ساعة على الكعبة أو في مدة الموسم ثم يرفع ومن بين ذلك تلك القصائد .

وأصحاب هذا الرأي يلتقون مع أصحاب الرأي الأول في التعليق على الكعبة وإن اختلفوا في المدة ، واختلفوا فيما علق ، حتى ترى أصحاب الرأي الآخر التعليق ولو ساعة وأن المعلقات المعروفة ليست كل ما علق على الكعبة .

## سبب تعليقها بالكعبة

امتازت هذه المعلقات عن غيرها من القصائد فلم تعلق على الكعبة من فراغ فقد امتازت بالآتي :

١- **الطول** : أطال شعراء العرب قصائدهم عن غيرهم من القصائد التى عرفت لهم أو لغيرهم حيث تتراوح المعلقات بين ٦٤ بيتاً و ١١٥ بيتاً ولم تعرف لغيرها هذه الإطالة .

٢- **تعدد الموضوعات أو الأغراض** : فقد تضمنت أغراضاً متعددة فكأنها قصائد متنوعة الأغراض متحدة الوزن والقافية ثم ضمت إلى بعضها فكانت معلقة .

٣- **كثرة الابتكار** : فكان أكثر شعر العرب ابتكاراً للمعانى والتشبيهات وذلك لأن أصحابها عنوا بها أكثر من غيرها أملاً فى أن تضم فى سجل العرب.

٤- **أعظم وأجود ما قال العرب لأسباب منها :**

- لم نسمع عن أحد من العرب نال من مكانتها وكلهم أهل فصاحة وبيان ونار التنافس و المغامرات مشتعلة بينهم دائماً .
- أنها لم تعلق إلا بعد أن أنشدت فى السوق واستحسنها أهل الفصاحة أو الحكام ثم أمروا بتعليقها أو كتابتها بماء الذهب وإن اختلفوا أين علقت .
- أنها مصورة للحياة الاجتماعية العربية كلها حيث تعتبر المعلقات السجل الذى لم يدع جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية بكل ما فيها .

٥- **الصحائف :**

ذكروا : أن الصحائف التى كانت تكتب بينهم وكانت تعلق بالكعبة وذلك تقديساً واحتراماً لهذا المكان المقدس .. وتأكيداً لما أبرموه من عهود أو معاهدات ومن هذه الصحائف :

صحيفة المقاطعة : كانت صحيفة مقاطعة قريش هى أشهر الصحائف التى تم تعليقها بالكعبة وسبب تعليق هذه الصحيفة أن قريش وجدت أن دعوة رسول الله ﷺ تزداد يوماً بعد يوم خصوصاً أن الله فتح قلوب

وعقول بعض كبار وعظماء قريش بالإسلام لما حاول الكفار قتل رسول الله ﷺ وجعل الإسلام يفشو فى القبائل .. ورأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا أمناً وقراراً وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه فاجتمعت قريش وانتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعون منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه [1] وذلك فى سنة سبع من النبوة .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب بن عبد المطلب وكان مع قريش وأقام بنو هاشم على ذلك حتى جهدوا من ضيق الحصار وأكلوا ورق السَمُر ... حتى سمع بكاء الأطفال ... وقريش تحول بينهم وبين التجار فيزيدون عليهم فى السلعة أضعافاً حتى لا يشتروها .

ومكثوا على ذلك ثلاث سنوات ، لا يصل إليهم شىء إلا سراً ممن أراد صلتهم من قريش ورسول الله ﷺ على ذلك يدعوا قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وبنو هاشم صابرون محتسبون .

وقام نفر من قريش من أهل المروءة والضمائر فى مقدمتهم هشام بن عمرو بن ربيعة .. فاستثار قريش لنقض الصحيفة والخروج من هذا التعاقد الظالم .. وتعاقدوا على نقض الصحيفة .. وقام المطعم بن عدى إلى

---

[1] سيرة ابن هشام ق١ / ٣٤٩ .

الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا " باسمك اللهم " وكان النبى ﷺ قد أخبر بذلك أبا طالب ومزقت الصحيفة وبطل ما فيها. [1]

---

[1] نفس المرجع السابق / ٣٧٣ - ٣٧٧ . بتصرف شديد .



# الفصل السابع عشر
## الكعبة وحلف الفضول

لحلف الفضول صلة وثيقة بالكعبة المشرفة إذ بدأت أحداثه حول الكعبة ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلاً من " زبيد " قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه / فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاق :

عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وانتهروه فلما رأى الزبيدى الشرأ وفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته :

" يا آل قهر لمظلوم بضاعته _ ببطن مكة نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته _ يا للرجال وبين الحجر والحجر

إن الحرام امن ماتت كرامته _ ولا حرام لثوب الفاجر الغدر .

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ..

فاجتمعت هاشم وتيم وزهرة بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه .

قسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذلك .

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم - وإن كن جميعاً أهل دار .

نسميه الفضول إذا عقدنا _ يعزبه الغريب لذى الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا _ أباه القيم تمنع كل عار

وذكر قاسم بن ثابت فى غريب الحديث أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجا أو معتمراً ومعه ابنة له يقال لها " الفتول " من أوضا نساء العالمين فاغتصبها منه بنيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى : من يعدينى على هذا الرجل ؟ فقيل له : عليك بحلف الفضول .

فوقف عند الكعبة ونادى يا آل حلف الفضول : فإذا هم يأتون إليه من كل جانب ، وقد حملوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث فمالك ؟ فقال : إن نبيها ظلمنى فى بنتى وانتزعها منى قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب داره فخرج إليهم فقالوا له : أخرج الجارية ويحك لقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ؟ فقال : أفعل ، ولكن متعونى بها الليلة فقالوا : لا والله ولا شخب لقحة فأخرجها إليهم وهو يقول :

راح صحبى ولم أحيى القتولا

ولم أودعهم وداعا جميلاً

إذا أجد الفضول أن يمنعوها

قد رأنى ولا أخاف الفضولا .

## الكعبة ... وحلف المطيبين

ذكر تنازع بين بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قصى جعل إليهم وذكر أن أمراة من نساء عبد مناف هى التى أخرجت لهم حفنة من طيب فغمسوا أيديهم فيها ولم يسم المرأة وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه فقال : هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه قال : وكان المطيبون يسمون الدافة جمع دانف بتخفيف الفاء لأنهم دافوا الطيب " أى خلطوه " [1]

---

[1] الروض الأنف للسهيلى ج١ /٥٣ / ٥٤٢ ١ .

وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية [1]
ثم لما كبر قصى فوض أمر هذه الوظائف التى كانت إليه من رناسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده . وإنما خصصه بها كلها لأن بقية أخوته : عبد مناف وعبد الشمس .. فأحب قصى أن يلحق بهم عبد الدار فى السؤدد فخصصه بذلك فكان اخوته لا ينازعونه فى ذلك فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم فى ذلك وقالوا إنما خصص قصى عبد الدار بذلك ليلحقه باخوته فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار : هذا أمر جعله لنا قصى فنحن أحق به واختلفوا اختلافاً كثيراً وانقسمت بطون قريش فرقتين : ففرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم فرقة ، وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف فى حفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان ( الكعبة ) فسموا حلف المطيبين وكان منهم من قبائل قريش بنوا سدين عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهد .
وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى ، واعتزلت بنو عامر بن لؤى ومحارب بن فهد الجميع فلم يكونوا مع واحد منها ، ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبنى عبد مناف وأن تستقر ، الحجابة واللواء والندوة فى بنى عبد الدار فانبرم الأمر على ذلك واستمر .

[1] البداية والنهاية لأبن كثير



# الباب السادس
## إختبار حول الكعبة المشرفه
## الرسول ﷺ والكعبة

وللرسول ﷺ مع الكعبة تاريخ وذكريات كثيرة منذ مولده ﷺ حتى حجة الوداع قبل وفاته بأيام قلائل ....

### ميلاد الرسول ﷺ والكعبة

ذكرت كتب التاريخ أن رسول الله ﷺ ولد فى عام الفيل العام الذى حفظ الله عز وجل فيه بيته من الهدم ومن اعتداء أبرهة عليه حيث قصده يريد هدمه فكانت عناية الله عز وجل وحفظه لبيته وانتقامه من أصحاب الفيل شر انتقام ...

### الكعبة تضىء عند مولد الرسول ﷺ

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية عن عمرو بن مرة الجهنى أنه كان يحدث قال : " خرجت حاجاً فى جماعة من قومى فى الجاهلية فرأيت فى المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء فى جبل يثرب وأشعر جهينة ، فسمعت صوتاً فى النور وهو يقول : " إنقشعت الظلماء وسطع الضياء وبُعث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة ، وانبعثت المدائن فسمعت صوتاً فى النور وهو يقول : "

ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ووصلت الأرحام فانتهيت فزعا فقلت لقومي : " والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث ولخبرتهم بما رأيت " .[1]

## تعويذ عبد المطلب لمحمد ﷺ في الكعبة

ذكر السهيلي في الروض [2] أن عبد المطلب دخل به الكعبة وعوده ودعا له ...
وفي غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوده :

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان
أعيذه في البيت ذي الأركان
حين يكون بلغة الفتيان
حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان
ذي همة ليس له عينان
حتى أراه رافع السان
أنت الذي سميت في القرآن
في كتب ثابتة المثان
أحمد مكتوب على البيان

---

[1] بداية ونهاية ج ٣ / ٤٨ وما بعدها .
[2] الروض الأنف للسهيلي ج ١ / ١٨٤ .

## خبر النبوة حول الكعبة

وقد تلقت خديجة بنت خويلد خبر نبوة رسول الله ﷺ عند الكعبة المشرفة فيروى ابن كثير في البداية : "أن خديجة بنت خويلد قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ قال ورقة :
قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وأنه لنبى هذه الأمة وقولى له فليثبت .
فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ بقول ورقة فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : " يا بن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت .. فأخبره ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولا تكذبنه ولا تؤذينه ولا تخرجنه ولا تقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل رأسه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله ، وهذا الذى ذكره عبيد بن عمير " .[1]

## شكاية المسلمين لرسول الله ﷺ عند الكعبة

لقد بلغ الأمر بالمسلمين ذروته ... مما حدث لهم من الإهانة والعذاب الأليم حتى أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يدعوا على المشركين وكان يصادفه ذلك عند الكعبة المشرفة أحياناً .

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ / ٦٤ .

فعن سفيان عن بنان وإسماعيل قالا : " سمعنا قيسا يقول : " سمعت خبابا يقول " : " أتيت النبى ﷺ وهو متوسد ببردته وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : " ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : " قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل " ذاد بنان : " والذئب على غنمه " وفى رواية : " ولكنكم تستعجلون " .[1]

## تعرض الرسول للأذى عند الكعبة

كان أشرافهم مجتمعين يوما فى الحجر إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ومر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول : " وعادوا بذلك ثلاث مرات ، فوقف ثم قال : " أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فأسكت القوم ، فلا حراك بهم وصاروا يلاطفونه بالقول ، فلما كان من الغد وهم فى مقامهم ، طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وتبعه رجل واحد ، وأحاطوا به وأخذ رجل منهم بمجمع ردائه فقام أبو بكر ﷺ دونه وهو يبكى ويقول :
" أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ فانصرفوا عنه ورجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فوق رأسه وقد جروه بلحيته .[2]

---

[1] انفرد به البخارى دون مسلم .

[2] السيرة النبوية للندوى ١٤٤- ١٤٥ .

ولما قسوا فى إيذاء رسول الله ﷺ لم يرعوا فيه قرابة وتخطوا حدود الإنسانية فبينما النبى ﷺ ساجد ذات يوم فى المسجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة ابن أبى معيط بسلا جزور [1] فقذفه على ظهر النبى ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا ودعا عليهم النبى ﷺ . [2]

وروى البخارى فى صحيحه قال : " بينما النبى يصلى فى حجر الكعبة فأقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله ﷺ خنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ وهو يقول :

" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" غافر/ ٢٨ .

## عصمة رسول الله ﷺ عند الكعبة

من يوم أن أخبر الله عز وجل نبيه أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه وأنه سوف يعصمه من الناس لم يتوان رسول الله ﷺ لحظة فى ذلك علما منه أن الله سيحفظه .

ذكر ابن كثير عن عكرمة عن ابن عباس فى قصة طويلة دارت بين مشركى مكة وبين رسول الله ﷺ عند الكعبة ... فلما قام رسول الله قال أبو جهل بن هشام : " يا معشر قريش إن محمداً قد أبى ألا ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فليصنع ذلك

---

[1] سلا : وهو اللفافة يكون منها الولد فى بطن الناقة وسائر الحيوان وهى من الآدمية المشيمة .

[2] رواه البخارى .

بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتا ممتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على الحجر حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال من قريش فقالوا له : " ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ( أصل عنقه ) ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول ﷺ قال " ذلك جبريل ولو دنا منه لأخذه "

وروى البيهقي : عن عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال : كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال " إن لله على إن رأيت محمدا ساجدا أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضبانا حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط . فقلت : هذا يوم شر ، واتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرأ :" إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق "

فلما بلغ شأن أبي جهل :" كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى " فقال إنسان لأبي جهل يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سد أفق السماء علي . فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد " [١]

---

١- رواه البيهقي

وعن إبن عباس قال أبو جهل :" لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لا طأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال :" لو فعل لأخذته الملائكة عيانا "[1]

وعن عكرمه عن ابن عباس قال : مر أبو جهل بالنبى ﷺ وهو يصلى فقال : ألم أنهك أن تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى فانتهره النبى ﷺ فقال جبريل :" فليدع ناديه سندع الزبانية " والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب "[2]

وروى عن عروة بن الزبير رأيت ابن العاص فقلت أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ

وقال :" أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " غافر / ٢٨

## إزار رسول الله ﷺ وبناء الكعبة

لقد حضر رسول الله ﷺ بناء الكعبة وكان قبل البعثة بخمس سنين كما ذكرنا عند بناء قريش للكعبة ، وقد ساهم الرسول ﷺ فى بناء الكعبة مع قومه بالجهد والمشورة فهو الذى أشار عليهم فى وضع الحجر الأسود فى مكانه وكادوا يتناحروا..

وتذكر الروايات أن الرسول ﷺ كان يشارك بالعمل والجهد فى بناء الكعبة .

---

[1] رواه أحمد .

[2] رواه البخارى وأحمد والترمزى وصححه النسائى .

ذكر بن كثير فى البداية والنهاية [1]

كان رسول الله ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته فقد قال :" لقد رأيتنى فى غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعه ، ثم قال شُد عليك إزارك قال : فأخذته فشددته علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى "

وهذه القصة شبيهة بما فى الصحيحين عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فإن لم تكنها فهى متقدمة عليها كالتوطنه لها والله أعلم .

فعن جابر بن عبد الله يُقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال " إزارى فشد عليه إزاره" [2]

وعن ابن عباس عن أبيه : أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت قال : وأفردت قريش رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد . قال : فكنت أنا وابن أخى وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة فإذا غشينا الناس انتزرنا فبينما أنا أمشى ومحمد أمامى قال : فخر وأنبطح على وجهه فجئت أسعى والقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء فقلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزارى قال :" إنى نهيت أن أمشى عريانا " قال : وكنت أكتمها من الناس فخافه أن يقولوا مجنون " [3]

---

[1] ابن كثير البداية والنهاية جـ٢ / ٢٩١ .

[2] البخارى ومسلم .

[3] البيهقى

# أمنية الرسول ﷺ وبناء الكعبة

ود رسول الله ﷺ كثيرا أن يقوم ببناء الكعبة ويرفع جدرانها ويجعل لها بابين .. ولكن خشى أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالإسلام وقرب عهدهم من الكفر والجاهلية ..

ذكر بن كثير فى تفسيره :[1]

.. قال عبد الله بن عبيد : وفد الحارث بن الله على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال عبد الملك . ما أظن أبا حبيب ( يعنى ابن الزبير ) سمع عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها . قال الحارث : بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت قال رسول الله ﷺ :" إن قومك إستقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبى ﷺ :" ولجعلت لها بابين موضوعين فى الأرض شرقيا وغربيا وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها .؟ قالت : قلت : لا . قال :" تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط "

قال عبد الملك فقلت للحارث أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال نعم قال : فنكت ساعة بعصاه ثم قال : ودت أنى تركت وما تحمل .[2]

---

[1] تفسير ابن كثير م١ /١٨٣ .

[2] رواه مسلم .

## مساومة قريش لرسول الله ﷺ عند الكعبة

ذكرا بن كثير فى البداية :
انه أعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف عند باب الكعبة ، الأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر فأنزل الله فيهم :" قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ " الكافرون / ١
وزاد ابن إسحاق وغيره : عن ابن عباس : ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فإن كان الذى جئت به خيراً مما بأيدينا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، فأنزل الله عز وجل : " قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُون " الكافرون / ١

## محاورة قريش للرسول ﷺ عند ظهر الكعبة

لقد حاور كفار قريش رسول الله ﷺ كثيرا وما فعلوا ذلك وما تعنتوا فى أسئلتهم إياه إلا على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . لهذا لم يجاربوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا لعلم الحق سبحانه أنهم لما عاينوا وشاهدوا إما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يعمهون ولظلوا فى غيهم وضلالهم يترددون .. قال تعالى :" وَمَا مَنَعَنَا أن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُون وَآتَيْنَا ثَمُود النَّاقَة مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا " الأسراء / ٥٩
ومن هذه المحاورات ما حدث عند الكعبة المشرفة : كما ذكر لنا ابن كثير فى البداية والنهاية .
وروى عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع علية من أشراف قريش ( وعدد أسماءهم ) بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة

فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بدء ، وكان حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبثت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة .

وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ( وكان يسمون التابع من الجن الرئى ) فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى تبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ " ما بى ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً وأنزل علىّ كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيراً فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم " أو كما قال رسول الله ﷺ .

ثم أخذوا فى مجادلة الرسول ﷺ ومحاورته وطلبوا منه أن يسأل الله عز وجل لهم أموراً كثيرة .

منها : قل لربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك لما تقول ، ويرجعنا عنك وتسأله فيجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك عما نراك تستغنى ..

وأن تتخذ إلى السماء سلما ثم يرتقى منه .. الخ ما ذكروا [1]

## الرسول ﷺ ومقابله

وفد نصارى نجران عند الكعبة :

ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة - أو قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وأمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركبا أحمق منكم ... " [2]

## شهادة أمية بن أبى الصلت الثقفى

للرسول ﷺ عند الكعبة :

روى الحافظ ابن عساكر عن الزهرى أنه قال : أمية بن أبى الصلت :

ألا رسول لنا منا يخبرنا

ما بعد غايتنا من رأس مجرانا .

---

[1] انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٣ / ٩٩ وما بعدها ..

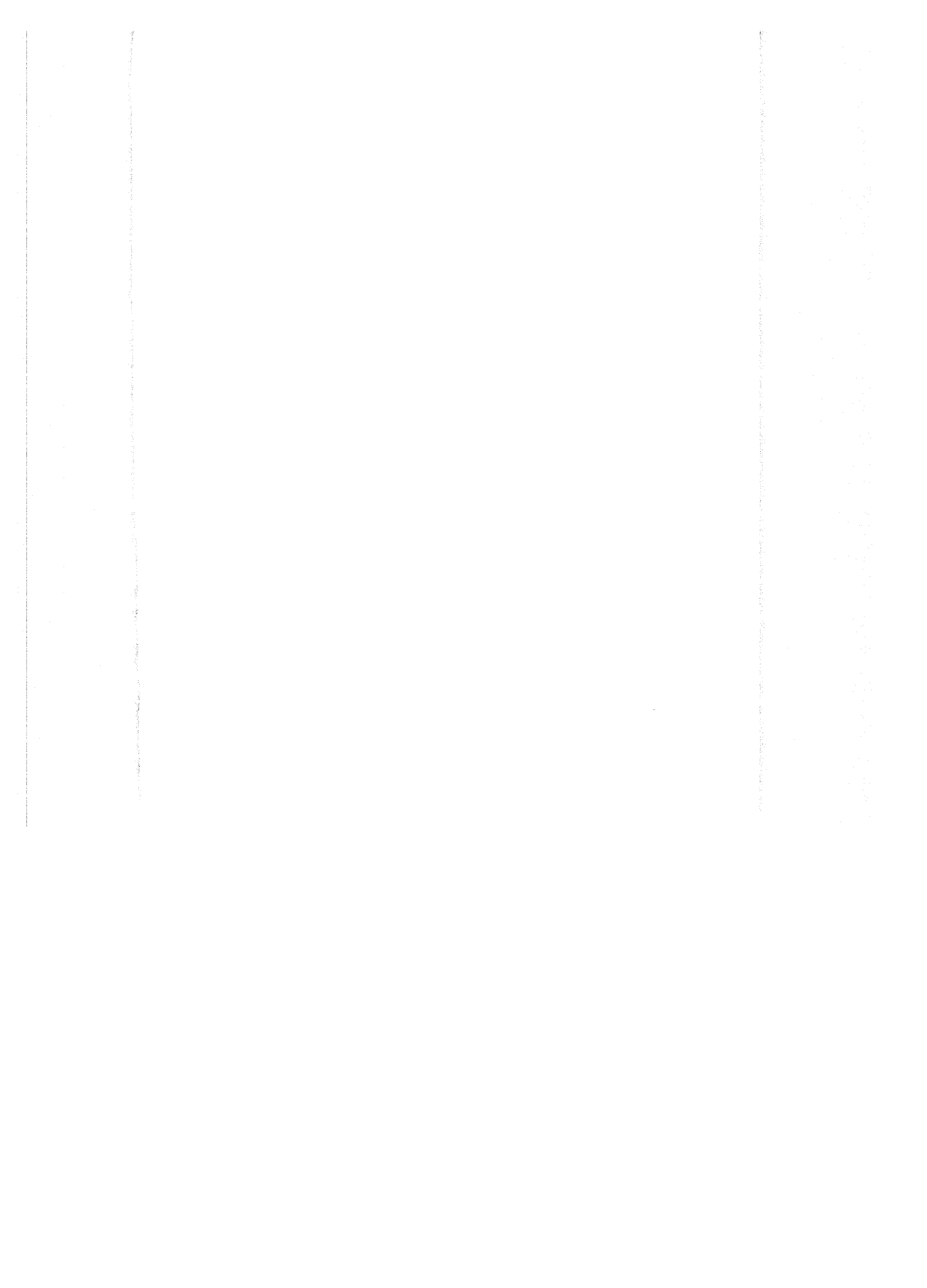
[2] رواه البيهقى والحاكم " انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٣ / ١٣٠ .

قال : ثم خرج أمية بن أبى الصلت إلى البحرين وتنبأ رسول الله ﷺ وأقام أمية بالبحرين ثمانى سنين ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد ابن عبد الله قالوا : يزعم أنه نبى هو الذى كنت تتمنى قال فخرج حتى قدم مكة فلقيه فقال : يا بن عبد المطلب ما هذا الذى تقول ؟

أقول :" إنى رسول الله وأن لا إله إلا الله ) قال : أريد أن أكلمك فعدنى غدا قال : فموعدك غدا قال فتحب أن آتيك وحدى أم فى جماعة من أصحابى وتأتينى وحدك أو فى جماعة من أصحابك ؟ فقال ﷺ :" أى ذلك شئت " قال : فإنى أتيك فى جماعة فأت فى جماعة .قال : فلما كان الغد غدا أمية فى جماعة من قريش وغدا رسول الله ﷺ معه نفر من أصحابه حتى جلسوا فى ظل الكعبة .

قال فبرر أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ الشعر قال : أجبنى يا بن عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ :" بسم الله الرحمن الرحيم . يس والقرآن الحكيم " حتى إذا فرغ منه وثب أمية يجر رجليه قال : فتبعته قريش يقولون : ما تقول يا أمية ؟ قال : أشهد أنه على الحق فقالوا : هل تتبعه ؟ قال : حتى أنظر فى أمره قال : ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله ﷺ المدينة فلما قتل أهل بدر قال أبو الصلت ما تريد ؟ قال أريد محمداً قال : وما تصنع ؟ قال أومن به وألقى إليه مقاليد هذا الأمر . قال : أتدرى من فى القلب ؟ قال : لا : قال : فيه عقبه بن ربيعة وشبه بن ربيعة . وهما أبناء خالك وأمه ربيعة بنت عبد شمس .

قال : فجذع أذنى ناقته وقطع ذنبها ثم وقف على القليب . وأنشد شعراً وكان شاعراً جاهلى ، وقيل أنه كان مستقيماً وأنه كان فى أول أمره على الإيمان ثم زاغ عنه وأنه هو الذى أراده الله تعالى بقوله : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ " الأعراف/١٧٥



# الفصل الأول
## عمر بن الخطاب و الكعبة

هداية عمر ودخوله الإسلام عند الكعبة :

قال إبن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه عطاء ومجاهد روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعداً وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسانى أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمراً فأشرب منها ؟ فخرجت فجئته فلم أجده .قال : فقلت لو أنى جئت الكعبة فطفت سبعاً أو سبعين . قال فجئت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليمانى قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ؟ فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروعنه . فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت من قبلته مستقبلاً وما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن وقاله قلبى وبكيت ودخلنى الإسلام ، فلم أزل فى مكانى قائما حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار لبن أبى حسين . وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته فلما سمع حسى عرفنى فظن أنى إنما اتبعته لأوذى فنهمنى " زجرنى " ثم قال : ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت جئت لأومن بالله

وبرسوله وبما جاء من عند الله قال : فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال :" قد هداك الله يا عمر " ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله بيته .
قال ابن اسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .[1]

## عمر يعلن إسلامه فى الكعبة ويقاتل المشركين

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر : قال : لما أسلم عمر قال : أى قريش أفعل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه . قال عبد الله : وغدوت اتبع أثره وانظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كلما رأيت - حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد ﷺ ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش . وهم كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
وثاروا إليه مما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رأسهم . قال : وتعب فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم .هذا إسناد جيد قوى [2].

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج٣ / ١٢٩ .
[2] نفس المرجع ال[illegible] ج٣ / ١٣٠ .

## عمر يصلى فى الكعبة ويقاتل المشركين

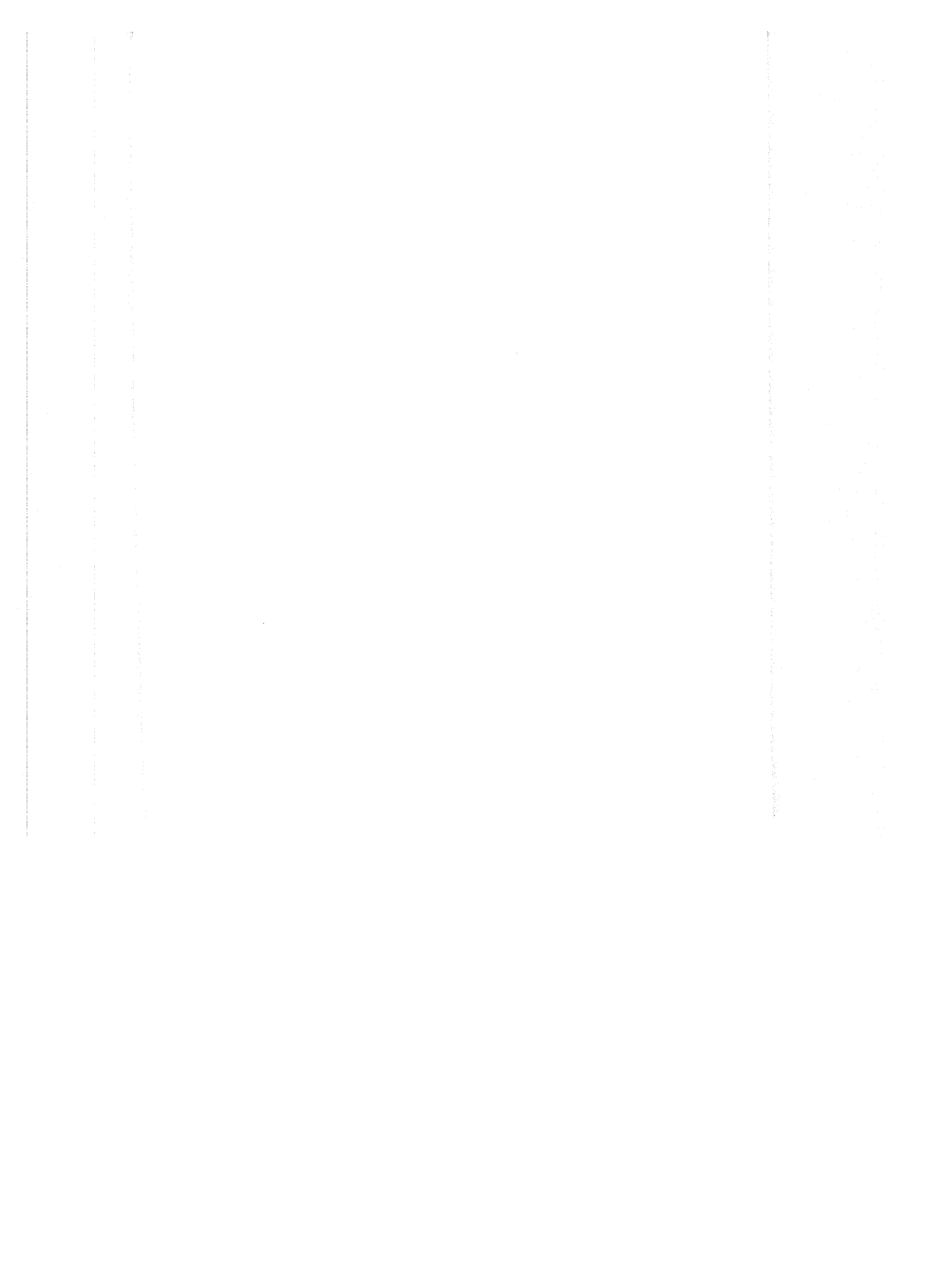
قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله وردهم النجاش بما يكرهون " وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرى ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ ويحمره حتى غاظوا قريشا ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال . ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب :

وقال زياد البكانى : حدثنى مسعد بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال . قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه " [1] .

---

[1] نفس المرجع السابق / ١٢٧ .



# الفصل الثاني

## الرسول ﷺ وتحويل القبلة

وكان رسول الله ﷺ والمسلمون يصلون إلى بيت المقدس ، ومضى على ذلك ستة عشر شهراً بعدما قدم المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يحب يصرف إلى الكعبة ، وكان المسلمون العرب ـ وقد رعوا بلبان حب الكعبة وتعظيمها ، وامتزج ذلك بلحومهم ودمائهم لا يعدلون بالكعبة بيتاً ، ولا بقبلة إبراهيم وإسماعيل قبلة ، وكانوا يحبون أن يصرف إلى الكعبة ، وكان فى جعل القبلة إلى بيت المقدس محنة للمسلمين ولكنهم قالوا : سمعنا وأطعنا ـ وقالوا :أمنا به كل من عند ربنا "فلم يكونوا يعرفون إلا الطاعة لرسول الله ﷺ والخضوع لأوامر الله ، وافقت هواهم أم لم توافقها ، واتفقت مع عاداتهم أم لم تتفق ـ فلما امتحن الله قلوبهم للتقوى واستسلامهم لأمر الله ، صرف رسوله والمسلمين إلى الكعبة يقول القرآن : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ " البقرة/١٤٣

وانصرف المسلمون إلى الكعبة مطيعين لله ولرسوله ، وصارت قبلة المسلمين إلى يوم القيامة أينما كانوا ولوا وجوههم شطرها .[1]

---

[1] راجع الصحاح الستة ، وتفسير الآيات التى نزلت فى تحويل القبلة فى كتب التفسير

## إسلام الطفيل بن عمرو الدوس عند الكعبة

ذكر ابن إسحاق : فى عداوة قريش لرسول الله ﷺ قصة الطفيل بن عمرو الدوس مرسله : وكان سيداً مطاعاً فى دوس وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وضرروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ،

قال : فو الله ما زالوا بى حتى اجتمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا ( أى قطنا ) فرقا ( خوفا ) من أن تبلغنى شىء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه . قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة . قال : فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله . قال : فسمعت كلاماً حسنا . قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته ؟ قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا . الذى قالوا . قال : فو الله ما برحوا بى يخوفننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعت قولاً حسنا فاعرض على أمرك : قال فعرض على رسول الله ﷺ الإسلام وتلا على القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق ..[1] .

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج٣ / ١٤٦ .

## الفصل الثالث
## شعوب وقبائل حاولت تخريب الكعبة

قد تعاقبت على الكعبة المشرفة شعوب وقبائل كثيرة تلك سنة الله فى خلقه
( وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ) آل عمران / ١٤٠
وقد تعرضت الكعبة للكثير من الأحداث والحوادث المقصود بها تخريبها ..
ولكن الله عز وجل حفظها وجعلها حرما أمنا ..

### تخريب تبع للكعبة

جاء فى كتاب أخبار مكة عن الإمام الأزرقى أن تبع الأول حاول هدم الكعبة وكان ذلك فى زمن خزاعة التى تلبى فيه أمر الكعبة لالمشرفة ولكن أهل مكة قاتلوه أشد القتال هو ومن معه حتى رجع .

وقد ذكر أن التابعين الذين جاءوا بعده حاولوا هدم الكعبة ثلاث مرات أولها : ما ذكرناه : وثانيها : كان فى موسم الحج بعدها .

وكان الثالث : فى زمن قريش وقد حاول هدم الكعبة وهذه المرة جماعة من بنى هزيل ، وقد ذهبوا إلى بنى لحيان وقالوا لهم إن للعرب بيت تعظمه وتذبح له فلو ذهبتم إليه وهدمتموه وجعلتم لكم بيت تحج إليه الناس لكان لكم هذا الشرف العظيم فجمعوا الجمع حتى وصلوا عسفان فقال له أهلها هل تريد سوء بالبيت ؟ قال أريد هدمه فقالوا : انوى له خيراً أن تكسوه وتذبح له ، ففعل سيد بنى لحيان فرفع الله عنهم الظلم فأمر بالهزليين وضرب أعناقهم وصلبهم . لما فعلوه حسداً لقريش على

ولايتهم لبيت الله الحرام ولما وصل الكعبة نحر لها مائة من الإبل كل يوم وقد كسى الكعبة المشرفة [1]

وحكى السهيلى عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد ( والد خديجة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ ) مات قبل الفجار وهو الذى نازع تبعا حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع فى منامه ماروعه فنزع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه " [2] وجاء فى كتاب الروض الأنف للسهيلى : [3]

قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهى طريقة إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عسفان ، وأقج ، أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا أن هلاك من أراده من الملوك وبقى عنده .

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك ، فقالوا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك . ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن ، وليهلكن من معك جميعا قال : فماذا تأمرانى أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذل له ، حتى تخرج من عنده قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه

---

[1] أخبار مكة للأزرقى .

[2] البداية والنهاية لابن كثير ج٢ / ٣٠٠ .

[3] الروض الأنف للسهيلى ج١ / ٣٩ ، ٤٠ .

بالأوثان التى نصبوها حوله ، وبالماء التى يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك ( أو كما قالا له )

فعرف نصحها وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وارجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ( فيما يذكرون ) ينحر لها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأرى فى المنام أن يكسوا البيت فكساه الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن فكساه الملاء والوصائل ، فكان تبع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت وأوحى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وألا يقربون دما ولا ميتة ولا مثلاتا " وهى المحايض " وجعل له بابا ومفتاحا ..

**وذكر السهيلى :[1]**

وقيل : بل أرسلت عليه ريح كنعت منه يديه ورجليه ، وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دقت خيلهم ، فسمى ذلك المكان : الدف .

فدعا بالجزاة والأطباء ، فسألهم عن دائه فما لهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا . فعند ذلك قال له الحبران : لعلك هممت بشىء فى أمر هذا البيت فقال : نعم أردت هدمه . فقالا له : تب إلى الله مما نويت فإنه بيت الله وحرمه ، وأمراه بتعظيم حرمته ففعل فبرىء من دائه وصح من وجعه . وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا فإن الله سبحانه يقول :" وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " الحج/٢٥ أى . ومن يسهم فيه بظلم . والباء فى قوله : بظلم تدل على صحة المعنى ، وأن من هم فيه بالظلم ( وإن لم يفعل ) عذب ، تشديداً فى حقه وتعظيماً لحرمته ، وكما فعل الله بأصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول إليه .

---

[1] الروض الأنف للسهيلى ج١ /٤٠ .

## أبرهة وتخريب الكعبة
## حرب الفيل

وكانت حادثة الفيل فى أول المحرم من سنة ستة وثمانين وثمانمائة ( ٦٨٦ ) من تاريخ ذى القرنيين ، ولأربعين سنة مضت من ملك كسرى أنو شروان سنة ٥٧١ م من الميلاد وفى السنة التى ولد فيها النبى ﷺ فهى من الإرهاصات لنبوته . وكان السبب فى حرب الفيل أن العرب لما سمعوا ما عزم عليه أبرهة من حمل الناس على الحج إلى كنيسته وترك البيت الحرام حزنوا وذهب فتية من العرب لإحراقها فأشعلوا فيها النار وأصابوها وفروا . ويقال : إن رجلا من كنانة ذهب إليها وأحدث فيها خفية وفر ليؤكد أن القليس لا يليق أن تحل محل الكعبة . ويروى أنه : لما بنى أبرهة بيتا يضاهى بيت الله الحرام كما يزعم هو ، ليصرف إليها حج العرب وينصرفوا عن الكعبة فلما لما يأتى إليه أحد بل أن رجلاً يقال له الكنانى أتى القليس فقعد فيها قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها " الحدث الأصغر " ثم خرج فلحق بارضه فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك " أصرف إليها حج العرب " غضب فجاء فأحدث فيها " أى أنها ليست أهلاً لذلك " .

**<u>اللات وأبو رغال:</u>**

غضب أبرهة لما أصاب القليس وأقسم ليسيرن إلى البيت الحرام حتى يهدمه ويخربه حجراً حجراً ثم خرج أبرهة فى جيش كبير واستصحب فيلاً له عظيماً لم ير مثله ، وكان النجاشى قد بعث به إلى أبرهة ودخل أبرهة الطائف دون مقاومة تذكر ، فمر باللات وهو بيت كانوا يعظمونه نحو تعظيمهم الكعبة فخافت ثقيف أن يهدمه فخرجوا إليه

وقالوا له : ليس هذا هو البيت الذى تريد هدمه وخرج معه أبو رغال يدله على الطريق الموصل إلى بيت الله بمكة فمضى أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس بالقرب من مكة ، فأهلك الله أبا رغال ورجمت العرب بعد ذلك قبره لخيانته وإرشاده عدو الله لهدم بيت الله .

وقد ورد فى شعر جرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه & كرجمكم لقبر أبى رغال

**عبد المطلب يحاور أبرهة :**

ولما نزل أبرهة بالمغمس ، بعث رجلاً يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم كبير قريش وسيدها حينئذ ، فلما وصل الأسود بما ساقه إلى أبرهة بعث من يخبر قريشا أنه لم يأت لحرب وإنما جاء لهدم البيت فقابل من بعثه عبد وأخبره بما قال أبرهة ، فقال عبد المطلب :

ما لنا طاقة بحربه ، وإن البيت بيت الله فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته وإن يخل بينه وبينه ، فما عندنا دفع عنه وانطلق الرجل ومعه عبد المطلب وبعض بنى عبد المطلب حتى أتوا معسكر أبرهة ، ذهب أنيس وقال لأبرهة : أيها الملك هذا عبد المطلب سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة فأذن له عليك ، فأذن له وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأكبره : ونزل إلى البساط من فوق سريره ، وأجلس عبد المطلب إلى جواره ثم قال لترجمانه : سله عما يريد فقال عبد المطلب : أريد أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها لى ، فقال أبرهة لترجمانه قل له : لقد كنت أعجبت بك ولكنى زهدت فيك لكلامك هذا . أتكلمنى فى العير وتترك بيتاً هو بيتك ودين أبائك ، قد جئت لأهدمه فلا

تكلمنى فيه ؛ فقال عبد المطلب : أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه ، فقال أبرهة : ما كان ليمتنع عنى ، قال عبد المطلب : أنت وذاك ورد أبرهة الإبل لعبد المطلب الذى أمر قومه بالتفرق والتحرز بأعالى الجبال . وذهب عبد المطلب وأخذ خلفه باب الكعبة . وقام معه نفر من قريش - يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، ثم انطلق هو ومن معه إلى شعاب الجبال ينتظرون ما الله فاعل بأبرهة .

**سجود الفيل والطير الأبابيل :**

وتهيأ أبرهة لدخول مكة وأعد فيله العظيم وجيشه الكبير وسار ببغيه وطغيانه فلما وجهوا الفيل إلى مكة سقط منهم إلى الأرض ساجداً فضربوه وأفرطوا فى ضربه فلم يقم ولم يحرك ساكناً فوجهوه إلى اليمن فقام وهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك وكذلك إلى المشرق ووجهوه إلى مكة ثانية فسقط وسجد ، وظل أبرهة يحاول مع الفيل فى إصرار أن يتوجه إلى مكة ألى أن أرسل الله عليه العقاب .

**عقاب الله لأبرهة وجنده وحفظ بيته :**

فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان ( وهى نوع من الطير ) مع كل طائر منها أحجار يحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المعز والإله الطالب

والأشرم المقلوب ليس الغالب .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة : كلما سقطت

أنملة أتبعتها منه ترشح قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

وصدق الله فيهم حين قال :" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " الفيل/ ١ - ٥

قال المفسرون بأن الطير كان يحمل الحجارة من سجيل مكتوب على كل حجر اسم صاحبه .

فجعلهم كعصف مأكول أمثال ورق الشجر الذى يتساقط عنها إذا يبس [1]

**قريش وتخريب الكعبة :**

كانت قريش تطوف بالبيت عراه ، يصفقون ويصفرون ، فكانوا يشبكون أصابعهم ويصفرون فيهن ويصدون المسلمين عن الصلاة وعن الطواف فيطوفون على الشمال ( أى على شمال البيت ) والطواف على اليمين ، وما ذلك إلا تصدية للمسلمين ، يريدون أن يشغلوا بذلك محمداً ﷺ عن الصلاة ويمنعوهم عن الطواف بالبيت تخريباً له ..

فأنزل الله عز وجل :" وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ " الأنفال / ٣٥

ذكر القرطبى عن قتادة : المكاء : ضرب بالأيدى ، والتصدية : صياح . وعلى التفسير ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ( ويصعقون ) [2]

وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلون عند البيت .[3]

---

[1] انظر فى قصة أبرهة : سيرة ابن هشام ــ الروض الأنف للسهيلى الجامع لأحكام القرطبى " تفسير سورة الفيل "

[2] من ب و ج ر هـ و ز و ك و ى

[3] الجامع لأحكام القرآن ح١ / ٤٠٢ .

**ويقول صاحب الظلال :**

إنه لا يمنع العذاب عنهم ما يدعونه من أنهم ورثة إبراهيم وسدنه بيت الله الحرام فهذه ليست دعوى لا أساس لها من الواقع . إنهم ليسوا أولياء هذا البيت ولا أصحابه إنهم ليسوا أولياء لهذا البيت وإن كانوا يصلون عنده صلاتهم فما هذه بصلاة وإنما كانت صفيراً بالأفواه وتصفيقاً بالأيدى وهرجاً ومرجاً لا وقار فيه ولا استشعار لحرمة البيت ، ولا خشوع لهيبة الله .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال :" إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون " وإن هذا ليخطر بالبال صور العازفين المصفقين الصاخبين الممرغيين خدودهم على الأعتاب والمقامات اليوم فى كثير من البلاد التى يسمونها " بلاد المسلمين " إنها الجاهلية تبرز فى صورة من صورها الكثير بعد ما برزت فى صورتها الواضحة الكبيرة :

صورة ألوهية العبيد فى الأرض ، وحاكمتهم فى حياة الناس .وإذا وقعت هذه فكل صور الجاهلية الأخرى إنما هى تبع لها وفرع فيها [1]

ويذكر أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراه ، أما الرجال فيطوفون عراه ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه فقالت أمراة من العرب وهى كذلك تطوف بالبيت .[2]

اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أحله .

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره . ومن نتائج العرى فى الطواف :

---

[1] فى ظلال القرآن ج٣ / ١٥٠٦ .

[2] هذه المرأة هى : ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشير .

ومما ذكر من تعريهم فى الطواف أن رجلاً وامرأة طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تلذذا واستمتاعا فلصق عضده بعضدها ، ففزعا عند ذلك وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها حتى قال لهما قائل . توبا مما كان فى ضميركما وأخلصا لله التوبة ، ففعلا ، فانحل أحدهما من الآخر.[1]

زيد بن عمر بن نفيل .. والكعبة :

هو زيد بن عمر بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى . وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه وذلك لأن عمر بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه وكان لها من نفيل أخوه الخطاب .

وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده .

وروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى . ثم قال " اللهم إنى لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكنى لا أعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به وزاد : وكان يصلى إلى الكعبة ويقول : إلهى إله إبراهيم ودينى ودين إبراهيم . وكان يحيى الموؤدة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها إلىَّ أكفلها فإذا ترعرعت فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها "[2] .

وقال يونس عن ابن إسحاق حدثنى بعض آل زيد بن عمر وبن نفيل : أن زيداً كان إذا دخل الكعبة قال : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقاً ، عذت بما عاذ

---

[1] الروض الأنف للسهيلى والسيرة ج١ / ٢٣٢ .

[2] رواه النسائى .

به إبراهيم وهو قائم إذ قال : إلهي أتقى لك عان راغم ، مهما تجشمني فإني جاشم البر أبغي لا أنحال ليس مهجر كمن قال .

وعن ابن أبي مليكة عن حجر بن أبي إهاب قال : رأيت زيد بن عمرو وأنا عندهم بوانة بعد ما رجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدتين ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجرا ولا أصلى له ولا أكل ما ذبح له ولا أستقسم الأزلام وإنما أصلى لهذا البيت حتى أموت وكان يحج فيقف بعرفة وكان يلبي فيقول : لبيك لا شريك لك ولا تدلك ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : لبيك متعبدا مرقوقا .

وقال الواقدي : عن عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد بن عمر بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدكه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ..[1]

**بنو أمية والكعبة :**

تذكر كتب التاريخ أن الصراع عندما استبد بين عبد الله بن الزبير وبني أمية بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ويزيد بن معاوية وذلك بهدف إخضاع ابن الزبير فما كان من ابن الزبير إلا أنه دخل الحرم ليحتمي به وما كان من يزيد ألا أنه رمى الكعبة بالمنجانيف وبمنات القذائف .. حتى احترقت الكعبة وتصدعت جدرانها ولكن لم يكتب لبني أمية النصر مما كان منهم ألا أنهم عادوا بهزيمتهم وعادوا إلى بلاد الشام ولكن المسلمين أخذوا ينعون الكعبة وما وصل إليه حال المسلمين من انقسام وما حدث للكعبة المشرفة ..

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج٢ / ٢٤٢ وما بعدها .

وبعد أن انتهى هذا الصراع أعاد ابن الزبير بناء الكعبة كما ذكرنا من قبل ولم يمضى عشر سنوات بعد هذا الصراع وحاصر بنو أمية مكة بقيادة الحجاج بن يوسف وقتلوا عبد الله بن الزبير وصلبوه على أبوابها ..

**القرامطة والكعبة :**

يذكر التاريخ أن القرامطة قد أغاروا على الكعبة عام ٣١٧ هـ وانهم جردوها مما بداخلها من الجواهر وأخذوا كل ما بها من صفائح الذهب وتزعوا ما بها من ستائر واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وذهبوا به إلى قرية " هجر " بدولة البحرين لأنهم كانوا قد بنو بيتا هناك .. بناه أبو ظاهر القرمطى بقريته يريد أن يصرف الناس عن الكعبة إليه كما فعل أبرهة من قبل لينال شرف الحج لكنه فشل وأعيد الحجر بعدها إلى الكعبة المشرفة .

**الصليبيون . والكعبة :**

تذكر كتب التاريخ أن الصليبين حاولوا تخريب الكعبة فى زمن السلطان نور الدين وكان ذلك فى منتصف القرن السادس الهجرى وذلك بأنهم حاولوا دخول المدينة المنورة فى موسم الحج فى زى حجاج مغاربة وذلك لسرقة جسد رسول الله ﷺ ولما بلغ ذلك الناس كانوا بين مصدق ومكذب وزهل الناس ولكن لما بلغ السلطان نور الدين سيطر عليهم وضرب رقابهم وحفر السلطان نور الدين خندق حول حجر رسول الله ﷺ حتى أنه بلغ منابع الماء ثم صب الرصاص حتى صار سوراً عظيماً لا يستطيع أحد أن يمر من خلاله وسيطر على الأمر كله قبل أن يصلوا إلى الكعبة المشرفة لتخريبها وكانوا قد اعتزموا ذلك ..

الكعبة والمسيحين " المهدى والدجال " :

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : ذكر النبى ﷺ يوماً بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال :" إن الله ليس بأعور ألا أن المسيح

الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه طافية ، وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام فإذا رجل أدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لحيته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم رأيت رجلاً وراءه جعد قطط [1] أعور عين اليمنى ، كأشبه من رأيت بابن قطن واضعاً يده على منكبى رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟ فقالوا : المسيح الدجال " [2]

قال الزهرى : وابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية .

فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين : مسيح الهدى ، ومسيح الضلالة ، ليعرف هذا إذا انزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون . [3]

**ذو القرنين يطوف الكعبة :**

ذكر الله عز وجل ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة .. واختلفوا فيه على أنه نبى أو رسول أو ملك والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين ..

وقد ذكر الأزرقى وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدى إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام .

وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشياً وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذى القرنين السحاب يحمله حيث أراد . والله أعلم . [1]

---

[1] جعد قطط : بليغ الشح .

[2] رواه مسلم .

[3] البداية والنهاية ح٢ /٩٩ ، ١٠٠ .

# الفصل الرابع

## هدم الكعبة فى أخر الزمان ورفعها إلى السماء

إذا جاء أخر الزمان وكان شرار الخلق واقترب موعد الساعة فإن الكعبة سوف تهدم وترفع إلى السماء كما جاء ذلك فى أخبار كثيرة .

روى الشيبانى : عن أبى هريرة قال : قال رسول اللهﷺ :" يخرب الكعبة رجل يقال له " ذو السويقتين " من الحبشة [1] .

وقد روى عن ابن عباس عن النبى ﷺ " كأنى به أسود أفجح يقلعها حجراً حجراً " ( الأفجع هو النافد بين الفخذين ) .

وقد ذكر حذيفة فى حديثه الذى رواه عن رسول اللهﷺ :" كأنى بحبشى أفجح الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن ، وأصحابه ينقضونها حجراً حجراً ويتناولها حتى يرموا بها إلى البحر " يعنى الكعبة " [2].

**وذكر ابن الجوزى :**

وهو حديث فيه طول تذكر فيه : عن على بن أبى طالب : استكثر وامن الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه ، فكأنى برجل من الحبشة أصعل أجمع أحمش الساقين قاعد عليهما وهى تهدم "

وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : يبايع الرجل بين الركن والمقام ، وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراب لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه . وقد ذكر الغزالى فى كتاب مناسك الحج :

---

١- أخرجه البخارى ( ٣/٤٦٠ ) ومسلم ( ١٨ / ٣٥ )

٢- البداية والنهاية ج٢ / ١٠٥

ويقال : لا تغرب الشمس يوما إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا وطاف به ولحد من الأوثان وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فينصفح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ثم ترجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه السلام .

ويروى عن رسول الله ﷺ :" استكثروا من الطواف بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة ".

# الفصل الخامس
## فتح مكة والكعبة المشرفة

لما أمر الله فى ترسيخ هذا الدين وتربية المسلمين وأمتحن الله قلوبهم للتقوى وازدادت قريش ظلماً وعدواناً وجحوداً للحق وصداً عن سبيل الله ، ومحاربة الإسلام وأهله أراد الله أن يدخل رسوله والمسلمون مكة فاتحين غالبين ويطهروا الكعبة من الرجس ومن الأوثان وقول الزور ويعيدوا مكة إلى مكانتها الأولى فتكون مثابة للناس وأمناً ، ويجعلون البيت كما كان مبارك وهدى للعالمين .

وقد هيأ الله عز وجل للرسول ﷺ وصحبه ذلك ولما دخل مكة فاتحا منتصرا ظافراً قد حدثت أمور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكعبة المشرفة نذكر منها :

**من دخل الكعبة فهو آمن :**

ﷺ فى الأمن والعفو حتى أصبح أهل مكة لا يهلك منهم ألا من زهد فى السلامة وكره الحياة فقال :" من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن " .[1]

وقد روى البيهقى .. عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبى سفيان إلى رسول الله ﷺ قال : فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدى رسول الله ﷺ وأنه لما قال له رسول الله ﷺ : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن قال أبو سفيان وما تسع دارى ؟ فقال :" ومن دخل الكعبة فهو آمن " قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال :" ومن دخل المسجد

---

[1] ابن هشام ق ٢ / ٤٠٣ والرواية فى البخارى مختصرة .

فهو آمن " قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : من أغلق عليه بابه فهو آمن " فقال أبو سفيان هذه واسعة .[1]

## النبي يطهر الكعبة من الصور

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصوراً في سورة الأزلام يستقسم بها فقال :" قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم والأزلام ؟ " مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " آل عمران / ٦٧

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وعن أسامة قال : رأى النبي ﷺ صوراً في الكعبة فكنت آتيه بماء في الدلو يضرب بها تلك الصور

وروى عنه أيضاً قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة ورأى صوراً قال فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول : قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون "

وعن جابر قال : كان في الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ أن يمحوها فبل عمر ثوباً ومحاها به . فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء .[2]

---

[1] رواه البيهقي : انظر البداية والنهاية ج٤ /٢٨٤ /٢٨٥ .

[2] رواه أحمد .

## ويطهر الكعبة من الأصنام

وطهر الرسول ﷺ الكعبة من الأصنام يوم الفتح عن ابن مسعود قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة صنم ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول :" جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد " ١

وعن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ قضيبه فجعل يهوى إلى الصنم وهو يهوى حتى مر عليها كلها " ٢

وقال ابن هشام : حدثني من أثق به أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم إلا وقع فقال تميم بن أسد الخزامي "

وفي الأصنام معتبر وعلم

لمن يرجوا الثواب أو العقابا .

وعن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى إلى صنم إلى جنب البيت ( كانوا يعبدونه) وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسيتها فلما تأتى على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول "

---

١ رواه البخاري ومسلم .

٢ رواه البيهقي .

جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو " [1]

## وحطم الأصنام التى فى القبائل

حطم الرسول ﷺ الأصنام التى حول الكعبة بل وفى مكة كلها وخارجها حيث بعث سرايا إلى الأوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها ، منها " اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) ونادى مناديه بمكة .

" من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره وبعث رجالا من أصحابه إلى القبائل فهدموا أصنامها " [2]

قال جرير : كان بيت فى الجاهلية يقال له :" ذو الخلصة " الكعبة اليمانية .

" والكعبة الشامية " فقال لى النبى ﷺ : ألا تريحنى من " ذى الخلصة " ؟ يقول جابر : فنفرت فى مائة وخمسين راكبا من أحمس ،" وكانوا أصحاب خيل " فكسرناها وقتلنا ما وجدنا عنده ، فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فدعا لنا ولأحمس .[3]

---

[1] رواه مسلم .

[2] راجع التفصيل زاد المعاد ١/ ٤٢٦ .

[3] البخارى .

## " يوم الفتح " يوم تعظم وتكسى فيه الكعبة

ودخل رسول الله ﷺ مكة وهو واضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرجل ودخل وهو يقرأ سورة الفتح "[1] وعن معاوية بن قرة رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع "[2]

ولما مر سعد بن عبادة بأبى سفيان فى كتيبة الأنصار قال له : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا فلما حاذاه رسول الله ﷺ قال ألم تسمع ما قال سعد ؟ قال : وما قال ؟ قال : كذا كذا . فاستنكر رسول الله ﷺ فقال سعد " بل اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا ويعظم الله الكعبة "[3]

وفى رواية أخرى .. فقال رسول الله ﷺ :" كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة "[4]

**بلال يؤذن فوق الكعبة :**

وقال ابن اسحاق : حدثنى والذى حدثنى بعض آل جبير أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة فاتحا أمر بلالاً فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضته أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة " وقال عبد الرازق عن معمر عن أيوب قال : قال ابن أبى مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن يوم الفتح

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير ج٢ / ٥٥٤ .

[2] رواه البخارى .

[3] رواه الأموى فى المغازى ( فتح البارى ج٨/ ٧م .

[4] البداية والنهاية لابن كثير ٤ /٢٨٤ .

فوق الكعبة فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره "

وروى أن رسول الله ﷺ أمر بلال عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين " [1]

**تعرض الرسول لحادث اغتيال عند الكعبة :**

ورغم عفو الرسول ﷺ وصفحه عن أهل مكة إلا أنه لا يزال الحقد والغل في صدور البعض تجاهه .. فقد هم فضالة بن عمير أن يقتل رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له : أى فضاله ، قال : نعم يا رسول الله ، فقال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء كنت أذكر الله ، فضحك النبي ﷺ ، ثم قال استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، وكان فضاله يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلف الله شيئاً أحب إلى منه . قال فضاله : فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأه كنت أتحدث إليها قالت : هلم إلى الحديث قال : يأبى الله عليك والإسلام .[2]

أى رفض الحديث معها فقد هداه الله عز وجل لنور الإسلام .

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ح٤ / ٢٩٦ .

[2] سيرة ابن هشام ق ٢/ ٤١٧ ، وزاد المعاد ح١ / ٤٢٦ .

## الفصل السادس

## إهدار دم من ارتد وقتله في الكعبة

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية : فى فتح مكة عن ابن إسحاق قال :
وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة .
وهم عبد الله بن سعيد بن أبى مسرح . كان قد أسلم وكتب الوحى ثم أرتد . فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه فى الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ : " أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى قد صمت فيقتله "
فقالوا يا رسول الله هلا أو مأت إلينا ؟ . فقال :" إن النبى لا يقتل بالإشارة "
وفى رواية :" إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنه الأعين "
قال ابن هشام وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان .. ويقول ابن كثير :
ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمى عبد الله ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقا وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان .. فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين فلهذا أهدر دمه ودم قينته فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة اشترك فى قتله أبو برزه الأسلمى وسعيد بن حريث المخزومى وقتلت إحدى قينته واستو من للأخرى " [1]

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج٤ / ٢٩٠ .

## مفاتيح الكعبة

قد ذكرنا أن تبع قد جعل للكعبة بابا وجعل له مفتاحا .. ومنذ ذلك اليوم والكعبة له سدنة يحملون مفاتيحها .. وقد أمر الإسلام هذا الأمر إلى يومنا هذا .

فيروى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ فى المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة فدخل ومعه أسامه بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهارا طويلا ثم خرج فاستبق الناس فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما فسأله أين رسول الله ﷺ فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه قال عبد الله ( ونسيت أن أسأله كم صلى من مسجده ) [1]

وقال ابن إسحاق : روى عن صفية بنت شيبه أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة وطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عبدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد أستكف [2] له الماس فى المسجد ..

**قال محمد بن إسحاق :**

فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمى هاتين إلا سدنة البيت وسقايه الحاج .. ثم قال : يا معشر قريش إن الله قد أذهب

---

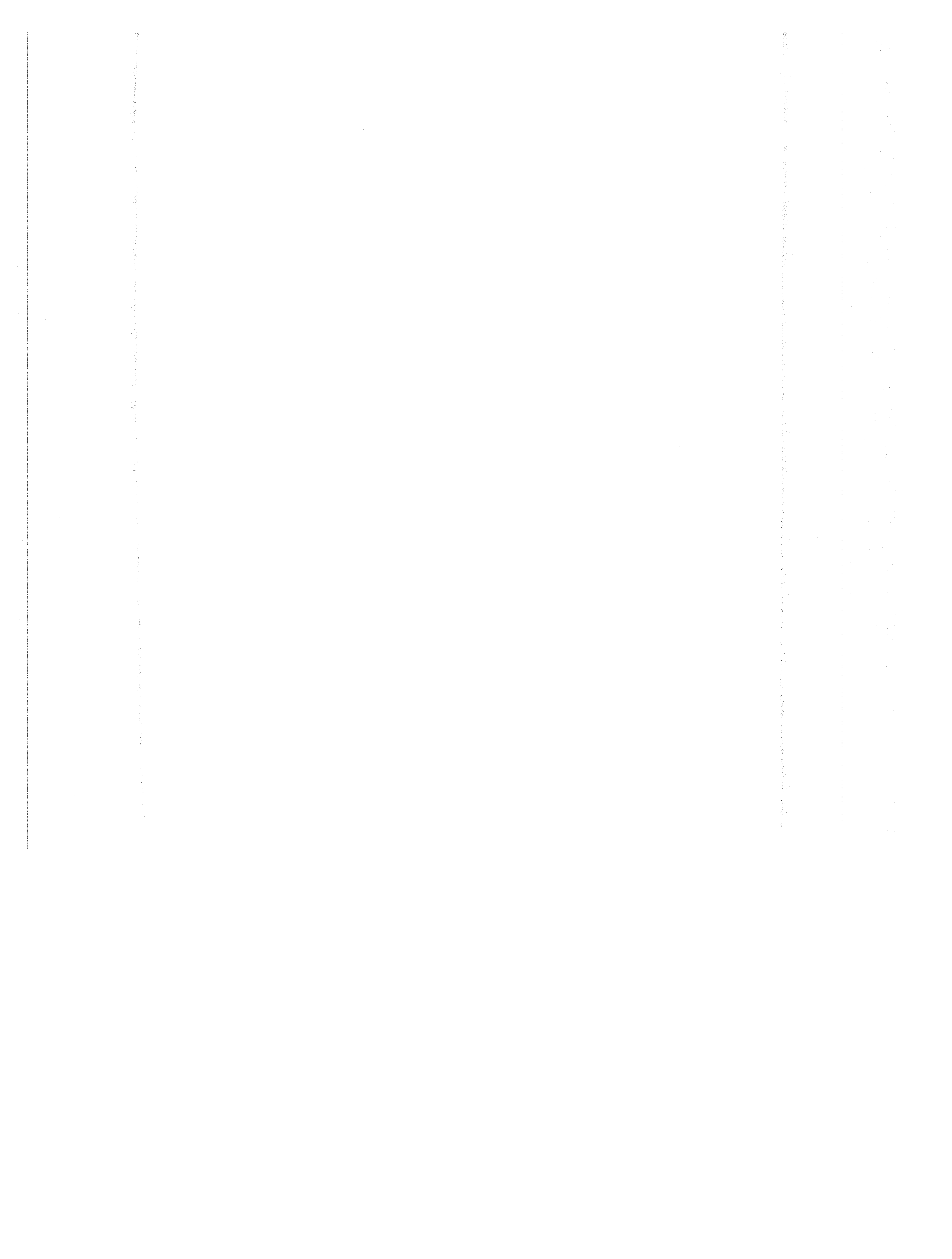
[1] رواه البخارى واحمد .

[2] إستوصع له الناس

عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى" الحجرات / ١٣
ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال :" اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ :" أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء " [1]

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ج٤ / ٢٩٣ .



# الفصل السابع
## مقدسات حول الكعبة

وتختص الكعبة بأنها المكان المقدس الذى يوجد حوله عدد من المقدسات ذات الشهرة الواسعة والأهمية البالغة فى إقامة الشعائر وبخاصة فريضة الحج .. وهى ١- الحجر الأسود :
والحجر الأسود حجر بيضى الشكل لونه أسود ضارب للحمرة وبه نقط حمراء وتعاريج صفراء وقطرة حوالى ٣٠ سم ويحيط به إطار من الفضة عرضه ١٠ سم وسبب إحاطته بهذا الإطار أنه قد كسر فى زمن الإعتداء على الكعبة بالمنجانيق فى العصر الأموى كما ذكرنا عند مرات البناء " بناء عبد الله بن الزبير " ..

## فضل الحجر الأسود

وهو أحد الركنين ( الركن اليمانى والركن الأسود ) وفضله عظيم فمسه يكفر الخطايا والذنوب : يبين لنا هذا ما رواه الإمام أحمد بن حنبل بسند حسن عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :" إن مسح الركن اليمانى والركن الأسود يحط الخطايا حطا "[١]
ومما رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أباه يقول لابن عمر مالى لا أراك تستلم إلا هذين الركنين الحجر الأسود والركن اليمانى فقال ابن عمر رضى الله عنهما : إن أفعل ذلك فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن استلامها يحط الخطايا قال : وسمعته يقول : من

---

[١] الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد ابن حنبل ح

طاف إسبوعاً يحصيه وصلى ركعتين كان له كعدل رقبة : قال وسمعته يقول :
ما رفع رجل قدماً ولا وضعها إلا كُتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات " [1]

وورد فى فضل الحجر الأسود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : فى الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصران ولسان ينطق به ، يشهد على كل من استلمه بحق "

وروى الطبرانى فى الكبير ولفظة : يبعث الله الحجر الأسود والركن اليمانى يوم القيامة ولهما عينان ، ولسانان وشفتان يشهدان لمن استلمهما بالوفاء " [2]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : أشهدوا هذا الحجر خيراً فإنه يوم القيامة شافع يشفع له لسانا وشفتان . بشهد لمن استلمه " [3]

## عند الحجر الأسود تسكب العبرات

وللحجر الأسود طقوس ومشاعر خاصة به جعلت رسول الله ﷺ يبكى بكاء شديداً وكذلك عملاق الإسلام عمر ..

فعن ابن عمر رضى الله عنهما : قال استقبل رسول الله ﷺ الحجر ، ثم وضع شفتيه عليه يبكى طويلاً ، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال يا عمر : ها هنا تكسب العبرات [1] ( أى تسيل الدموع من خشية الله )

---

[1] نفس المرجع السابق .

[2] الترغيب والترهيب للمنذرى وأشار إليه بالضعف

[3] رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورواته ثقات ( والتغيب والترهيب ج

## تقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه

ذكر الشوكانى فى نيل الأوطار قال فى الفتح ولهذا قال الجمور أن السنة أن يستلم الركن ويقبل يده فان لم يستطع أن يستلمه بيده استلمه بشىء فى يده وقبل ذلك الشىء فإن لم يستطع أشار إليه واكتفى بذلك .[2]

ويقول : يستحب له أن يقبل الحجر إن استطاع ذلك ولا يزاحم عليه . فعن عمر أنه كان يقبل الحجر ويقول : إنى لأعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك " [3]

وعن عمر أن النبى ﷺ قال له : يا عمر إنك رجل قوى لا تزاحم على الحجر فتؤذى الضعيف إن وجدت خلوه فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر " [4]

## الحجر الأسود نزل من الجنة

ذكر القرطبى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : أن الله تعالى لما أمر إبراهيم بعمارة البيت خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر وبعث معه السكينة [5] لها لسان تتكلم به يغدو معها إبراهيم إذا غدت ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فقالت لإبراهيم : أين على موضعى الأساس ، فرفع البيت هو وإسماعيل حتى انتهى إلى موضع الركن فقال لابنه : يا بنى ايغنى حجرا أجعله علما للناس ، فجاءه بحجر

---

[1] رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحة والحاكم وصححه ومن طريف البيهقى ..

[2] نيل الأوطار للشوكانى ح

[3] رواه الجماعة

[4] رواه أحمد .

[5] السكينة ( بفتح فكسر ) : ريح حجوج أى سريعة المر .

فلم يرضه ، وقال : ابغنى غيره ، فذهب يلتمس فجاءه وقد أتى بالركن فوضعه ، فقال : يا أبة ، من جاءك بهذا الحجر ؟ فقال : من لم يكلنى إليك وروى : يا إبراهيم يا خليل الرحمن ، إن لك عندى وديعة فخذها فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة فلما رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت أن أرفعا على تربيعى فهذا بناء إبراهيم عليه السلام .[1]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم "[2]

ورواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بإسناد حسن ، ولفظه قال : الحجر الأسود من حجارة الجنة ، وما فى الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمها ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برأ .

( رجس الجاهلية ) : الرجس : الأمر القبيح المستقذر وقد يعبر به عن الحرام .

## الملتزم

والجزء الذى بين ركن الحجر الأسود والباب يسمى " الملتزم " وهو مكان ملتزم من يطوف بالبيت أن يبدأ منه طوافه .

ويستحب الدعاء عند الملتزم فبعد أن يطوف بالبيت ويصلى ركعتين فى مقام إبراهيم يتوجه إلى الملتزم ويضع وجهه وصدره عليه وذراعيه ممدودتان متعلقان بأستار الكعبة سائلاً المولى عز وجل لنفسه ولغيره .

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ج٢ / ١٢٢ .

[2] رواه الترمذى وقال حسن صحيح ولابن خزيمة إلا أنه قال : أشد بياضاً من ثلج .

فقد روى عن ابن عباس : أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعو الملتزم ، لا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه .[1]

وروى عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال :" رأيت رسول الله ﷺ يلزق وجه وصدره بالملتزم . . وقيل إن الحطيم هو الملتزم .

ويرى البخارى أن الحطيم الحجر نفسه وأحتج إليه بحديث الإسراء فقال : نبينا أنا نائم فى الحطيم ، وربما قال فى الحجر .[2]

## الركن اليمانى

قال فى الروض : وأما الركن اليمانى فسمى باليمانى ( فيما ذكر القتبى ) لأن رجلاً من اليمن بناه اسمه أبى بن سالم ، وأنشد :

لنا الركن من البيت الحرام وراثه

بقية ما أ بقى أبى بن سالم .

وهو ركن الكعبة الواقع عن يمين الحجر الأسود ويسميان معاً باليمانيين.

وقد ورد عن ابن عمر قال لم أر النبى ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين "[3]

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار :

وإنما اقتصر ﷺ على استلام اليمانيين لما ثبت فى الصحيحين من قول ابن عمر أنهما على قواعد إبراهيم دون الشاميين ولهذا كان ابن الزبير بعد عمارته للكعبة على قواعد إبراهيم يستلم الأركان لما روى ذلك عنه

---

[1] رواه البيهقى .

[2] فقه السنة م١ / ٥٩٨ .

[3] رواه الجماعة إلا الترمذى .

الازرقى فى كتاب اخبار مكـه . فعلـى هـذا يكـون للركـن الاول مـن الاركـان الأربعـة فضيلتـان كونـه الحجر الأسود وكونـه علـى قواعد إبراهيـم .
وللثـانى والثانيـة فقـط وليس للأخريين أعنـى الشـاميين شـىء منـهما فلذلـك يقبـل الأول ويسـتلم الثـانى فقـط ولا يقبـل الآخـران ولا يسـتلمان علـى رأى الجمـهور .

## فضل الركن اليمانى

روى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قـال :" إن مـس الركـن اليمـانى والركـن الأسود يحط الخطايا حطـا "[2]
وعنـه أيضـاً أن النبى ﷺ كـان لا يدع أن يستلم الحجر والركـن اليمـانى فـى كل طوافـه " [3]
وعن ابن عباس قـال : كـان رسـول الله ﷺ
" يقبل الركن اليمـانى ويضـع خده عليـه " [4]
وعنـه أيضـاً قـال : كـان النبـى ﷺ : " إذا اسـتلم الركـن اليمـانى قبلـه " [5]
وكفـى مـن قبلـه أو استلمه فخـراً أن يفعل ذلك بعد رسـول الله ﷺ فقـد وضـع خده الشريفة عليـه وقبلـه واسـتلمه ..

---

[1] نيل الأوطار للشوكان ج٥ / ٤٢ .
[2] رواه أحمد والنسائى .
[3] رواه أحمد وأبو داود .
[4] رواه الدار قطنى .
[5] رواه البخارى فى تاريخه .

## الركنيين الشاميين

الركن الشامي والعرقي . وهما ركنا الكعبة من ناحية الشام بجوار حجر إسماعيل والحطيم وهما كما تقول الروايات الصحيحة أنهما على قواعد إبراهيم فكما ذكرنا أنهما لا يستلمان . ولما وسع ابن الزبير الكعبة سبعة أذرع على قواعد إبراهيم كان يستلم الأركان الأربعة كلها . كما روى الأزرقي في كتاب أخبار مكة .

## جواز استلامهما

ويجوز استلام الركنيين الشاميين لما روى عن ابن المنذر وغيره استلام الأركان جميعا وقد ورد ذلك عن جابر وأنس والحسن والحسين من الصحابة وعن سويد بن غفلة من التابعين .

وقد أخرج البخارى ومسلم أن عبيد بن جريج قال لابن عمر رأيتك تصنع أربعا لم أر أحداً من أصحابك يصنعها فذكر منها ورأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين . قال الشوكانى .

وفيه دليل على أن الذين رآهم عبيد كانوا لا يقتصرون فى الاستلام على الركنيين اليمانيين .[1]

وذكر ابن رشد فى بداية المجتهد :

واصبح من رأى استلام جميعها : أى الأركان الأربعة " بما روى عن جابر قال : كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها .[2]

[1] نيل الوطار للشوكانى ج٥ / ٤٣ .

[2] بداية المجتهد لابن رشد ج١ / ٤١٧ ، ١٤٨ .

## مقام إبراهيم

وهو الحجر الذى قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناء الكعبة وهو الآن فى جوار الكعبة الذى به بابها وهو موضوع داخل قفص زجاجى . وترتبط برفع قواعد الكعبة المشرفة قضية مهمة هى ان إبراهيم لم يكتف بالارتفاع الذى كان يمكن أن يحققه طبقا لمتناول يده ، بل أراد أن يزيد فى الارتفاع بالحوائط ، فأستعمل حجراً يقف عليه ليجعل البناء أكثر شموخا ، فجعل الله سبحانه وتعالى من حرص إبراهيم على مزيد من الطاعة آية يدل على مزيد من الإخلاص والولاء وجاء فى ذلك قوله تعلى :" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ " آل عمران/ ٩٦ - ٩٧

## ارتباط الأمن بمقام إبراهيم

وبعد أن استقر البيت على هذا النحو بفضل الله تعالى فجعله مثابة للناس وأمناً ، أى مكانا ينال زائرة الثواب ، ويلجأ له الخائف فيجد الأمن والأمان .

والسر فى ارتباط الأمن باتخاذ مقام إبراهيم مصلى فى قوله تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " البقرة/ ١٢٥

هو أن مقام إبراهيم ، أى مكان قيامه قرب مكان بناء البيت كان قاعدة الانطلاق إلى البناء ففيه الحجر الذى ارتفع عليه إبراهيم " عليه السلام " حين ضعف من رفع الحجارة التى كان ولده إسماعيل بناء له إياها فى بناء البيت وهذا المقام الذى فيه الحجر الآن كان

بيت إبراهيم ( عليه السلام ) وكان ينقل إليه هذا الحجر بعد الفراغ من العمل والأمر بالصلاة فى مقام إبراهيم وإن كان للاستحباب إلا انه يؤكد

الارتباط القائم بين جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا وبين اتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، لتتذكر جهود إبراهيم فى البناء وتعظيم البيت واتخاذه مكانا للإثابة والأمن والاستقرار فيه ، والبعد عن الإيذاء والعصيان فى هذا المكان ، لذا جعلت السيئة به بمائة ألف سيئة لقوله تعالى :" وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " الحج / ٢٥

## الصلاة فى مقام إبراهيم وفضلها

حثنا الله عز وجل على الصلاة خلف مقام إبراهيم تذكرا لولاء إبراهيم لربه

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " البقرة / ١٢٥

والصلاة خلف مقام إبراهيم مندوبة وليست واجبة ، ولهذا قال الفقهاء والصلاة فى مقام إبراهيم إنما هى أمنية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووافقه الله عز وجل فروى عن أنس بن مالك قال ، قال عمر : وافقت ربى فى أربع ، قلت يا رسول الله : لو صليت خلف المقام ؟ فنزلت هذه الآية " وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " البقرة / ١٢٥

وقد صلى الرسول ﷺ فى مقام إبراهيم كما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى مقام إبراهيم قرأ " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " فصلى ركعتين فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج إلى الصفا " [1]

---

[1] سنن النسائى ج٥ / ٢٣٦ .

## مقام إبراهيم يا قوته من الجنة

عن عبد الله عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : الركن والمقام يا قوتتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس نورهما لا ضاءتا بين المشرق والمغرب "[1] وفى رواية للبيهقى قال : إن الركن والمقام من يا قوت الجنة ولولا ما مسه من خطايا بنى أدم لأخفاء ما بين والمشرق والمغرب وما مسهما من ذى عاهة ولا سقيم إلا شفى "[2]

## مقام إبراهيم وآل سعود

وفى إطار إهتمام آل سعود بالمسجد الحرام والكعبة يتبين لنا أهمية إنجاز اخر فى تسهيل الطواف والصلاة ، فقد كانت مقصورة مقام إبراهيم ( ٣×٦ ) أمتار (١٨ ) بينما لا يزيد حجم المقام نفسه عن ( ٤٠ × ٤٠ ) سم فقد بحث المجلس التأسيى لرابطة العالم الإسلامى موضوع إزالة البناء والزوائد المقامة فوق المقام وخلص إلى أن معظم الزحام نشأ عن وجود الزوائد التى لا ضرورة لبقائها ، وأن رفع هذه الزوائد يزيل عن الطائفين والقائمين والركع السجود كثيراً من الضيق والحرج والمشقة .

واقترحت رابطة العالم الإسلامى فى مذكرة وقعتها لجلالة الملك فيصل يرحمه الله ، بتاريخ ١٣٨٤/١٢/٢٧هـ ( ١٩٦٤م) ورقم ١٩٨٥ ، إزالة تلك الزوائد وأن يجعل على مقام إبراهيم صندوق من البللور السميك القوى على قدر الحاجة فقط ويكون مدوراً وبارتفاع مناسب لئلا يتعثر به

---

[1] .. رمدى وابن حبان فى صحيحه ( الترغيب والترهيب للمنذرى ح٢ / ١٣٤ )

[2] .. هيقى.

الطائفون وبهذا تحصل التوسعة لهذا الجزء من المطاف ويزول كثير من الضيق والحرج كما يتسنى للكثير رؤية مقام إبراهيم عليه السلام عند رفع القواعد من البيت وينتفى ما تظنه العامة من أن بداخلى المبنى الموجود حاليا قبراً لإبراهيم عليه السلام .

وبالفعل صنع غطاء المقام من زجاج الكريستال الثمين مع حاجز حديدى وقاعدة رخامية أبعادها مجتمعة ( ١٨ × ٨٣٠ ) سم ، وبهذا توفرت مساحة عرضها خمسة أمتار تقريبا فزادت فى عرض المطاف ، وكان لها أثر ملموس فى تخفيف الزحام حول الكعبة المشرفة . وقد بلغ قطر الغطاء الزجاجى (٨٠سم) وسماكته (٢٠) سم وارتفاعه (١٠٠) سم وأقيم على قاعدة نحاسية ارتفاعها (٧٥)سم أما وزن الغطاء فهو (١٧٠٠) كيلو جرام ، منها (٦٠٠) كيلو جرام وزن القاعدة النحاسية ، وأما القاعدة الرخامية فقد صنعت من الرخام المحلى الممتاز ، وصبت بداخلها قاعدة خرسانية مسلحة وأحيط المقام من الداخل بحاجز من المرمر كى لا تتصل الخرسانة به ويبلغ ارتفاع الحاجز الحديدى ثلاثة أمتار تقريبا .

وقد احتفل بإزاحة الستارة عن الغطاء بتاريخ ١٨رجب ١٣٨٧هـ ( ١٩٦٧م )

## حجر إسماعيل

الحجر : بكسر الحاء وسكون الجيم هو الفضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت الشمالية والغربية .

وكان " الحجر " أولاً داخلاً فى الكعبة فلما هدم السيل الكعبة بنتها قريش من جديد ، وذلك قبل مبعثه ﷺ بنحو خمس سنين ، فقصرت بهم النفقة فبنوا الكعبة على ما هى عليه الآن .

فعن عائشة قالت : سألت النبى ﷺ عن الحجر أمن البيت هو ؟ قال : نعم ، قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت ؟ قال إن قومك قصرت بهم النفقة ، قالت فما شأن بابه مرتفعا ، قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية . وأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الحجر فى البيت وأن ألصق بابه بالأرض "[1] وفى رواية قالت : كنت أحب أن أدخل البيت أصلى فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر فقال لى أصلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت "[2]

وعن سعيد بن جبير عن عائشة قالت : يا رسول الله كل أهلك قد دخل البيت غيرى فقال أرسلى إلى شيبة[3] فيفتح لك الباب ، فأرسلت إليه فقال شيبه : ما استطعنا فتحه فى جاهلية ولا إسلام بليل . فقال النبى ﷺ : " صلى فى الحجر فإن قومك استقصروا عن بناء البيت حين بنوه "[4]

## مقدار الحجر

وليس الحجر كله من البيت بل الجزء الذى هو ملاصق لجدار الكعبة وقدره لما ذكر الشوكانى فى نيل الأوطار[5] عدة روايات تدل على أن الحجر يقدر ما بين ستة أذرع أو سبعة : نحو ثلاثة أمتار .

---

[1] متفق عليه .

[2] رواه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه الترمذى .

[3] شيبة بن عثمان بن طلحة كان بيده مفتاح الكعبة .

[4] رواه أحمد بن جبير .

[5] نيل الأوطار للشوكانى ج٥/ ٤٤ .

ففى رواية لمسلم عن عائشة مرفوعا بلفظ " فإن بدا لقومك أن يبنوه بعدى فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع "
وله أيضا عنها مرفوعا بلفظ " وزدت فيها من الحجر سبعة أذرع " وفى رواية للبخارى عن عروة " أن لك مقدار ستة أزرع "
ولسفيان بن عيبة فى جامعة أن ابن الزبير زاد ستة أزرع وله أيضا عنه أنه زاد ستة أزرع وشبرا " وهذا ذكره الشافعى فى عدد من لقيهم من أهل العلم من قريش كما أخرجه البيهقى فى المعرفة عنه .

## الحطيم

الحطيم فى اللغة : الجدر يعنى جدار الكعبة : وقيل هو بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة .[1]
وهو الجدار المحاط بحجر إسماعيل بينه وبين جدار الكعبة من ستة إلى سبعة أزرع . بنحو ثلاثة أمتار تقريبا وهو على شكل نصف دائرة يبدأ من الركن العراقى حتى الركن الشامى إلا قليلاً .

## الشاذروان

هو البناء الملاصق لأساس الكعبة الذى توضع به حلق الكسوة .

---

[1] المعجم الوجيز / ١٥٩ .

## زمزم

روى الإمام البخارى وابن هشام كالآتى :

جاء إبراهيم بها جر تحمل ابنهما إسماعيل ووضعهما فى مكان بئر زمزم الحالى وترك لهما جرابا فيه ماء ثم اتجه إبراهيم عائدا إلى فلسطين فنادته هاجر : أين تذهب وتتركنا ؟ فلم يلتفت لها فسألته : الله أمرك بهذا ؟ فأجاب : نعم فقالت : إذن لن يضيعنا الله أبداً وهو أرحم الراحمين .

وبعد أيام نفذ الطعام والماء وجف تبعا لذلك . لبن أم إسماعيل وجعل إسماعيل يبكى وأخذت أمه تتردد بين الصفا والمروة لعلها تجد من يساعدها ويمدها بالطعام والماء ..

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن هاجر لما أشرفت على المروة حين أصابها وولدها العطش سمعت صوتا فقالت : صه " تريد نفسها " ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعت ، إن كان عندك غوات ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال : بجناحه ، حتى ظهر الماء فجعلت تحو منه وتقول بيدها هكذا تغترف من الماء فى سقائها . وهو يفور بعد ما تغترف .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ، أو قال لو لم تغترف من الماء لكانت زمزم عينا معينا . قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله يبتنى هذا الغلام وأبوه .

وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذه عن يمينه وشماله .

## استحباب الشرب من ماء زمزم

واذا فرغ الطائف من طوافه ، وصلى ركعتين عند المقام ، استحب له أن يشرب من ماء زمزم ويملأ بطنه من مائها ..
ثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ ، شرب من ماء زمزم وأنه قال :" إنها مباركة . إنها طعام وشفاء سقم "
( ومعنى طعام طعم : أى أنه يشبع من شربه )
وروى " أن جبريل غسل قلب رسول الله ﷺ بمائها ليلة الإسراء"
وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : خير ماء وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطعم وشفاء السقم "[1]

## ماء زمزم لما شرب له

يسن أن ينوى الشارب عند شربه الشفاء ونحوه ، مما هو خير فى الدين والدنيا . فإن رسول الله ﷺ قال :" ماء زمزم لما شرب له "
وعن سويد بن سعيد قال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى ماء زمزم واستسقى منه شربه ثم استقبل الكعبة فقال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال :" ماء زمزم لما نشرب له " وهذا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب "[2] وعن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :" ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى شفاك الله ، وإن شربته لشبعك ، أشبعك الله ، وإن

---

[1] الطبرانى فى الكبير وابن حيان وقال المنذرى رواته ثقاته .
[2] رواه أحمد بسند صحيح والبيهقى .

شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهى هزمه ( أى حضره ) جبرائيل وسقيا الله إسماعيل "[1]

( أى هى حفرة ماء أخرجها الله لسقى إسماعيل فى أول الأمر )

وهى الآن تسقى ملايين البشر من القاصدين بيت الله الحرام وغيرهم بل وصل الأمر إلى الأسرة السعودية قامت بتوصيل ماء زمزم إلى المدينة المنورة " الحرم النبوى الشريف "

[1] رواه الدار قطنى .

# الفصل الثامن
## فقه الكعبة

ولم يفوتنا أن نجعل باباً خاص بالأمور الفقهية التى تتعلق بالكعبة المشرفة ويحتاج إليها القارئ الكريم وكذا من ذهب إلى هناك لأداء فريضة الحج أو العمرة . أو الصلاة .

فعلى من دخل مكة أن يبادر إلى البيت بعد أن يدع أمتعته فى مكان أمين ويدخل من باب بنى شيبة . باب السلام . ويقول فى خشوع وخضوع وضراعة :

"أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله ، اللهم صلى على محمد وآله وسلم .اللهم أغفر لى ذنوبى .

" وافتح لى أبواب رحمتك "

فإذا وقع نظره على البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه ، أو اعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً " [1]

ثم يقصد إلى الحجر الأسود فيقبله بدون صوت . فإن لم يتمكن استلمه بيده وقبله فإن عجز عن ذلك ، أشار إليه بيده .

ثم يقف بحذاء الحجر الأسود ويجعل وجهه وصدره نحوه تماما ويرفع يديه لاستقباله كما يرفعها فى افتتاح الصلاة ناوياً الطواف مكبراً مهللاً معلناً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله قائلاً : اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ ثم يستدر إلى يمينه ويجعل الكعبة على يساره لتكون إلى جهة قلبه .

---

[1] رواه الشافعى مرفوعاً إلى النبى ﷺ ، قال عمر

ويسير فى المطاف متجهاً أمامه مع السائرين حول الكعبة وحجر إسماعيل إلى أن يعود إلى المكان الذى بدأ منه أمام الحجر الأسود ليستقبله ثانية كما استقبله من قبل رافعاً يديه مكبراً مهللاً معلناً الشهادة مبتدأ بهذا الشوط الثانى . وهكذا . وبكل مرة يتم شوط . وهكذا يفعل فى كل مرة حتى يتم الأشواط السبعة .

ويستحب له أن يرسل فى الأشواط الثلاثة الأول فيسرع فى المشى ويقارب الخطا مقترباً من الكعبة . ويمشى مشياً عادياً فى الأشواط الأربعة الباقية .

فإذا لم يمكنه الرمل أو لم يستطيع القرب من البيت لكثرة الطائفين ومزاحمة الناس له طاف حسبما تيسر له .

ويستحب أن يستلم الركن اليمانى ويقبل الحجر الأسود أو يستلمه فى كل شوط من الأشواط السبعة .

ويستحب له أن يكثر من الذكر والدعاء وقراءة القرآن ويتخير منها ما ينشرح له صدره دون أن يتقيد بشىء أو يرد ما يقوله المطوفون . فليس فى ذلك ذكر محدد ألزمنا الشارع به . وما يقول الناس :" من أذكار وأدعية فى الشوط الأول والثانى وهكذا فليس له أصل " ولم يحفظ عن رسول الله ﷺ شىء من ذلك .

وليعلم الذى يطوف بالكعبة أنه فى رحمة الله عز وجل كما ورد عن رسول الله ﷺ " ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمه : ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين "[1]

فإذا فرغ من الأشواط السبعة صلى ركعتين عند مقام إبراهيم تالياً قول الله تعالى :" واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " .

---

[1] رواه البيهقى بإسناد حسن .

ويجوز له أن يصليها فى أى مكان من المسجد إن لم يجد متسعا فى مقام إبراهيم وليدع الله بعدهما بما يحب . ثم يتوجه إلى الملتزم بين الحجر الأسود وباب الكعبة ويضع خده وصدره وذراعيه ممدودتين عليه ويتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله ما يرجوا لنفسه وغيره فالإجابة مرجوة إن شاء الله .

ثم يتوجه إلى بئر زمزم المباركة ويشرب منها ما استطاع ويملا بطنه من مائها فماء زمزم لما شرب له " ثم يتجه بعد ذلك إلى السعى بين الصفا والمروة وباقى المناسك .

ويجوز للطائف الركوب وإن كان قادراً على المشى إذا وجد سبب يدعوا إلى الركوب . لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى طاف فى حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن "[1] .

## ويستحب له دخول الكعبة وحجر إسماعيل

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ الكعبة [2] هو وإسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وأغلقوا عليهم فلما فتحوا أخبرنى بلال : أن رسول الله ﷺ صلى فى جوف الكعبة بين العمودين اليمانيين "

وقد استدل العلماء بهذا على أن دخول الكعبة والصلاة فيها سنة . وقالوا وهو وإن كان سنة إلا أنه ليس من مناسك الحج لقول ابن عباس رضى الله عنهما : أيها الناس إن دخولكم البيت ليس من حجكم فى شىء ومن

---

[1] رواه البخارى ومسلم .

[2] كان ذلك عام الفتح .

لم يتمكن من دخول الكعبة يستحب له الدخول في حجر إسماعيل والصلاة فيه فإن جزءا منه من الكعبة .
وذكر السهيلي في الروض .
وأما دخوله عليه السلام الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها .
وحديث ابن عباس أنه لم يصلي فيها وأخذ الناس بحديث بلال لأنه ثبت الصلاة ، وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي ومن تأول قول بلال أنه صلى أي دعا . فليس بشيء لأن في حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان .
لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصلي ودخلها من الغد فصلى وذلك في حجة الوداع ، وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حسن خرجه الدار قطني .

## الصلاة على ظهر الكعبة

اختلف الفقهاء في الصلاة على ظهرها :
قال الشافعي رحمه الله : إن صلى في جوفها مستقلاً حائطاً من حيطانها فصلاته جائزة وإن صلى نحو الباب ،والباب مفتوح فصلاته باطلة ، وكذلك من صلى على ظهرها لأنه لم يستقبل منها شيئاً وقال مالك : من صلى على ظهر الكعبة أعاد في الوقت .
وقد روى عن بعض أصحاب مالك : يعيد أبداً .
وقال أبو حنيفة : من صلى على ظهر الكعبة فلا شيء عليه .

---

[1] فقه السنة م١ /٥٩٨ .

## حكم المشاهد للكعبة وغير المشاهد لها

المشاهد للكعبة يجب عليه أن يستقبل عينها والذى لا يستطيع مشاهدتها يجب عليه أن يستقبل جهتها ، لأن هذا هو المقدور عليه " ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها " .

وعن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال : ما بين المشرق والمغرب قبلة "[١]

وقال القرطبى : لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة فى كل أفق ، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاتبها فرض عليه استقبالها وانه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له ، وعليه إعادة كل ما صلى . ذكر ابن عمر . وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاها فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكن من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن أن يستدل على ناحيتها .

ومن جلس فى المسجد الحرام فليكن وجهه إلى الكعبة وينظر إليها إيماناً واحتساباً فإنه يروى أن النظر إلى الكعبة عبادة . قاله عطاء ومجاهد[٢] .

## الصلاة عند البيت أفضل أم الطواف ؟

واختلفوا أيضاً أيهما أفضل الصلاة عند البيت أم الطواف به ؟ فقال مالك : الطواف لأهل الأمصار أفضل ، والصلاة لأهل مكة أفضل .

وذكر عن ابن عباس وعطاء ومجاهد والجمهور على أن الصلاة أفضل . وفى الخبر :" لولا رجال خشع وشيوخ ركع وأطفال رضع وضع

---

[١] رواه ابن ماجه والترمى وقال حسن صحيح .

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى م٢/١٦٠.

وبهائم رتع لصببنا عليكم العذاب صبا " وقد ورد في فضل الصلاة والسجود أخبار كثيرة تشهد لقول الجمهور [1] والله أعلم .

## هل يجوز أن يؤخذ من كسوة الكعبة أو طيبها

قال العلماء : ولا ينبغي أن يؤخذ من كسوة الكعبة شيء فإنه مهدى إليها ولا ينقص منها شيء .

## ولا يجوز أن يؤخذ من طيبها

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به وكان إذا رأى الخادم يأخذ منه قفدها قفده لا يألوا أن يوجعها .
وقال عطاء كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه " [2]

## هل يجوز بناء الكعبة اليوم على بناء عبد الله بن الزبير وعلى قواعد إبراهيم

رغم ورود الروايات الصحيحة عن السيدة عائشة أن البيت غير تام وأن قريش قصرت بهم النفقة ولولا حداثة عهدهم بالجاهلية لأصناف رسول الله ﷺ هذا البناء : ورغم أن عبد الله بن الزبير قد زاد هذا البناء كما

---

[1] المرجع السابق م٢/١١٦، ١١٧.
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٢٥.

أخبر رسول الله ﷺ وقام بهدمها الحجاج بعد ذلك . ولما أرادوا بناءها كتب الحجاج إلى عبد الملك أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسس نظر إليه العدول من أهل مكة .

ورغم أنه ورد فى رواية أن عبد الملك بن مروان ندم على هدم ما بناه وفعله ابن الزبير كما أراد رسول الله ﷺ فقد قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير[1] . وقد ذكرنا كل هذه الروايات عند الحديث عن بناء الكعبة .

نقول : لا يجوز أن تبنى الكعبة اليوم إلا على هيئتها الآن والسبب فى ذلك ما قاله الأمام مالك :

فقد روى أن الرشيد ذكر لمالك بن أنس أنه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وأن يرده على بناء ابن الزبير لما جاء عن النبى ﷺ وامتثله ابن الزبير.

فقال مالك : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبه للملوك لا يشاء أحد منهم إلا نقض البيت وبناه ، فتذهب هيبته من صدور الناس "[2]

وهذا ما نميل إليه .. ولا يفتى ومالك بالمدينة . والله أعلم

" والله يقول الحق وهو يهدى السبيل "

---

[1] نفس المرجع السابق .

[2] نفس المرجع السابق .

# خاتمة

الله جلت قدرته وعظمت منته اختص الكعبة المشرفة بخصائص كثيرة وفضائل عظيمة .. ومآثر جليلة ..

فهى مقصد الزوار والحجاج والنساك والطائفين والعاكفين والركع السجود والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ..

وقد تعرضت الكعبة المشرفة لمحن كثيرة .. ومواقف عصيبة .

ولكن الله عز وجل حفظها وسخر لها من يبنيها .. ويعمرها . ويكسوها .. ويطيبها ، ويسهر على خدمة زوارها .. منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ..

وكان ممن نال هذا الشرف العظيم فى عصرنا الحديث " آل سعود " فقد أمتن الله عليهم بفضله . وأسبغ عليهم نعمه .. فعرفوا فضل الله عليهم .. وقابلوا النعمة بالشكر .. فظهر ذلك على مقدسات كثيرة عمروها وشيدوها منها بيت الله الحرام والكعبة والمشرفة .. بل امتد هذا إلى الحرم النبوى وباقى المقدسات الإسلامية .. فى بلاد الإسلام فى كل مكان وسيصل بمشيئة الله إلى بيت المقدس .. عندما يمن الله علينا بنصره .. ونتحد من بعد فرقة .. ونعتصم بحبله المتين .. وقرآنه المجيد .. ووقتها يعود إلى ديار الإسلام .. وأحضان الأمة الإسلامية ..

ونحن عزيزى القارئ :

نقدم لك دراسة تاريخية قيمة للكعبة المشرفة .. منذ نشأتها قبل بدء الخليقة .. حتى نقضها فى آخر الزمان ..

ونعتقد أنك كنت فى شوق ولهفة لمعرفتها ..

فها هى بين يديك .. لعلك أن تكون قد خرجت منها بما يعود عليك بالنفع .. سائلين الله عز وجل أن ينفع بها كل مسلم ومسلمة ..

﴿ والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .﴾

# المراجع


| | |
|---|---|
| **أولاً : القرآن الكريم** | |
| **ثانياً : كتب التفسير** | |
| ١ - الجامع لأحكام القرآن | لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى |
| ٢ - تفسير ابن كثير | للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرش الدمشقى |
| ٣ - فتح القدير | للعلامه محمد بن على بن محمد الشوكانى |
| ٤ - فى ظلال القرآن | الأستاذ / سيد قطب |
| ٥ - تفسير البيضاوى | للعلامة / البيضاوى |
| ٦ - التفسير الكبير | للإمام / الفخر الرازى |
| ٧ - المنار | للعلامة / محمد رشيد رضا |
| ٨ - التفسير الماجدى | الأستاذ الكبير الماجد الدربابادى |
| **ثالثاً : كتب السنة** | |
| ١ - الجامع الصحيح | للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى |
| ٢ - صحيح مسلم | للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى |
| ٣ - الجامع للترمذى | للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى |
| ٤ - سنن أبن داود | للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجتانى |
| ٥ - سنن النسائى | للقاضى أحمد بن شعيب بن على النسائى |
| ٦ - سنن أبى ماجه | للعلامه أبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الزوينى |
| ٧ - مسند أحمد | للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى |
| ٨ - موطأ مالك | للإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى |
| ٩ - السنن الكبرى | للعلامه أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى |
| ١٠ - سنن الدارمى | للعلامه أبى محمد عبد الله عبد الرحمن الدارمى |
| ١١ - المستدرك | للحافظ أبى عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى |

## تابع المراجع



| | |
|---|---|
| ١٢- الأدب المفرد | للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى |
| ١٣- الترغيب والترهيب | للحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى |
| **رابعاً : شروح كتب السنة** | |
| ١- زاد المعاد | للعلامه شمس الدين بن القيم الجوزية |
| ٢- فتح البارى | للعلامه الحافظ أحمد بن على المعروف بابن حجر العسقلانى |
| ٣- شرح مسلم | للعلامة محى الدين أبى زكريا يحى بن شرف النووى |
| ٤- نيل الأوطار | للعلامه محمد بن على بن محمد الشوكانى |
| **خامساً : كتب السيرة النبوية** | |
| ١- السيرة النبوية | للعلامة أبى بكر القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن هشام |
| ٢- السيره النبويه | للعلامه الحافظ عماد الدين بن كثير |
| ٣- الروض الأنف | للحافظ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى المغربى |
| ٤- السيرة النبوية | للعلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى |
| ٥- نور اليقين | للشيخ محمد الخضرى |
| **سادساً : كتب التاريخ والترجمة والأخبار** | |
| ١- تاريخ الطبرى | للعلامة أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى |
| ٢- البداية والنهاية | للعلامة الحافظ عماد الدين بن كثير |

## تابع المراجع


| | |
|---|---|
| ٣- نهاية الإرب فى فنون الأدب | للعلامة شهاب الدين النويرى |
| **سابعاً : كتب تاريخ البلاد والأمم** | |
| ١- معجم البلدان | للإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى البغدادى |
| ٢- أخبار مكة | للإمام أبى الوليد محمد الأزرقى |
| ٣- تاريخ مكة | للاستاذ / أحمد السباعى |
| ٤- تاريخ العرب قبل الأسلام | الدكتور / جواد على |
| ٥- تاريخ الشعوب الأسلامية | بروكلمان |
| ٦- الأصنام | لابن الكلبى – حاشية أحمد زكى باشا |
| ٧- المسجر | لأبى جعفر بن حبيب بن عمر الهاشمى البغدادى |
| ٨- فى طريف الميثولوجيا عند العرب | العلامة / محمود سليم الحوت |
| **ثامناً : كتب الفقه** | |
| ١- فقه السنة | الشيخ / السيد سابق |
| ٢- الفقه على المذاهب الأربعة | طبعة وزارة الأوقاف المصرية |
| ٣- منهاج المسلم | الشيخ / أبو بكر الجزائرى |
| ٤- بداية المجتهد ونهاية المتصد | للإمام القاضى أبى الوليد محمد بن محمد بن أحمد بن رشد |
| ٥- إعلام الساجد | للعلامة الزركشى |
| | |

# تابع : المراجع


| تاسعاً : المعاجم | |
| --- | --- |
| ١ـ المعجـــــم الوجـــــيز | |
| ٢ـ دائرة المعارف العربيه الإسلامية | |
| **عاشراً : متفرقات** | |
| ١ـ إحيـــــاء علــــوم الديــــن | للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى |
| ٢ـ مجلـــــة الأزهــــر | القاهريـــــــــــــــــة |
| ٣ـ مجلـــــة منـــير الإســـلام | القاهريـــــــــــــــــة |
| ٤ـ مجلـــــة رســـالة الإســـلام | القاهريـــــــــــــــــة |
| ٥ـ مجلـــــة التوحيـــــد | القاهريـــــــــــــــــة |
| ٦ـ مجلـــــة المجـــاهد | القاهريـــــــــــــــــة |
| ٧ـ جريـــــدة المســـلمون | الســـــــــــــعودية |
| ٨ـ مجلـــــة منـــار الأســـلام | الإماراتيـــــــــــــــة |
| ٩ـ مجلـــــة الوعـــى الإســـلامى | الكويتيـــــــــــــــة |
| ١٠ـ نشرة فى خدمة ضيوف الرحمن | وزارة الأعـــلام الســـعودية |

# الفهرس


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ٣ |
| الباب الأول | ٧ |
| الفصل الأول | |
| أسماء مكة | ٩ |
| الفصل الثانى | |
| فضائل مكة | ٢١ |
| الفصل الثالث | |
| حرمة مكة المكرمة | ٢٩ |
| الباب الثانى | |
| مكة وقريش فى التاريخ واللغة | ٣٠ |
| الفصل الأول | |
| تاريخ مكة | ٣٢ |
| الفصل الثاني | |
| قريش فى اللغة | ٣٥ |
| الفصل الثالث | |
| قريش فى التاريخ | ٣٩ |
| الفصل الرابع | |
| مركز مكة الدينى | ٤٣ |
| الباب الثالث | |
| مكانة البيت الحرام | ٥١ |
| الفصل الأول | |
| صفات البيت الحرام | ٥٥ |
| الفصل الثانى | |
| قريش والبيت الحرام | ٥٩ |
| الفصل الثالث | |
| حدود الحرم المكى | ٦٣ |
| الفصل الرابع | |
| البيت الحرام فى ظل الإسلام | ٦٥ |
| الفصل الخامس | |
| العصر الأموى ( ٤١ — ١٣١ ) هـ | ٦٧ |
| الفصل السادس | |
| العصر العباسى ( ١٢٣ — ٦٤٦ هـ ) | ٦٩ |
| توسعة محمد المهدى | |
| العصر المملوكى | |
| العصر العثمانى | |

# الفهرس


| الموضوع | رقم الصفحة | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| الفصل السابع | | التوسعة بالأرقام | |
| البيت الحرام والأسرة السعودية ( آل سعود ) | ٧٣ | التخطيط المرورى | |
| فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز | | السعى | |
| فى عهد الملك فهد بن عبد العزيز | | مشروعات إيجابية أخرى | |
| المداخل والمآذن | | الفصل الثامن | |
| حركة المصليين | | مسجد الرسول ( الحرم النبوى ) | ٩١ |
| الأعمدة الرخامية والواجهات | | الباب الرابع | |
| الأبواب | | الكعبة المشرفة مركز العالم | ١٠٧ |
| السلالم الكهربائية المتحركة | | الفصل الأول | |
| النوافذ | | أيهما أقدم وجودا مكة أم الكعبة ؟ | ١٠٩ |
| الأرضيات | | الفصل الثانى | |
| دورات المياة | | الكعبة فى أبنية الجاهليين وأشعارهم | ١١٣ |
| الأعمال الكهربائية الأنارة | | الفصل الثالث | |
| شبكة الأذاعة الداخلية | | الكبة فى الجاهلية | ١١٥ |
| مشروع تكييف مبنى توسعة الحرم المكى الشريف | | الفصل الرابع | |
| إنشاء محطة التكييف المركزية باجياد | | تعدد البيوت التى عرفت باسم الكعبة الجاهلية | ١١٧ |

# الفهرس


| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| الفصل الخامس | |
| كعبات أخري كانت العرب تجمع إليها وتعظمها | ١٣٧ |
| الفصل السادس | |
| أسماء الكعبة | ١٣٤ |
| الفصل السابع | |
| البيت المعمور والكعبة | ١٤٧ |
| الفصل الثامن | |
| فضائل الكعبة | ١٤٩ |
| الباب الخامس | |
| بناء الكعبة عبر التاريخ | ١٥٩ |
| الفصل الأول | |
| بناء الملائكة عليهم السلام | ١٦٠ |
| الفصل الثاني | |
| بناء آدم عليه السلام | ١٦٣ |
| الفصل الثالث | |
| بناء شيث بن آدم | ١٦٥ |
| الفصل الرابع | |
| بناء إبراهيم وإسماعيل | ١٦٧ |
| الفصل الخامس | |
| بناء العماليق | ١٧١ |
| الفصل السادس | |
| بناء جرهم | ١٧٣ |
| الفصل السابع | |
| بناء قريش | ١٧٥ |
| الفصل الثامن | |
| بناء عبد الله بن الزبير ١٤هـ | ١٨١ |
| الفصل التاسع | |
| بناية الحجاج بن يوسف | ١٨٣ |
| الفصل العاشر | |
| بناء محمد علي باشا في عهد الخلافة العثمانية | ١٨٥ |
| الفصل الحادي عشر | |
| بناء الملك فهد | ١٨٧ |
| الفصل الثاني عشر | |
| كسوة الكعبة | ١٨٩ |
| الفصل الثالث عشر | |
| غسيل الكعبة | ١٩٧ |

# الفهرس


| الموضوع | رقم الصفحة | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| الفصل الرابع عشر | | الفصل الرابع | |
| هدايا الكعبة وما علق بداخلها | ٢٠١ | هدم الكعبة في أخر الزمان ورفعها إلي السماء | ٢٥٩ |
| الفصل الخامس عشر | | الفصل الخامس | |
| هيئة الكعبة | ٢٠٥ | فتح مكة والكعبة المشرفة | ٢٦١ |
| الفصل السادس عشر | | الفصل السادس | |
| المعلقات | ٢١٥ | إهدار دم من ارتد وقتله في الكعبة | ٢٦٧ |
| الفصل السابع عشر | | الفصل السابع | |
| الكعبة وخلف الفضول | ٢٢٣ | مقدسات حول الكعبة | ٢٧١ |
| الباب السادس | | الفصل الثامن | |
| أخبار حول الكعبة المشرفة لرسول الله ﷺ والكعبة | ٢٢٧ | فقه الكعبة | ٢٨٧ |
| الفصل الأول | | خاتمة | ٢٩٤ |
| عمر بن الخطاب والكعبة | ٢٤١ | المراجع | ٢٩٥-٢٩٨ |
| الفصل الثاني | | الفهرس | ٢٩٩-٣٠٢ |
| الرسول وتحويل القبلة | ٢٤٥ | | |
| الفصل الثالث | | | |
| شعوب وقبائل حاولت تخريب الكعبة | ٢٤٧ | | |

تم بحمد الله تعالي

وتوفيقه

